كتاب اليوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

كمال عبد الرؤوف



الدبابات حول القصر

(مذكرات لورد كيلرن عن ٤ فبراير ١٩٤٢)

كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

رئيس مجلس الإدارة :
احسان عبد القدوس

رئيس التحرير :
دكتور قاسم فرحات

نائبا رئيس التحرير :
أمين محمد عودة
عبد العزيز عبد الحليم

العدد ٧٥
فبراير ١٩٧٤
المحرم ١٣٩٤

الإدارة : دار أخبار اليوم ٦ شارع الصحافة ت ٧٧٧٧٧ جمعية قطوط

الاشتراكات

البريد العادي

المجموعة الأولى ١،٢٠٠ مليم اتحاد البريد العربي والأفريقي

المجموعة الثانية ٢،٠٠٠ باقي دول العالم ..

المجموعة الأولى ٢،٠٠٠ مليم اتحاد البريد العربي والأفريقي

باقي دول العالم ..

بالقاهرة ت ٧٧٧٧٧ / ٧٧٨٦٧





يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم



hamed khatab

قبل أن تقرأ هذه المذكرات

بقلم : إحسان عبد القدوس

ترددت طويـــلا قبل أن ننشر مذكـــرات اللورد كيلرن ، فالمذكرات تضع جميع الاحداث الوطنية وجميـــع الشخصيات السياسية المصرية ، فى مستوى الاستهانة وفى قفص الاتهام بالاستسلام الكامل للاحتـــلال البريطانى الذى لم يفقد شيئا من سيادته حتى بعد معاهدة ١٩٣٦ التى كان المفروض أنهـــا معاهدة استقلال تام ٠٠

ولكن بعد مناقشات طويلة قررنا أن ننشر المذكرات ، لانها أولا تعبر عن نظرة رجال الاحتلال لشخصيات وأحداث البلد الذى يحتلونه ، ونشرها يعتـــبر مساهمة فى الدعوة التى نطلق عليها شعار (اعـــرف عدوك) ٠٠ ثم أن نشرها يعتبر تحذيرا لكل من يحاول التحالف مع الذين يحتلون بلده بأنه سيفضح يوما ما بمثل مذكـــرات اللورد كيـــلرن ، حتى لو افترضنا أن كل ما جاء فى هذه المذكرات كذب ٠٠

ومن ناحية أخرى ، فان اللورد كيلرن تجاهل فى مذكراته أو ربمـــا كان لا يعرف ، أن فـــترة حكمـــه فى مصر ،

والاسلوب الذي كان يتبعه في ممارســة سياسته ، هو الذي ادى في النهاية الى ثورة ٢٣ يوليـــو ٠٠ فحادث ٤ فبراير المشهور، يوم حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين ، كان هو الدافع الاقوى الى تحريك الثورة الوطنية داخل الجيش ، وبدء قيام التنظيمات السرية بين الضباط والتي كان من بينها تنظيم الضباط الاحرار، كما كان هذا الحادث هو اقوى ضربة وطنية وقعت على راس حــزب الاغلبية الشعبية وهو حزب الوفد ، مما ادى الى أن فقد الحزب قوته وسلطاته الوطنية وزعامته الشعبية ، مما ادى بالتالي الى القضاء على النظام السياسي الذي كان يحكم مصر ٠٠

واذكر ان اول مرة دخلت فيها السجن كانت بسبب اللورد كيلرن ٠٠ كان ذلك عام ١٩٤٥ ، وكانت الحرب العالمية قد انتهت ، وكانت الرقابة على الصــحف قد بدات تخف ، فكتبت مقالا في (روزاليوسف) بعنوان (هذا الرجل يجب ان يذهب) طالبت فيه بان يخرج اللورد كيلرن من مصر لانه لا يعتبر نفسه سفيرا فوق العادة ، ولا حتى مندوبا ساميا، ولكنه يعتبر نفسه حاكما ، ولانه هو الذي قام بتخطيط حادث ٤ فبراير ٠

وكانت هذه هي اول مرة في تاريخ الثوره يهــاجم فيها علنا وعلى صفحات الصــحف المصرية ، وفوجئت بمصادرة روزاليوسف وجمعها من الشوارع ، ثم القبض علي وادخالي السجن ولكن المفاجاة الاكبر هي ان رئيس الوزراء ايامهــا كان محمود فهمي النقراشي ، وكان صــديقا للاسرة وزميلا دائما في الخط السياسي ، وكنت انا شخصيا اثق في وطنيته ونزاهته ، فكيف يقبض على الصديق الذي اثق في وطنيته ويدخلني السجن حمــاية للسفير البريطاني ٠٠ وبريطانيــا تحتل مصر ٠٠

وقيل لى ايامها بعد ان خرجت من السجن ، ان النقراشى كان مضطرا سـياسيا للقبض على حتى لا يثير ازمة مع السفارة البريطانية ، ولكنى كنت في بداية شبابى ، ولم اكن استطيع أن اقبل التفريق بين الاجراءات السياسية والدوافع الوطنية ، وكانت هذه هى بداية التفكـير الذى جمعنى مع تفكير كل الجيل السياسى الذى انتمى اليه ، وهو الذى ادى الى رفض الكيان السياسى كله القائم فى مصر ، والذى كان يعتمد على النظام الملكى والاحزاب القائمة التى تمثل طبقة واحدة ، هى طبقة راس المال الاقطاعى ٠

اى ان اللورد كيلرن كان احد الاسباب التى ادت الى تاكيد الفكر الثورى ثم تحقيق الثورة٠ وهذا ما لم يعترف به اللورد كيلرن فى مذكراته ٠٠

واخيرا فقد مر على آخر الاحداث التى وردت فى المذكرات قرابة ثلاثين عاما ، وهى مـدة كافية لتجعلها كلها احداثا ملكا للتـاريخ ، وليست اسرارا تمس الحيـاة السياسية القائمة ٠٠ ونحن ننشرها للدراسة التاريخية فقط ، دون أن يكون من وراء نشرها قصد الحكم على الحياة السياسية فى مصر قبل الثورة ، ولا الحـكم على الشخصيات السياسية التاريخية التى تردد اسمها فى هذه المذكرات ٠

احسان عبد القدوس

مقدمة

حكاية ٢ مليون كلمة!

عندما وصل المندوب السامي البريطاني الى مصر في يناير ١٩٢٤، كان اسمه سير مايلز لامبسون ، وعندما رحل من القاهرة في عام ١٩٤٦ .. أي بعد ١٢ عاما قضاها في مصر كان اسمه لورد كيلرن . وطوال هذه الفترة كان يحتفظ بمذكراته اليومية كاملة - ومهما كانت الاجتماعات ، ومهما كانت العواصف السياسية كان السفير يجلس كل يوم ليملي على سكرتيره الخاص ملخصا لما جرى في ذلك اليوم .

وهكذا ترك لورد كيلرن سجلا كاملا يتألف من ٢ مليون كلمة تحكي الموقف السياسي في الشرق الاوسط بوجه عام وفي مصر بوجه خاص أثناء الفترة التي قضاها السفير في القاهرة ، وفي مذكرات كيلرن تظهر اسماء زعماء مثل تشرشل وروزفلت وديجول وايدن وتشانج كاي تشيك وجنرالات بريطانيا أثناء معارك العلمين والصحراء مثل ويفل وتيدر والكسندر ومونتجومري ، واسماء الزعماء العرب ومنهم الملك ابن سعود والرئيس السوري شكري القوتلي ونوري السعيد ، وتظهر في معظم المذكرات الشخصيات السياسية المصرية في هذه الفترة وعلى رأسها الملك السابق فاروق ورؤساء الاحزاب والوزارات الذين كانوا يتغيرون بسرعة مثل أوراق الخريف .

وقبل تعيينه مندوبا ساميا في القاهرة والخرطوم كان سير مايلز لامبسون سفيرا لبريطانيا في الشرق الاقصى ، واخر منصب تولاه قبل وصوله للقاهرة هو سفير بريطانيا في الصين ، وقد عمل قبل ذلك في طوكيو وصوفيا وسيبيريا · وبعد نجاحه في الصين تقـــرر نقله الى انقرة ·· لكن سير أوستن تشـــمبرلين وزير الخارجيـة البريطاني في ذلك الوقت قرر ارساله الى القاهرة التي كانت في نظر لندن أهم العواصم دبلوماسيا ·

وهو من اسرة لها جذور امريكية وانجليزية واسكوتلاندية ، واسم لامبسون يرجع الى أحد أجداده الذي كان جنرالا في جيش الرئيس الامريكي جورج واشنطن ·· وعندما جاء الى القاهرة كان وحيدا بعد أن ماتت زوجته واشنبل في الصين سنة ١٩٣٠ ، وهي من اصل امريكي انجليزي ايضا ، وفي السنة الاولى بعد وصوله الى مصر تزوج مايلز لامبسون للمرة الثانية من جاكلين ابنة كبير الجراحين في الجيش الايطالي الذي منح الجنسية الانجليزية بعد ذلك · وقد انجبا ثلاثة ابناء هم فكتور وجاكيتا وروكسانا ·· وجميعهم ولدوا في القاهرة اثناء الحرب العالمية الثانية ·

وفي هذه المذكرات يبدو السفير في دور الشخصية الرئيسية ·· ويلعب الدور الثاني فيها الملك السابق فاروق الذي خلف والده على العرش عام ١٩٣٧ ، ويظهر في المذكرات ممثـــلون ثانويون ومنهم امين عثمان الذي بكى السفير يوم علم بنبأ مصرعه سنة ١٩٤٦ لانه كان رجل بريطانيا المخلص لهم دائما ·



كيلرن يجلس في مقهى الرفاهة بجوار فاروق وبجانبه زوجته السعيي

غليان في مصر ..

١٩٣٤



هتلر كان قد وصل الى كرسى الحكم فى المانيا .. والحاكم البريطاني الجديد سير مايلز لامبسون كان قد وصل الى القاهرة ، كانوا يسمونه المندوب السامى البريطاني ، فى القاهرة والخرطوم ، كان كل شيء يبدو هادئا فى القاهرة ، وكان لامبسون سعيدا بهذا المنصب الجديد الذى ناله مكافأة على خدماته السابقة فى السلك الدبلوماسى البريطانى .

ولكن سحب الحرب كانت تتجمع في المنطقـــة . والعواصف السياسية والعسكرية كانت على وشك أن تهب على الشرق الاوسط وافريقيا . وفي نهاية السنة الاولى من وصول لامبســـون الى القاهرة بدأت الحرب بين بريطانيا واثيوبيا (كان اسمها الحبشـة في ذلك الوقت) في مدينة وال وال . وبينما كانت انظار العـــالم متجهة الى الحرب الدائرة عند اهم منابع النيل لم يكن احد يتوقع ان ينزلق العالم بعد ذلك بـ ٥ سنوات (سنة ١٩٣٩) الى الحـــرب العالمية الثانية .

وبالرغم من أن الحرب بين بريطانيا والحبشة كانت تبدو بعيدة جدا عن القاهرة .. الا أن لندن كان ينتابها القلق خوفا عـــلى مصر التي كانت تعتبرها أهم دولة استراتيجيا وسياسيا في الشرق الاوسط . وقد قال نابليون في مذكراته عن مصر بالحرف الواحد : « انها اهم دولة في العالم » .

وبعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ لم تفقد مصر شيئا من اهميتها رغم أن القناة قصرت المسافة بين أوربا والهند الى النصف تقريبا ، وكانوا يقولون في أوروبا دائما : « ان الذي يسيطر على مصر يستطيع ان يسيطر على اقصر طريق بحرى الى الشرق والى الخليج العربي حيث يوجد البترول » .

وبعد نمـو حركة الطيران في العـــالم ازدادت أهمية القاهرة والاسكندرية كمحطات حيوية ليس في الطريق الى شبه القارة الهندية فحسب بل الى شرق ووسط وجنوب القارة الافريقية ايضا .. ومن الناحية الاقتصادية كانت مصر مهمة ايضا بفضل ثروتها الزراعية ويعتبر وادى النيل من اخصب بقاع العالم ، وقبل اختراع الالياف الصناعية كان للقطن المصرى الطويل التيلة اهمية قصوى لكثير من المصانع الانجليزية .

ومن تاريخ مصر في هذه الفترة تقول مقدمة مذكرات كيلرن :

كانت مصر عندما احتلتها القوات البريطانية عام ١٨٨٢ تابعـة للامبراطورية العثمانية ، وكان ولاء الخديوى أو حاكم مصر في ذلك الوقت موجها الى القسطنطينية . وظل الحال هكذا حتى انضمت تركيا الى المانيا في الحرب العالمية الاولى ، وانتهزت بريطانيـــا الفرصة فاعلنت ان مصر محمية بريطانية وتم عزل الخديوى، وعينت بريطانيا احد افراد أسرة محمد على حاكما على مصر ، ومنحته

لقب سلطان ، وكان الحاكم الفعلي لمصر في ذلك الوقت هو لورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر .

وتوترت العلاقات المصرية البريطانية أثناء الحرب العالمية الاولي وبعدها • وانتشرت بعد الحرب في مصر الافكار الجديدة مثل حق تقرير المصير • وطالب المصريون بانهاء الاحتلال الاجنبي والاستقلال الوطني ، وأدى ذلك الى كثير من المتاعب والصعوبات لبريطانيا في مصر •• وانتشرت الثورة في البلاد سنة ١٩١٩ ، وقتل عدد من الجنود البريطانيين ، وظهر على المسرح السياسي في مصر حـــزب الوفد •• وبدأت المفاوضات ، ولكنها لم تنته الى اتفاق •

وفي سنة ١٩٢٢ أعلنت الحكومة البريطانية من جانبها التصريح المشهور باستقلال مصر مع ٤ تحفظات ، أهمهـــا تأمين ســـلامة المواصلات الامبراطورية ، وكان معنى ذلك استمرار الاحتــــلال البريطاني لمصر ، واستمرار وجود القوات البريطانية هناك ، وبعد ذلك استمرت المحاولات في سنة ١٩٢٨ و ١٩٣٠ لتوقيع معاهدة مع مصر لتحديد العلاقات بين مصر وبريطانيا ، وجاء النحاس باشا ، ثم ذهب النحاس باشا • وجاء بعده اسماعيل صدقي باشا ، وفي سنة ١٩٣٣ سقط صدقي باشا وجاء بدلا منه عبد الفتـــاح يحيى باشا الذى كلفه الملك بتشكيل الوزارة الجديدة •

وفي هذا الوقت كانت الحياة السياسية في مصر يسيطر عليها ويؤثر فيها الضغوط من ٣ مصادر :

(١) القصر : ويمثله الملك الذى ينتمي الى أسرة محمد على وهي من أصل ألباني تركي ، وطبقا لدستور ١٩٢٣ فان الملك يملك ولا يحكم • ولكن الهواية الملكية في ذلك الوقت كانت طرد الوزارة وتعيين أخرى بدلا منها •

(٢) الاحزاب : وكانت تصـــل عن طريق البرلمان ومن خلال الجماهير ، وكان أقوى الاحزاب في هذه الفترة حزب الوفد بزعامة النحاس باشا ، وكان خطيبا تستجيب له جماهير المصريين • ولكن القصر لم يكن يرتاح لحزب الوفد ويشك دائما في نواياه ويعتبره تهديدا لسلطة الملك •

(٣) السفارة البريطانية : وهي آخر هذه المصادر الثلاثةللضغوط على الحياة السياسية في مصر ولكنهـــا أقواها أثرا وذلك بسبب وجود القوات البريطانية في مصر •

وعندما كانت هذه القوى الثلاث تتصادم أو تتصارع حول قرار معين كانت المعارة تحسم الامر معتمدة على القـــوة البريطانية مثلما حدث بعد ذلك في حادث ٤ فبراير المشهور سنة ١٩٤٢ ، وكان أن يتكرر مرة أخرى سنة ١٩٤٣ ، وفي الاحوال العـــادية كانت القوى الثلاث تتاور وتساوم من أجل الوصول الى حل يوفق فيما بينها ، وكان مجال المناورة واسعا ، وكانت اللعبة يشترك فيهـــا الثلاثة الكبار وهم :

(١) السفير البريطاني ٠

(٢) الملك فؤاد في ذلك الوقت وبعده ابنه فاروق ٠

(٣) الاحزاب وأهم زعمائها النحاس باشا في هذه الفترة ٠

واستمرت العلاقات المصرية البريطانية في تدهور بعد فشـــل المفاوضات سنة ١٩٣٠ ٠ وفي ٨ يناير سنة ١٩٣٤ وصل سير مايلز لامبسون الى مصر ٠٠ وفي ٢٦ اغسطس ١٩٣٦ (أي بعد وصول لامبسون بسنتين تقريبا) تم توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، وكان المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي معجبا ببراعة لامبسون في ابرام هـــذه المعاهدة ٠٠ اذ كتب توينبي يقول في مجلة الشئون الخارجية :

« ما الذي جرى بين سنة ١٩٣٠ و١٩٣٦ وكيف تغير الجو هكذا في مصر وتم توقيع المعاهدة ؟ ٠٠ لا بد أن نعترف بأن هناك عدة عوامل وراء معاهدة ١٩٣٦ ، وأولها ظهور مايلز لامبسون على المسرح خلفا لسير بيرسي لورين ، ان تاريخ العلاقات المصرية الانجليزية في الاثنى عشر عاما الماضـــية كان حافلا بالمفاوضات الفاشلة ، ولكن سير مايلز لامبسون لعب في هذه المرة دور العبقري الطيب عندما وصلت المفاوضات الى ذروتها الدرامية ٠٠ أما العبقري الشرير الذي ساعد على نجاح هذه المفاوضات فهو موسوليني طبعا ٠٠ لقد شجعت الحرب بين ايطاليا والحبشة المصريين على الاتفـــاق مع الانجليز » ٠

ويمكن تقسيم الاثنى عشر عاما التي قضـــاها كيلرن في مصر الى ٤ مراحل :

أ ــ المرحلة الاولى (١٩٣٤ ــ ١٩٣٦) وتم فيها توقيع معاهدة ٣٦ في عهد حكومة الوفد ٠

٢ ـ المرحلة الثانية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) بعد توقيع المعاهدة وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية .

٣ ـ المرحلة الثالثة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٢) بعد نشوب الحرب وحتى حادث ٤ فبراير المشهور الذى عاد فيه الوفد الى الحكم . وبعدها بقليل انتصر الانجليز في معركة العلمين وبها تيار الحرب يبتعد عن مصر .

٤ ـ المرحلة الرابعة (١٩٤٢ ـ ١٩٤٦) منذ معركة العلمين وحتى انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء ورحيل لورد كيلرن من مصر .

وقد ظهرت براعة لورد كيلرن الدبلوماسية في المرحلة الاولى عندما أقنع حزب الوفد بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ . كما ظهر في المرحلة الثالثة تصميم كيلرن على فرض ارادته على الملك فاروق واجباره على استدعاء الوفد الى الحكم رغم أن جيوش رومل كانت تدق أبواب الاسكندرية .

وتقول المذكرات في مقدمتها أيضا :

لقد انتقد كثيرون من المؤرخين فى مذكراتهم الطريقة التى عامل بها كيلرن فاروق أثناء أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢ . وقال بعضهم ان السفير بدلا من أن يكسب فاروق الى صف بريطانيا كان يعامله كغلام صغير يستحق العقاب من حين لآخر . وهذه ليست دبلوماسية .

ولكن كيلرن له رأى آخر قاله لبعض أصدقائه وهو على المعاش . فقد اعترف لهم : « ان أكبر خطأ ارتكبته كان فى ٤ فبراير ١٩٤٢ . ليتنى اجبرت فاروق على التنازل فقد كنت لا اثق فيه . وليتنى وضعت على العرش بدلا منه الامير محمد على فى ذلك اليوم » .

وبعث البقشيش اللازم :

قرأه سير مايلز لامبسون شنغهاى حيث كان يعمل فى الصين سفيرا فوق العادة لمدة ٧ سنوات واستقل الباخرة فى طريقه الى مصر ، وكان قد دفن زوجته الاولى راشيل فى هونج كونج وأقلعت السفينة فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٣ ووصل السفير الى المياه المصرية فى ٧ يناير ١٩٣٤ ليتولى منصبه الجديد ، كان الملك فؤاد ما زال على العرش ، وابنه فاروق لم يبلغ الرشد ، وكان ولى العهد

في ذلك الوقت الامير محمد علي الذي شارف على الستين ، ورئيس الوزراء عبد الفتاح يحيى باشا .

ومنذ اليوم الاول في مصر بدأ مايلز لامبسون يدون مذكراته و كتب يقول :

● الاحد ٧ يناير ١٩٢٤ :

وصلنا الى السويس ، وكان الجو باردا للغـــاية ، وكان في انتظاري كميه بريد هائلة من القاهرة ، دفعت فواتير الرحـلة في الباخرة وتركت للبحارة بقشيشا قدره ١٩ جنيها استرلينيا و١٠ شلنات ، دخلنا قناة السويس في السادسة صباحا ، كانت القنــاة خالية تقريبا من السفن طوال الرحلة الى بورسعيد وتوقفنا في الاسماعيلية نصف ساعة ، ووصلنا الى بور سعيد في الخامسة والنصف بعد الظهر .

كان في استقبالي في بورسعيد رجال السفارة الذين جاءوا من القاهرة ، وبرراءهم محافظ القناة وكبار مديري شركة قناة السويس . وأثناء انزال حاجاتي من الباخرة جلست اتحدث مع رجال السفارة عن الحالة السياسية في مصر ، وكنت لا اعرف شيئا عنها ، وكان الحديث الذي استمع اليه يبدو محيرا ، ولكني كنت واثقا ان كل شيء سوف يكون على ما يرام بعد فترة اتعلم فيها كل شيء عن مصر . وركبت القطار الى القاهرة لاصل اليها في اليوم التالي .

● الاثنين ٨ يناير :

وصلنا الى محطة القاهرة ، كان في انتظاري هناك ايضا عدد كبير من المسئولين البريطانيين ومعهم رئيس الوزراء المصري عبد الفتاح يحيى باشا الذي كان ايضا وزيرا للخارجية ، وظللت نصف ساعة أصافح الموجودين واتعرف على اسمائهم ، ثم وصلت الى السفارة والى المنزل الذي سأقيم فيه ، كان يبدو لاول وهلة قبيحا وفي الايام الاولى اضطررت الى اقتراض بعض الاطباق والاكواب من فندق سميراميس المجاور حتى ترتب ابنتي اثاثنا .

وبعد الظهر ذهبت لزيارة هرم زوسر المدرج وتحــدثت الى المهندس الفرنسي الشاب الذي كان يشرف على عمليـــات الحفر هناك . ولدهشني أن هذه الاحجار التي كنت انظر اليها عمرها اكثر من ٥ آلاف سنة ، وتذكرت سور الصين العظيم ، ولكن كان يبدو

من الواضح أن قدماء المصريين اكثر فنا واحساسا بالجمال ، لم يكن هناك أثر لعملية قطع الاحجار ، كان كل شيء يبدو دائما ناعما وجميلا ، اما احجار الجرانيت الكبيرة في سور الصين العظيم فانها لم تلق مثل هذه الدقة والاهتمام .

وكان هذا اول درس لي في الحضارة المصرية القديمة .

● الثلاثاء ٩ يناير :

توجهت لمقابلة الملك فؤاد في قصر القبة . في الطريق قال لي مستشارنا المالي ان هناك ٦٠٠ مستشار انجليزي يعملون في خدمة الحكومة المصرية ، وان ٢٠٠ من هؤلاء في المناصب العليـــا . واعجبني قصر القبة للغاية وخصوصـا حدائقه الجميلة . استقبلني الملك على الفور ، وكان يحاول أن يكون لطيفا معي .. وهو قصير القامة ممتلىء اكثر من اللازم . وكان واضحا انه يهتم كثيرا بدهان شاربه بالشمع ورفع طرفيه الى أعلى .

وكان انطباعي العام بعد اول مقابلة مع الملك فؤاد انه شخص يسهل التعاون معه ، وانه قد لا يبدو ذكيا ولكنه عـــلى قدر من الدهاء . وخيل الي انه قد يضعنا في موقف حرج اذا اضطررت الى الدخول في صدام معه يوما او اذا حاولت توبيخه ، واخذت اسأل نفسي :

.. ترى ما الذي يحدث مع هذا المخلوق اذا حاولنا ان نجعله يفعل شيئا لا يريده ؟

وآثرت ان اترك الايام تجيب على هذا السؤال في الوقت المناسب

● الاربعاء ١٠ يناير :

لم يكد يمضي على وصولي الى القاهرة ٤٨ ساعة حتى نشبت اول ازمة بيني وبين المصريين .. قد ذكرت من قبل ان من بين الذين كانوا في استقبالي بمحطة القاهرة عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصري . وجرى العرف الدبلوماسي أن يكون وزير الخارجية في استقبال السفير ، ولكن عبد الفتاح يحيى قال انه كان في المحطة بوصفه رئيسا للوزراء ، وانه بهذه الطريقة يكون قد قام بزيارة المجاملة الاولى لي ، وان علي أن ارد له الزيارة في مكتبه .

كان الامر يبدو أشبه بعاصفة في فنجان • وحاولت تسويتها خارج نطاق القصر ، ولكن رئيس الوزراء المصرى تمسك بموقفه وصمم أن ارد له الزيارة في مكتبه ، وعقدت اجتماعا عاجلا في السفارة لبحث الموقف ، واجمعت آراء الحاضرين الا أتراجع عن موقفي • وان أرفض الذهاب الى رئيس الوزراء قبل أن يأتي هو أولا لزيارتي

وعهدت للسكرتير الاول بابلاغ هذا القـــرار لرئيس الوزراء ، ولننتظر ونرى ما الذى سيفعله • وكنت في الواقع مستاء أن يحدث هذا في الاسبوع الاول بعد وصولي ، وبرغم تفاهة الواقعة الا أن مغزاها كان كبيرا بالنسبة لي ، وكانت مثالا لما يجب أن أتوقعه بعد ذلك من المصريين •

ومرت فترة انتظار ليست قصيرة ، وفي أثنائهـــا سافرت الى بريطانيا لاجراء مشاورات مع الخارجية ، ودعاني الملك للغداء معه ومع ملكة بريطانيا ، كان الملك مهتما بأخبار مصر ، ولكنه لم يكن يوافق على حث المصريين بجلاء القوات البريطانية عن القاهرة والاسكندرية ، وطلب منى الملك أن أبلغ تحياته للملك فؤاد وأن أكتب له دائما بعد عودتي عن الاحوال في مصر •

فنجان شاي مع فاروق :

● ٢ فبراير :

عدت الى القاهرة لاستئناف زيارات المجامـــلة • قمت بزيارة الامير محمد على • وزارتني السيدة صفية زغلول ، كما زارني حسن باشا السفير المصرى في برلين في ذلك الوقت وفي بريطانيا بعد ذلك ، كما زارني حاييم ناحوم الحاخام الاكبر في مصر ، وبعده جاء امين عثمان افندي (لقبه في ذلك الوقت وبعدها أصبح باشا) ، وهو خريج كلية فيكتوريا بالاسكندرية ودرس في جامعة اكسفورد ، وقد لعب دورا كبيرا أثناء المفاوضات لابرام معاهدة ١٩٣٦ ، كما أدى خدمات جليلة لبريطانيا لتنفيذ المعاهدة في الايام العصيبة أثناء الحرب العالمية الثانية • وكانت خسارة لنا عندما سقط بعد ذلك برصاص أحد المصريين •

● ١٩ فبراير :

- تمت تسوية الازمة بيني وبين رئيس الوزراء المصرى عبد الفتاح يحيى باشا ، فقد زارني في مكتبي في العاشرة والنصف صباحا ،

وحددت له الزيارة بعدها بساعة واحدة ، ثم زرته مرة أخرى في الثانية عشرة والنصف بوصفه وزيرا للخارجية هذه المرة ، وحتى أرد له استقبالي في المحطة .

وانتهزت الفرصة وابلغت عبد الفتاح يحيى باشا ان ملك بريطانيا طلب أن يسافر ولي العهد الامير فاروق الى بريطانيا ليكمل تعليمه هناك ، وكان رئيس الوزراء المصري متفهما ومتعاونا ولكنه ابدى ان الصعوبة الوحيدة أمام هذا الاقتراح ان الملك فؤاد قضى أيام شبابه في ايطاليا . وتعلم هناك اللغة الايطالية وانه يقاسي من عقدة أنه لم يتعلم اللغة التركية في وقت مبكر . وان الملك فؤاد مصمم الا يقع ابنه فاروق في نفس الخطأ ، ولهذا فهو مهتم جدا بتعليمه اللغة التركية منذ الآن ..

وقال لي رئيس الوزراء ان الامير فاروق اذا سافر الى انجلترا فلن يستطيع ان يتقن اللغة التركية كما يريد الملك . وافهمته ان هذا الامر يمكن تسويته ، وان الامير فاروق اذا سافر ليدرس في كلية ايتون فانه يمكن احضار مدرس يعطيه حصصا اضافية هناك في اللغة التركية .

وبعد ذلك افهمني رئيس الوزراء ان الملك فؤاد وافق على سفر ابنه فاروق الى انجلترا . ولكنه يفكر في ان يرجئ الرحلة حتى يبلغ الامير ١٦ عاما ، وقد عارضت هذه الفكرة بشدة ، وطلبت ان يسافر الامير في اسرع وقت . وقال لي عبد الفتاح يحيى باشا انه أقنع الملك فؤاد أن الامير يجب ان يسافر كشاب عادي والا تذهب معه حاشية مبكية حتى لا يحسد هناك ، ووافق الملك فؤاد على هذا الرأي .

● ٢٣ فبراير :

قابلت الامير فاروق لاول مرة في استعراض للطيران ، ادهشني انه لم يكن يبدو مدللا . ولكنه كان ضخم الجسم بالنسبة لسنه (١٤) وكان يبدو ناضجا ، فقد كان يضحك لكل نكتة يسمعها ، وكان يتحدث الانجليزية بطلاقة وبعد انتهاء العرض دعانا الى تناول الشاي في خيمته الخاصة . وقضيت معه وقتا طويلا نتحدث عن رحلته القادمة لبريطانيا ليتعلم هناك .

النحاس على السلم :

● ٢٠ مارس :

اقمنا حفل استقبال كبيرا في حديقة السفارة ودعونا اليه ٢٠٠ شخص تقريبا من بينهم جميع الزعماء السياسيين في مصر بغض النظر عن الاحزاب التي يمثلونها ، وكان من الطبيعي ان يحضر النحاس باشا الحفل ، كان النحاس في ذلك الوقت زعيما لحزب الوفد والسياسي الذي يتحدث عنه الجميع في مصر . وكان مسليا لنا نحن اعضاء السفارة أن نراقب اثناء الحفـــل كيف يتصرف النحاس وباقي الزعماء عندما يتقابلون في الحديقة .

كان منظر النحاس باشا يبدو عجيبا . وعندما كان يصعد سلم السفارة كان ذيل البالطو الاسود الطويل الذي ارتداه خصيصا لهذا الحفل يهتز يمينا ويسارا ، وكان يتعمد أن ينفخ صدره وهو يقترب مني وكانه يتحدى العالم ، وكنت اقف على قمـــة الدرج استقبل الضيوف وأرحب بهم .

وبعد أن حضر الجميع نزلت الى الحديقة وتحدثت الى كل واحد من رؤساء الوزارات السابقين على انفـــراد .. وكان من بينهم النحاس باشا . وكان كل ما يهمه من الحديث أن يعرب لى عن قلقه لنقص تعليم اللغة الانجليزية في مصر .. ولم يتطرق الحديث بيننا الى المســائل السياسية بالمرة ، وتحــدثت بعــد ذلك الى اسماعيل صدقي باشا الذي كان صديقا مفضلا لسير بيرسي لورين سفيرنا السابق ، وتحدثت أيضا الى محمد محمود زعيم حزب الاحرار ، وبدا لي أن كلا من صدقي ومحمد محمود على درجة كبيرة من الذكاء وانه من السهل أن يخضعا عند الضرورة لتعليمات السفارة .

العابدين في السفارة :

عدت من رحلة الى مرسى مطروح والسلوم . وفي مرسى مطروح طلب حفيد السنوسي الكبير من ليبيا موعدا لمقابلتي (الملك السابق ادريس السنوسي) . وكان شابا ولكنه كان يبدو مختلفا عن الباقين .. وتحدثنا عن الحالة في بلاده . وقال لى انه لاجىء في مصر وانه استقر في مرسى مطروح بعد أن هرب من طرابلس . وقرب نهاية الزيارة عرفت الغرض من قدومه .. فقد طلب مني أن أتوسط لدى وزارة الأوقاف المصرية لزيادة المعونة التي يتلقاها .. وقد وعدته بذلك .

وبعد عودتي الى القاهرة اكتشفت انه يتقــاضي من الاوقاف المصرية مرتبا شهريا قدره ١٨ جنيها ، وكان عليه أن يعول أسرة كبيرة تتألف من زوجاته الاربع وعدد كبير من الاقارب • ويبدو أن الايطاليين كانوا قد استولوا على كل ممتلكاته فى طرابلس • ورفضوا ان يعطوه أي شيء من دخلها الا اذا عاد الى ليبيـــا • وسألته اذا كان مستعدا للعودة الى بلاده تحت حكم الايطاليين فأكد لى انه لن يعود مطلقا الا اذا خرج (الطلاينة) وقد حرصت ان ادون فى مذكراتي هذا اللقاء مع واحد من أسرة السنوسي الذي سمعنا عنه كثيرا •

وكان أول شيء حرصت أن افعله بعد عودتي الى القاهرة البحث عن طريقة لتخلص من الثعابين الموجودة في حديقة السفارة وفي البدرومات . ونصحني أحدهم ان أبحث عن ساحر مصري متخصص فى استخراج الثعابين من جحورها • وفعلا احضر لى البوليس رجلا مشهورا في هذا المجال • وتوجهت معه الى الحديقة حيث استخرج من طرفها الشمالي ثعبانا كبيرا من النوع غير السام • وقال الرجل ان هــذا النوع من الثعابين يعيش على العصافير • وتجولنا في أنحاء الحديقة ، ولكننا لم نجد شيئا بعد ذلك •

واقترح أحد حراس السفارة أن نبحث فى البدروم ، وتوجهنا الى هناك • ووجـــدت المكان ممتلئا بالصناديق وحقــائب السفر المبعثرة فى كل مكان • وتوقف الرجل عند مكان معين وقال ان هنا ثعبانا كبيرا •• ومن المحتمل أن يكون من نوع الكوبرا • وبدأ الرجل يتلو اناشيده وينفخ في مزماره حتى تمكن أخيرا من انتزاع الثعبان من خلف كومة من الخشب القديم • وكنت في غاية الدهشة مما يحدث امامي • وكان كل شيء يبدو حقيقيا لانني اتخذت كل الاحتياطات ضد اي تلاعب • فقد قام حراس السفارة بتفتيش الرجل بدقة قبل دخوله حتى لا يخفي الثعابين داخل ملابسه ثم يزعم بعد ذلك انه اخرجها من المكان - كما طلبت من البوليس أن يحتجز حقيبته الجلدية الصغيرة وكان بها عدد من الثعابين •

وبالاضافة الى ذلك فان كل مكان كان الرجل يعثر فيه على أحد الثعابين كنا نرى بوضوح اثار الثعبان على الارض أثناء تجوله ليلا • ولهذا فاني مقتنع تماما ان الرجل قدم لنا عرضا حقيقيــا فى فن استخراج الثعابين • وهو شيء يدعو للدهشة والاستعجاب والاغرب من ذلك انه بعد استخراج ثعبان ثالث من نوع غير سام

فى بدروم الفوضية دعانا الرجل لمشـــاهدة قدرته فى التحكم فى الثعابين • وعدنا الى الحديقة • وأطلق الرجل ثعبان الكوبرا الذى اصطاده • وبحركة من يده كان الثعبان ينطلق مسرعا • وبحركة أخرى كان ينجمد فى مكانه وكان ذلك شيئا مذهلا • واذا كانت هناك فى الامر لعبة من أى نوع فانها لعبة جيدة • ولكنى شخصيا أعتقد ان ما رأيته كان حقيقيا •

غرام فى مصر •• وزواج فى لندن !

فى آخر يونيو ١٩٢٤ انتقل الجميع الى الاسكندرية لقضاء فصل الصيف هناك • ولم يكن نقل السفارة وأوراقها والعاملين بها شيئا بسيطا • وقدمت الحكومة لى نفس القطار الذى كان فى انتظارى فى يوم صعود عند حضورى الى مصر لاول مرة • وهو أيضــا القطار الذى سافرت فيه من قبل مرتين الى الاسكندرية • وكان مريحا للغاية • وكان الشىء الذى روعنى بعد وصــولنا الى الاسكندرية ازدحام الشواطىء بالناس • وبحثنا طويلا عن مكان مناسب حتى وجدناه فى أبو قير حيث كان يوجد معسكر لسلاح الطيران الملكى البريطانى •

واثناء اجازة الصيف فى الاســـكندرية قابلت لورد ويلنجدون وزوجته وهما فى طريق العودة من بريطانيا الى الهند حيث يعمل اللورد نائبا للملك • وكعادة السيدات ابلغتنى ليدى ويلنجدون التى كانت تجلس بجوارى اخر الشائعات فى لندن سنة ١٩٢٤ : كان نجم اوستن شمبرلين فى صعود • وكان واضحا انه صاحب أكبر نفوذ سياسى فى بريطانيا فى ذلك الوقت • اما تشرشل فقد كانت أسهمه فى الارض بعد تصرفه بغباء فى مسألة الهنـــد • والنطونى ايدن يعتقدون انه لا بأس به • ولكن الاجانب رغم اعجابهم به لا يعتقدون انه ماهر فى لعبة السياسة •

وقالت لى ليدى ويلنجدون أيضا ان الناس فى بريطانيا لا يبدون أقل اهتمام بأخبار مصر •• وان اهتمامهم كله موجه الى الهند والورقة البيضاء التى تنوى الحكومة اصدارها • واعترفت لى ان بعض صحف بريطانيا تتهمها هى وزوجها بالرشوة والفساد • وقال لى زوجها انه اشترى على حساب حكومة الهند طائرة تتسع لعشرين شخصا ليستخدمها فى رحلاته الخاصة •

وتقول المذكرات :

فى تلك الصيف حدث شيء لا يتصاه السفير • فقد زارته فى مصر ابنة شقيقه بنى لامبسون ومعها صديقتها الانســة جاكلين كاستيلانى • وهى ابنة طبيب مشهور فى شارع (هارلى ستريت) بلندن ويدعى سير ألدو كاستيلانى • وظلت الاثنتان مع أسرة السفير طوال الصيف حتى عادت الاسرة الى بريطانيا لقضــاء اجازتهــا هناك • وقد وقع السفير ، وكان فى الرابعة والخمسين من عمره فى تلك الوقت ، فى غرام الآنسة جاكلين • وكانت أصــغر منه ســنا بما لا يقل عن ٣٥ عاما • اذ أنها لم تتجاوز التاسعة عشرة فى تلك الوقت •

وكانت جاكلين جميلة وجذابة • ومنذ أول لقاء دق قلب السفير لها • وظل هذا الغرام مشتعلا بعد ذلك طول حياته • وقد تزوجا فى أواخر ديسمبر ١٩٣٤ بعد عودتهما الى انجلترا من مصر • وكان السفير يدعوها باسم الدلع الذى اختاره لها (جاكيتا) بدلا من جاكلين • وكان مغرما بهذا الاسم حتى انه أطلقه على ابنتهما الكبرى •

ويقول السفير عن يوم زواجه الثانى من جاكيتا فى المذكرات :
فى الرابعة بعد الظهر تمت مراسم الزفاف بكنيسة سان جورج بلندن • كنت أخشى أن تبدو على مظاهر القلق والتوتر • ولكنى كنت هادئا • وكانت جاكيتا تبتسم الى جوارى ونحن نوقع عقــد الزواج • وخرجت من الكنيسة وهى ممتدة فى ذراعى بعد أن أعلن القس اننا أصبحنا زوجين •

١٩٣٥

موسولينى مصمم على الحرب :

تقول المذكرات : عاد المندوب السامى البريطانى الى مصر فى ٩ يناير ١٩٣٥ ليجد ان الملك فؤاد قد اقال وزارة عبد الفتاح يحيى باشا • واتى بدلا منه بتوفيق نسيم باشا كرئيس للوزراء •

وقد وصف بروفيسور تويمبى ذلك بأنه نقطة تحول فى الســياسة المصرية • وقال ان التغيير يعكس فى حد ذاته تضاؤل نفوذ القصر • كما انه يمهد الطريق لعودة القوى الوطنية الى الحكم •

ويقول المندوب السامي في مذكراته : عدت الى مصر لاجد الملك فؤاد مريضا للغاية في قصر القبة . وقالوا لي انه لن يستطيع التحدث معي اكثر من ١٠ دقائق . ولهذا كانت مفاجأة لي ان الملك ظل يحتفي على البقاء حتى قضيت معه ساعة ونصف الساعة . والواقع انى تخلصت منه بصعوبة بعد كل هذا الوقت . وقد سرنت في مذكرة بعثت بها الى لندن بعد ذلك أن الملك يبدو مريضا فعلا . وان لونه سيىء للغاية . وان وجهه منتفخ وشاحب ولكن مظهره الخارجي كان افضل مما كنت اتوقع . وقد نقلت اليه تحيات ملك بريطانيا الذى تحدث عن الملك فؤاد في عبارات طيبة وتمنى له سرعة الشفاء . وطلب منى الملك فؤاد ان اشكر ملك بريطانيا على اهتمامه بصحته .

وفي أوائل الصيف بدأت مشكلة ايطاليا والحبشة (اثيوبيا الان) تتخذ ابعادا خطيرة . وفي شهر مايو زارني في السفارة والد زوجتي سير الدو كاستيلاني وهو من أصل ايطالى وقد منح بعد ذلك الجنسية الانجليزية . وكان مكلفا بالذهاب الى اريتريا للتفتيش على الترتيبات الصحية للقوات الايطالية في اريتريا والصومال . وبعد عودته من هناك قال لي ان موسوليني مصمم على الحرب في الحبشة . وتوجهنا معا الى مقر المفوضية الايطالية بالقاهرة لمقابلة وكيل وزارة المستعمرات الايطالى الذى كان يبدو لي من الجيل الجديد من السياسيين الشبان الذين لا يعرفون شيئا عن الاحوال الدولية .

واذهلني هذا الايطالى عندما قال لى : لماذا لا تقبل بريطانيا مثل فرنسا وتوافق على الانضمام الى ايطاليا في حملتها في شرق افريقيا على ان يقتسم الثلاث بعد ذلك الغنائم معا . واكد لى الرجل انه من ناحية ايطاليا فانها لن تمانع أن تأخذ بريطانيا بحيرة تانا التى تعتبر أحد المنابع الهامة لنهر النيل . وقال أيضا ان فرنسا سوف تأخذ نصيبها من هذه العملية في الصومال . وعندما سألت هذا السياسى الايطالى عن التزامات ايطاليا امام عصبة الامم وفي معاهدتها مع الحبشة ظهر لي انه جاهل وانه رغم كل الابتسامات التى يثيرها يعتبر شخصا عاديا وليس من طراز خاص .

واثناء عودتنا شكا لى والد زوجتي من احتمال تدخل موسوليني لاستدعائه للعمل مع القوات الايطالية في افريقيا . وقال ان ذلك سوف يعطل أعماله وارتباطاته في امريكا وبريطانيا ومختلف العالم

العالم بوصفه متخصصا فى أمراض المناطق الحـــارة وقد شعرت بالرثاء له فى ذلك الوقت وخاصة عندما قال :

ـ اذاهبت وكنت ايطاليا لاتحاول أن تقف فى وجه موسولينى.

وتقول المذكرات بعد ذلك : فى اواخر الصيف توجه المنـــدوب السامى لقضاء اجازته فى بريطانيا . ولكن الحـــكومة طلبت منه العودة بسرعة الى القاهرة لتدهور الموقف بعد نشوب الحرب بين ايطاليا والحبشة وتدخل عصبة الامم فى الموقف .

ثروة فؤاد فى بنوك ايطاليا :

وفى اوائل أكتوبر ابحر الامير فاروق من رأس التين الى انجلترا لاتمام تعليمه هناك . كان يتحدث الانجليزية بطلاقة . وكان يبدو كغلام انجليزى ممتلىء قليلا . واعتقد انه مدين بالكثير لمربيته الانجليزية مسز نايلور التى جعلته يبدو هكذا . وكان يبدو عليه السرور لرحلته الى بريطانيا .وقلت له ان الشعب البريطانى سوف يرحب به. والواقع اننى تأثرت به .. فقد كان يبدو شابا لطيفا فى ذلك الوقت .

وفى نوفمبر مر بالقاهرة صديقى فيلبى . وهو مؤلف ومستكشف بريطانى كان يبدى اهتماما بالعالم العربى . وهو والد كيم فيلبى رجل المخابرات البريطانى الذى هرب الى الاتحاد السوفيتى فى أوائل الستينات . وقال لى فيلبى انه فى طريقه للمملكة العربيـــة السعودية بعد جولته بالسيارة هو وزوجته فى شمال افريقيا . وقال انه لم يلحظ أية تحركات عسكرية للقوات الايطالية فى ليبيا حتى وصل الى مرسى مطروح فوجد المنطقة كلها تعج بالنشـــاط العسكرى .

واقترح فيلبى ان اقوم بزيارة للسعودية فى يوم ما واقابل الملك ابن سعود . وقال ان هذه الزيارة قد تكون شيئا مفيدا لبريطانيا . وكنت أود كثيرا ان أقوم بهذه الرحلة ولكنى اضطررت الى تذكيره ان وزارة الخارجية فى لندن لا يهمها كثيرا ان يقوم ممثلها فى دولة ما بزيارة الدول المجاورة . وفوق ذلك فان العالم كله يعرف قصة العداء بين الملك فؤاد والملك ابن سعود .

وكان الملك فؤاد يطمع بعد تفكك الامبراطورية العثمانية ان يصبح خليفة للمسلمين . ولكن الملك ابن سعود حرمه من هذا اللقب .

ولهذا كان يشعر نحوه بمرارة شديدة . وقلت لفيلبي انني اذا قمت بزيارة السعودية في ذلك الوقت وقابلت الملك ابن سعود فان الملك فؤاد لن يكون سعيدا بذلك . وسوف تثور الشكوك في رأسه . ووافقني فيلبي على ذلك .

وزارني بعد ذلك رجل الاعمال روبرت رولو . واثناء حديثنا معا علمت منه أن الملك فؤاد دعاه الى الاسكندرية عندما سمع نبـــأ عودته من أوربا . وقال لي ان الملك فؤاد في صحة جيدة الآن ولكنه شفي من المرض . وكنت اعرف ان رولو يعمل كوسيط مالي للملك في عدة صفقات . وانه كان صديقا حميما للملك قبل ان يجلس على عرش مصر . وظل الحال هكذا بعد ذلك .

وكانت مفاجأة لي عندما اخبرني رولو ان الملك فؤاد رجـــل ثري للغاية . وان الملك كلفه اخيرا ان يشرف شخصيا على عملية نقل ٤٠٠ الف جنيه استرليني باسم الملك الى ايطاليا . وقال لي رولو انه لا يعرف اذا كان الملك قد نجح في اخراج هذا المبلغ ومبالغ أخرى مماثلة أودعها هناك وخاصة أن الحرب بين الحبشة وايطاليا جعلته يخشى على ثروته في بنوك ايطاليا .

وعندما ابديت دهشتي من الارقام التي ذكرها رولو قال لي ان الملك فؤاد يجني ثروة طائلة سنويا من املاكه الزراعية . كما انه لجأ اخيرا الى المتاجرة في الاراضي . فكان يشتري باسعار منخفضة ويبيع بارباح خيالية . وقد ظل رولو مسئولا عن الاحوال المالية للملك فؤاد فترة طويلة . وبعد ذلك جاء مكانه الابراشي باشا الذي سيطر على كل شيء عندما عينه الملك رئيسا للديوان الملكي .

١٩٣٦

شاي .. ومفاوضات :

في هذا الجزء من المذكرات يتحدث لورد كيلرن عن اهم سنة في حياته في مصر . وهي سنة توقيع معاهدة ١٩٣٦ . وتقول المذكرات ان نسيم باشا استقال في ٢١ يناير من هذا العام .. وان النحاس باشا رفض تشكيل حكومة ائتلافية . وتتحدث المذكرات عن المظاهرات المعادية للانجليز والاحتلال فيقول كيلرن ان اعمال (العنف) تجددت بين طلبة الجامعات والمدارس .. وان الاطفال في المدارس الابتدائية اشتركوا فيها ايضا .

وتتحدث المذكرات بعد ذلك عن الظروف التي أدت الى عقد معاهدة ١٩٣٦ فتقول ان القوى الوطنية في مصر التي كان يمثلها الوفد والنحاس باشا كانت قد ألمحت عن طريق نسيم باشا رئيس الوزراء قبل استقالته انها مستعدة للاتفاق مع بريطانيا · وفي ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ تشكلت جبهة متحدة من جميع الاحزاب · وكان من الطبيعي أن تضم الجبهة حزب الوفد · وبعد ذلك ـ كما جاء في المذكرات ـ ابلغ زعماء الاحزاب سير مايلز لامبسون (المندوب السامي البريطاني) انهم مستعدون للتفاوض مع بريطانيا للوصول الى معاهدة تحكم العلاقة بين البلدين · وطلب الزعماء ان تكون مسودة مشروع معاهدة ١٩٣٠ التي فشلت تماما أساسا للمفاوضات الجديدة ·

وفي ٢٠ يناير ١٩٣٦ شكل على ماهر باشا ـ بموافقة الوفد ـ وزارة محايدة · وكان من ضمن بنود الاتفاق بين الزعماء المصريين ان يرأس النحاس باشا وفدا يمثل جميع الاحزاب المصرية ، وان يتولى هذا الوفد المفاوضات من أجل المعاهدة ·· على ان يتم بعد ذلك اجراء الانتخابات العامة في شهر مايو ·

وفي أواخر شهر يناير من هذا العام توفي الملك جورج ملك بريطانيا · وخلفه ابنه أمير ويلز · ويشير المندوب السامي البريطاني الى ذلك في مذكراته فيقول :

ان هذه أسوأ لحظة في تاريخ بريطانيا · فاننا أحوج ما نكون الى يد حكيمة تقودنا في هذا الوقت العصيب ·· ليس فقط بسبب المشكلة المصرية الصغيرة نسبيا ، ولكن لحماية مصالحنا في العالم كله ·

وبعد ذلك يتحدث المندوب السامي البريطاني عن مفاوضات معاهدة ١٩٣٦ فيقول في يومياته في ٢ مارس ٣٦ بالقاهرة : في الساعة الثالثة و٤٠ دقيقة بعد الظهر توجهنا الى قصر الزعفران في رتل من السيارات لبدء الجلسة الافتتاحية لمباحثات المعاهدة · وكالعادة في مثل هذه الامور كان التنظيم جيدا وسار كل شيء على ما يرام · والى جانب أعضاء الوفدين المصري والبريطاني في المحادثات كان هناك حوالي ١٥٠ شخصا آخرين معظمهم من أعيان المصريين وكبار المسئولين الاجانب ·· وأيضا عدد كبير من الصحفيين ·

وفي الجلسة الافتتاحية تقرر الاكتفاء بخطبتين فقط : احداهما لي والاخرى للنحاس باشا • وهنا ايضا سارت الامور على ما يرام وقد لا يعني ذلك الكثير • ولكن احساسي كان ان الجانب المصري يظهر شيئا من التودد في بداية المحادثات • وبعد القـــاء الخطب تأجلت المحادثات • ونزلنا جميعا الى الحديقة لتناول الشاي في الظل تحت أشجار النخيل ومرة أخرى كان النظام جميلا • ولا شك أن المصريين يجيدون مثل هذه الترتيبات • وقد جلست وانا احتسي الشاي الى جوار النحاس باشا • وعلى الجانب الاخر كان يجلس الى جوارى زيور باشا •

ولم نتحدث ــ النحاس وانا ــ عن المعاهدة في هذا اليوم • فقد كان كل منا يستعد للجولة القادمة بعد اسبوع •

ثم مات الملك فؤاد :

وهكذا بدأت مفاوضات معاهدة ١٩٣٦ • ولم يكن أحد يجرؤ على التكهن بالنهاية التي ستصير اليها • واعتقد ان الغالبيـــة العظمى لم تكن تأمل في اي نجاح للمفاوضات• ولكني شخصيا لم أكن واثقا من هذا الرأى • فعلى عكس جميع الاحتمالات كان لدى شعور خاص أو احساس معين بأن فرصة نجاح المفاوضات اكبر بكثير مما يمليه العقل •

واثناء المحادثات مات الملك فؤاد في ٢٨ ابريل الساعة الواحدة و ٢٠ دقيقة بعد الظهر • كنت في ذلك الوقت اتناول طعام الغداء عندما استدعاني سكرتيرى الخاص وابلغني ان على ماهر باشا اتصل تليفونيا لابلاغي ان الملك فؤاد قد مات • وارتديت ملابسي الرسمية للحداد على عجل وتوجهت الى قصر القبة في الثالثة بعد الظهر • وقابلني ذو الفقار باشا كبير الامناء • ونقلت اليه تعزيتي • كما أبلغته ان الجميع يعرفون مدى اخلاصه وولائه للملك الراحل •

ومن قصر القبة توجهت الى مقر رئاسة الوزراء لتعزية عـــلي ماهر باشا • وهناك وجدت اضطرابا ظاهرا بين الوزراء الـــذين كانوا يجرون هنا وهناك مثل الفراخ المذعورة وكان من الواضح انهم لا يدرون ماذا يفعلون • وكان على ماهـــر باشا ما زال في القصر • فجلست في انتظاره وانتهزت الفرصة فتحدثت الى الوزراء في اجتماع ضمهم جميعا عن اسف الحكومة البريطانيــة واسفي الشخصي لوفاة الملك • وانضم الى بعد القاء هذا الخطاب الرسمي

على ماهر باشا الذى كان من الواضح انه تأثر بشدة لموت الملك فؤاد لانه كان من المخلصين له .

وفى جنازة الملك فؤاد مرنا خلف النعش الذى خرج من قصر عابدين . وكان على ماهر والامير محمد على الذى كان يمثل فاروق خلف النعش مباشرة . وبعد ذلك الامراء ثم الديلوماسيون الاجانب ومن بينهم انا . وخرجنا من القصر الى الشارع الرئيسى وظللنا نمشى خلف النعش المحمول فوق عربة مدفع ببطء قرابة ساعتين حتى وصلنا الى مسجد الرفاعى .

وطوال الطريق كانت تضايقنى أصوات النســـاء وهن يولولن وخاصة فى شارع محمد على . وقال لى صدقى باشا الذى كان يسير بجوارى ان هذا (الصوات) ليس من الاسلام فى شىء . وأفزعنى اكثر من ذلك منظر الذبائح التى احضروها وذبحوها امامنا فى الشارع . ولم أنس بعد ذلك بسهولة هذه الحيـــوانات وهى تصارع الموت والدماء تغطى الشارع حول اقدامنا .

وعند المسجد حيث كان الملك فؤاد سيدفن بعد ذلك جلسنا فى لخيمة الى جوار المسجد فى انتظار انتهاء الصـــلاة على الميت . وجلس الى جوارى الامير محمد على واخذ يحدثنى عن حقه فى الوصاية على العرش . وكنت متحفظا فى الحديث ولكنى اعطيته الانطباع بأن طلبه سوف يتحقق . وبعد انتهاء دفن الملك عاد كل منا الى منزله . وكانت اقدامى تؤلمنى للغاية وأصبحت (بكالو) فى أصابع القدم . وتساءلت ما الذى فعله المتقدمون فى السن مثل نوفى الفقار باشا . وعلمت انه مشى لمدة نصف ساعة فقط فى الجنازة وبعد ذلك حملته سيارة الى المدافن وعادتها الى منزله .

واخذت افكر : ترى ماذا يحدث بعد وفاة الملك فؤاد ؟

كان على ماهر فى الفترة الاخيرة قد اقنع الملك فؤاد ان يغمـــد سيفه وأن ينسى خلافاته الشخصية والعداء الذى كان يكنه لبعض زعماء الاحزاب . وكان على ماهر هو الذى اقنع الملك قبل وفاته بشهور قليلة أن يصدر بيانا وطنيا الى الامة وأن يؤيد فكرة الجبهة المتحدة للاحزاب التى كانت ستتفاوض مع بريطانيا . وهكـــذا تحسنت صورة الملك قليلا فى اخر ايامه .

والشىء الذى كان يعنينى هنا كممثل لبريطانيا ان الملك فؤاد رغم انه كان فى نظرى زبونا سيئا احيانا الا انه كان عاملا مهما جدا فى الموقف لاننا كنا نستطيع ان نجعله يتصرف كما نريد فى النهاية .

والواقع انه كان اشبه بستار اخير بيننا وبين أحزاب مصر السياسية . وأي تصرف كنا نريده كان من الممكن أن يتم عن طريقه . والان .. بعد أن مضى فاني اعتقد ـ بل اني واثق ـ اننا مقدمون على فترة صعبة ومرهقة . كما ان وجود الملك فاروق وهو شاب لم ينضج بعد لن يجعل الامور أسهل . وبكل صراحة لست أدرى كيف نتصرف . ولكني سوف اترك الامور للزمن ، ويكفي ما لدينا من مشاكل الآن .

وفي ٦ مايو أى بعد وفاة الملك فؤاد بحوالى اسبوع عاد الملك فاروق الى مصر . وقد استقبلته في المحطة ، وكان هناك عدد كبير من الاعيان . وقابلني على باب المحطة الامير محمد علي ويوسف كمال . ووسط طلقات المدافع وأزيز الطائرات التي كانت تحيي الملك الصغير وصل فاروق وكان يبدو عليه التعب والارهاق واثناء مصافحتي له قال لي انه كان مسرورا للحفاوة التي لقيها في لندن . وطلب مني أن ابلغ اصدقاءه هناك شكره وعرفانه بالجميل. ثم مضى ليصافح الطابور الطويل الذي كان في انتظاره.

وسرنا خلف الملك الجديد . وكان الي جواري حسين صبري محافظ الاسكندرية وشقيق الملكة نازلى وخال الملك فاروق . وفي الطريق من رصيف المحطة الي سيارتنا قال لي حسين صبرى ان فاروق يشعر بصدمة لوفاة أبيه ولكنه بدأ يدرك واجباته كملك . وقال ان القطار تباطأ في احدى المحطات في الطريق من الاسكندرية للقاهرة . ولكن الجماهير كانت تهتف لعلي ماهر . فانسحب الملك فاروق وترك على ماهر يحيى الجماهير .

وابلغت حسين صبرى ان فاروق مقدم على ايام عصيبة . وانه في حاجة الي شخص يعتمد عليه . وقلت أيضا ان الموقف سيكون صعبا وان عليه أن يبلغ الملكة نازلي انها تستطيع ان تعتمد علينا اذا دعت الضرورة لذلك . وظهرت علامات السرور على وجه حسين صبرى الذى أكد لى انه سوف يبلغ الملكة بذلك فورا .

وفعلا حدث ما كنت اتوقعه وبدأت متاعبنا مع الملك الجديد بعد ثلاثة ايام من وصوله .

لا اريد هؤلاء الانجليز هنا !

واستدعيت تيترنجتون سكرتير الملك فاروق لمقابلتي قبل ان أذهب لاجتماع مع الملك في القصر . وكنت قد سمعت بعض الشائعات غير

المؤكدة تقول ان الامور ليست على ما يرام فى قصر عابدين منذ عودة فاروق . وانه يهدد بطرد مربيته الانجليزية ويمنع شقيقاته من الوقوع تحت تاثير التعليم الانجليزى .

وازعجتنى هذه الاخبار . ولهذا طلبت من نيترمجتون ان يحدثنى عن الموقف . وقال لى الصيدلى الانجليزى ان كل معلوماته استقاها من مربية فاروق وتدعى مسز نايلور . وقالت له انها قضت حوالى ساعتين مع الملك فاروق بعد عودته . وأن فاروق كان يتفاخر بنفسه ويقلل من شأن الاسرة المالكة البريطانية .

فقد قال فاروق لمربيته الانجليزية : هذا الملك ادوارد .. انه لا يجد مايقوله . ودوق كنت أشبه بفتاة . ودوق جلوتسستر لايساوى شيئا .. وهكذا ظل فاروق يسفه من شأن اعضاء الاسرة المالكة الانجليزية . وبعد ذلك سأل المربية من الذى يعلم شقيقته فوزية وفايزة الرسم والموسيقى . وعندما علم أن معظم المدرسات من الانجليز صاح : يجب أن يتوقف هذا . لا أريد أن تصاب شقيقاتى بكل هذا النفوذ الانجليزى .

وقالت مربية فاروق ايضا انه بالفعل قرر طردها . وأنها تحزم حقائبها الان استعدادا للعودة . وكانت تعمل ممرضـــة فى لندن عندما استدعاها تيتوندجتون وأوصى الملك فؤاد أن تكون مربيـــة لابنه . وعلمت ايضا أن الملكة نازلى طردت جميع الخدم الذين كانوا يدينون بالولاء للملك الراحل فؤاد . وأنها بدأت تحيط نفسها فى القصر بألوان مختلفـــة من النســـاء والرجال . وطلبت من الصيدلى أن يوافينى بأى خبر يسمعه لان هذه الاخبار مهمة لنا .

وتوجهت بعد ذلك لمقابلة الملك وقضيت معه ساعة فى القصر . وبدأت الحديث بأننا جميعا نشعر بالرثاء للظروف الصعبة التى يمر بها . وقلت أيضا أن مستر بلاده له اهمية قصوى عندنا . وانه لذا صادف اى مشكلة او صعوبة فعلية أن يتذكر اننا بكل امانة أصدقاؤه المخلصون . وذكرت له كيف أن الملكة فكتوريا ــ مع الفارق ــ صادفت نفس الموقف الذى يواجهه ولكنها لحسن حظها وجدت فى لورد ملبورن صديقا وناصحا مخلصا للعرش تستطيع أن تعتمد عليه . وبكل اسف لا يوجـــد فى مصر الان اى شخص يضارع لورد ملبورن ليعتمد عليـــه الملك . ولكنه يســـتطيع ان يعتمد علينا .

وقال لي فاروق انه ينوي أن يسير ببطء في البداية . ومنها لكرته بامعان والده وهو (الصبر) . وقلت له ان شعاري (لا تقلق ولا تشك) . وكان الحديث بالانجليزية .. وانتهزت الفرصة لأسأله عن المربية الانجليزية فقال انه مدين لها بالكثير . ولم تكن هناك أية اشارة انه يريد الاستغناء عنها . واعترف لي فاروق انه يتحدث الفرنسية بطلاقة اكثر من شقيقته اللتين تتحدثان الانجليزية .. وقال ان اباه وامه كانا دائما يتحدثان بالفرنسية ولهذا اتقنها .

وعن المستقبل قال لي فاروق صراحة انه لا فكرة لديه بالمرة عما سيفعله .. كما انه لم يقرر خطة معينة . وكان قد قابل الاوصياء الثلاثة على العرش وهم الامير محمد علي ابن عمه وعزيز عزت زوج أميرة مصرية يعرفها فاروق جيدا . وخاله شريف صبري .

ماذا يحدث بعد ٢٠ سنة ؟

تعثرت المفاوضات بين المصريين والانجليز حول معاهدة ١٩٣٦. واضطرت وزارة الخارجية البريطانية الى استدعاء مندوبها السامي الى لندن للتشاور . ويقول توينبي ان سير مايلز لامبسون استطاع أن ينقذ الموقف بعد أن كاد كل شيء ان يضيع . أما سير مايلز لامبسون ليصف تجربته في لندن بشيء من الانبهار لما كان يجري حوله فيقول :

قابلت وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية سير انطوني ايدن في ٥ يونيو ١٩٣٦ . كان الحديث حول مشكلة العلاقات المصرية البريطانية المتدهورة . وسألني ايدن صراحة :

الست تعتقد أن الحل النهائي للمشكلة هو أن تصبح مصر جزءا من الامبراطورية البريطانية ؟

واعترفت في اجابتي ان نفس السؤال كان يتردد في عقلي منذ اللحظة الاولى التي وصلت فيها الى مصر . ولكني بعد ان قضيت ٦ اشهر في مصر كتبت في تقريري الحل الوحيد والصحيح للمشكلة . وقلت في تقريري ان فكرة ضم مصر للامبراطورية غير ممكنة في الوقت الحاضر .. وانه لا المصريون ولا البريطانيون كما اتخيل مستعدون لقبولها .

ولهذا فقد اوصيت في تقريري اننا يجب أن نتقدم ببطء في مصر ولكن بخطوات منتظمة وأن هدفنا يجب ان يكون تقوية الروابط

والمصالح المادية للدولتين ، وكان هذا سببا في ايفاد حافظ عفيفي الى انجلترا ، وافلحت مهمته في غرضها ، ولكن الحــــرب في الحبشة القت ظلالها على كل شيء ، وهكذا واجهنا في خريف سنة ١٩٣٥ موقفا جديدا ومجموعة من الظروف الجديدة المتغيرة .

لقد تشكلت لاول مرة (الجبهة المتحدة) من الاحزاب المصرية ، وطالبت باسم الاحزاب كلها التفاوض مع بريطانيا من اجل المعاهدة ، وهكذا وجدنا انفسنا تواجه مشكلة المعاهدة ، وفي هذه الظروف لم يكن من السهل تحاشي المشكلة ، ولكني اوضحت لايدن انه حتى في حالة التوصل الى معاهدة مع مصر في المدى القريب فان هذا لا يمنع في المدى البعيد امكان تحقيق الحل الاخر ، وقلت انني يجب أن أؤكد مرة أخرى ان فكـــرة ضم مصر للامبراطورية في الوقت الحاضر ليست عملية بالمرة .

ووافقني ايدن على رايي .

وانضم آخرون بعد ذلك الى الاجتماع ، وبدانا بحث الموقف كله في مصر ، واخرجت مذكرة مكتوبة كان قد تقدم بها النحاس باشا وقلت انها تفتح الطريق لحل وسط للمشكلة المصرية ، وقلت ان هناك قلقا متزايدا في بريطانيا من انه بعد انتهاء المعاهدة التي سوف تسري لمدة ٢٠ سنة فان عصـــبة الامم تستطيع ان تقول لبريطانيا ، اخرجي من القناة ، اذا شكت مصر لها ، واوضحت له من الناحية العملية فان الجيش المصري ليس في وضع يسمح له بطرد الانجليز من القناة ، واذا حدث بعد ٢٠ سنة وأردنا ان نظل قواتنا في القناة (وهو ما افترض ان الوضع سيكون عليه) فاننا يجب أن نكون في ذلك الوقت في وضع يتيح لنـــا أن يكون هناك على الاقل صوت واحد في عصبة الامم يعارض قرار خـروج بريطانيا من القناة ، وهكذا نضمن الخروج من هذا المأزق .

ولكن المستشـــارين القانونيين في الوزارة البريطانيـــة كانوا مصممين على اثارة المتاعب ، وكان الطريق المفتوح امامنا الان ان نضع ورقة عمل تعتمد في مناقشتنا اساسا على مذكرة النحاس وأننا وان نصر على امرين يجب ان توضحهما للحكومة وهما : ان مصر لن تقبل بحال من الاحوال احتلالا دائما للقناة ومنحنا حرية التصرف داخل اراضيها .

وبعد ذلك توجهت الى قصر باكنجهام لمقابلة الملك الذى طلب منى أن الخص له الموقف - وبعد ان انتهيت قال الملك : لست ادرى لماذا كل هذه الضجة حول المشكلة المصرية ٠٠ ولماذا الحديث عن أشياء قد لا تحدث قبل مرور ٢٠ سنة ، وحتى اذا وقعت فى ذلك الوقت فمن المحتمل جدا أن الامور قد تظل فى صالحنا ٠

ثم حضرت اجتماعا فى رئاسة الوزراء اشترك فيه رؤساء اركان الحرب الثلاثة ٠ وأثار مارشال السلاح الجوى الملكى جوا عدائيا عندما سألنى : ما الذى استفدناه عندما سلم سفيرنا السابق كل شىء فى ايران ؟

وهنا تقول المذكرات ان المارشال النجتون قائد الطيران كان يقصد بسؤاله العراق والمعاهدة العراقية الانجليزية وليس ايران كما جاء على لسانه ٠ ويقول كيلرن انه قرر أن يرد على قائد الطيران فورا وفى الصميم ٠ وقال كيلرن انه لا يسمح لاحد ان يستخدم هذا الاجتماع للتحقيق فى نتائج نشاطه الدبلوماسى ٠ وخرجنا من الاجتماع وانا واثق ان التصويت على ورقة المعاهدة سيكون ضدها بنسبة ٢ : ١ ٠

وبعد مرور ٢ أيام دعيت لحضور اجتماع اللجنة الوزارية فى غرفة رئيس الوزراء نيفيل تشمبرلين بمجلس العموم - وكان رئيس الوزراء يجلس فى مقعد الرئاسة وكان هناك ايضا عشرة من الوزراء فى اللجنة ومن بينهم انطونى ايدن - وحضر رؤساء الاركان الثلاثة الاجتماع - وكان معى وكيل الشئون الخارجية يروك بويهام ٠

وطلب رئيس الوزراء منى ملخصا للموقف ٠ واكتشفت كم كنت مخطئا عندما توقعت أن يكون دورى مجرد الاجابة على الاسئلة - وتكلمت لمدة ٢٥ دقيقة ٠ وأوضحت أن المشكلة الرئيسية التى نتعرض لها هى كيف نوفق بين رغبتنا فى استمرار احتلالنا لمنطقة القناة واستمرار وجودنا فى مصر ٠٠ وبين رغبة المصريين وتصميمهم على ضرورة انهاء الاحتلال وفجأة القى رئيس الوزراء ورقة مطوية على المائدة نحوى ، والتقطتها وانا اعتقد ان بها حل المشكلة، ولكنى دهشت عندما وجدت أنه كتب فيها :

- امرأة قالت لى انها اجرت شلتها لله لبعض الوقت ٠

وتقرر تأجيل الاجتماع لوقت اخر ٠

وتوجهت الى (ايتون) بالسيارة للبحث عن معلم للملك فاروق • وقابلت شابا لم يعجبني • واتفقت مع صديق لي أن يكتب لاستاذ في اوكسفورد اذا كان يقبل المنصب • وبعد ذلك دعيت مرة اخرى لحضور الاجتماع الكامل للوزارة البريطانية في مجلس العموم • ومضيت داخل الاجتماع حوالي ساعة وربع ساعة كانت تجربة هامة جدا • وفي هذا الاجتماع تم بحث موضوع المعاهدة المصرية الانجليزية بالخاصة • وتحدث كل الوزراء • وحاول قائد الاسطول ان يعرض ويثير المتاعب حول موضوع الانسحاب من الاسكندرية • وقال ممثل رؤساء الاركان انهم لايهمهم الان البقاء في الاسكندرية او الخروج منها • ولكن البحرية أصرت على وجـــود الاسطول الانجليزي في الاسكندرية حتى يمكن اعداد قاعدة بحرية اخرى في شرق البحر المتوسط يمكن الاعتماد عليها بعد انســـحابنا من الاسكندرية •

وانتقلت المناقشة الى الحديث عن قبرص كبديل للاسكندرية • ولكني نظرا للسرية المطلقة لا أستطيع الحديث عنـــا عما جرى بالتفصيل حول هذه النقطة • وانفض الاجتـــماع بعد أن وافق الجميع اننا يجب الا نفوتنا هذه الفرصة لتوقيع معاهدة مع مصر واننا لا يجب أن نضيع فرصة المعاهدة بسبب تمســـكنا ببعض التفصيلات الصغيرة • وفيما يتعلق بالاسكندرية أوصي ايدن بان يتم الانسحاب منها بعد ١٠ ســـنوات واذا اعـــترض المصريون نستطيع تخفيضها الى ٧ سنوات •

وبعد ذلك بدأنا بحث موضوع السودان في المعاهدة • واعترض المستشارون القانونيون لمجلس الـــوزراء على فقـــرة في مشروع المعاهدة قد تعطي مصر الحق بعد ٢٠ سنة أن تشكو لعصبة الامم وأن تحصل على قرار منها بأن من حق مصر هذه المرة أن تعين الحاكم العام الذي تختاره للسودان • وأوضحت للمجلس انه طبقا لاتفاقية ١٨٩٩ فان ترشيح الحاكم العام للسودان من حق بريطانيا • ولست أعتقد أن عصبة الامم سوف تأخذ بمعاهدة ١٨٩٩ فيما يتعـــلق بالسودان • ولكن وزير الدولة للشئون الخارجية انطوني ايدن قال أن هذه النقطة مهمة جدا وطلب مناقشتها بالتفصيل • وبعد ذلك انتهى موضوع السودان وانسحبت من الاجتماع •

وفي أواخر يونيو زارني ادوارد فورد بتوصية من مدير كليـــة ايتون تقول انه انسب رجل كمعلم للفاروق • كان في الخامســـة

والمصريين ، ولكن كان يبدو في نظري الرجل المناسب . وقررت أن آخذ رأى حسنين باشا قبل أن اوافق نهائيا .

وعدت إلى مصر يوم ٢٩ يونيو ، واستمرت المفاوضات مع المصريين حول المعاهدة طوال شهر يوليو والجزء الاول من أغسطس وفي ١٢ اغسطس تم التوقيع بالحروف الاولى على المعاهدة في اجتماع موسع حضره جميع أطراف المفاوضات وكانت المفاوضات قد استمرت ٦ أشهر ، ودارت حول وجود القوات البريطانية في مصر ونظام الحكم في السودان والغاء جميع الحقوق التوسعية في الاراضي المصرية للدول الاجنبيـــة والناشئة عن استســـلام الامبراطورية العثمانية .

وفي ٢٦ اغسطس ١٩٣٦ تم توقيع المعاهدة في لندن .

درس لملك فاروق :

وقبل سفرى الى لندن للاشتراك في حفل توقيع المعاهدة قابلت الملك فاروق في قصر المنتزه ، وبدأت الحديث بقولى انني أرجو الا يمانع أن القى عليه ما يشبه المحاضرة الصغيرة ، وقلت له انه لا احد يلومه اذا كان يريد أن يقضي وقتا طيبا ، فكلنا شعرنا بذلك في سنه ، ولكنه كملك يجب أن يتذكر أن الوقت يمضي سريعا وانه في أقل من سنة سوف يبلغ سن الرشد وسوف يتسلم كل المسئوليات من مجلس الوصاية ، وقلت له صراحة انه بدلا من أن يستهن الوقت القليل المتبقي في تحسين عقله واعداد نفسه لهذه المسئوليات فانه يضيع وقته بالانشغال باشياء تافهة وبالجـــرى وراء المتعة فقط .

وقلت لفاروق انه منـــذ وصول فورد المعلم البريطاني الذى اخترته له الى القاهرة لم يره سوى مرة واحدة فقط ولمدة ٥ دقائق ، ومثل هذه التصرفات تعطي انطباعا سيئا ، وقلت انني لا اريد أن ارغمه على قبول فورد وان فورد لم يشتك الى من الملك ولكن الجميع يتحدثون عن ذلك ويجب أن يبدأ الملك في الاهتمام بعمله .

ووقف فاروق يستمع الى كل هذا الكلام بروح طيبة وفي صمت، وفي النهاية اعترف لي انه نفسه بدأ يدرك ذلك ، وقال انه من المزعج أن يلهو الانسان ولا يشغل نفسه بالعمل ، ولكنه أعد جدولا

الدراسة ايضا • وقال فاروق أيضا ان الناس يتحدثون وينتقدون عامه ويقولون أشياء سيئة • وانه من المحتمل أن يكون قد اخطأ احيانا • ولكنه سيحاول جهده الا يثير المتاعب بعد ذلك • وقلت له انه يجب أن يدرك دائما أن السفارة والحكومة البريطانية كلها وراءه ، ولكنه يجب أن يظهر من التصرفات ما يثبت انه يبذل ما في وسعه •

وفي طريقي للخارج قلت لحسنين باشا ما دار بيني وبين الملك • وقلت أيضا ان النقد الموجه للملك الصغير يزداد • وهناك مؤامرات من كل نوع يجب علينا أن نقضي عليها في المهد، ووافقني حسنين على رأيي تماما •

سوف اكون والدا عليا :

وبعد هذا اللقاء العاصف مع فاروق سافر المندوب السامي البريطاني الي لندن ليشترك في حفل توقيع معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا • وبعد الاحتفال قضى السفير في لندن اجازة تقول المذكرات انه يستحقها بعد الجهد الكبير الذى بذله حتى تم الوصول الي المعاهدة • ولكنه في ٤ نوفمبر ١٩٣٦ اضطر الى ان يقطع اجازته ويعود الي مصر مرة أخري • وكانت هذه اخر مرة يعود فيها سير مايلز لامبسون الى مصر بوصفه مندوبا ساميا لبريطانيا •

فقد كانت معاهدة ١٩٣٦ تنص على انشاء تمثيل دبلوماسي بين مصر وبريطانيا علي مستوي السفارة • واصبح سير مايلز لامبسون أول سفير بريطاني في القاهرة • ولكنه احتفظ بمنصبه كمندوب سام لبريطانيا في السودان • وعندما وصل لامبسون الى مصر قابله في محطة القاهرة رئيس الوزراء وجميع أعضاء الوفد المصري في مباحثات معاهدة ١٩٣٦ •

وفى ٢٤ ديسمبر يقول السفير في مذكراته :

قابلت الملك فاروق مرة أخرى • وكان يبدو مبتهجا واكثر نظافة، وتحدثنا في البداية عن صيد البط في المنصورية • ولكن الحديث تطرق بعد ذلك كما اردت الى مشكلة اهماله معلمه فورد • ويبدو ان فاروق كان يتوقع ذلك • لقد انصت الى حديثي في صمت ولم يظهر عليه أي انفعال وكررت له مرة اخرى أن حكومة بريطانيا تؤيد اسرته المالكة ولكن هذا التأييد سيتأثر حتما بتصرفاته• وتقريري

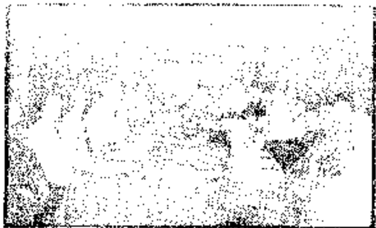
أن التمست اليه ببهجة أقوى من المرة الســـابقة وأكثر جــدية • وصدق الملك بأنه كان مريضا طوال الشــهور الماضي • وقال انه سيصحب فورد معه في رحلته القادمة الى الصعيد ووعدني فاروق أن يكون من الآن فصاعدا (ولدا أحسن بكثير مما مضى) • ولم ينصرف حديثنا الى السياسة • ولكن فاروق ذكـــر لي انه قلق للصعاب الكبيرة التي ستصادفها مصر لبناء جيش حديث • وانتهزت الفرصة لأقول له انه من حسن حظ مصر في الماضي أن بريطانيا كانت تتولى الدفاع عنها • وقلت ان الانطباع العام ان الـنـــاس عامة لا تعجبهم الضرائب الجديدة التي يضطرون الى دفعها لبناء جيش حديث •

وقلت متاخرا لفاروق :

ـ من المؤسف انه في حالات التظاهر والخداع لا يبدو مثل هـذا القلق بالمصروفات •

وهكذا يقابل السفير بحديثه عن تحمل بريطانيا أعباء الدفاع عن مصر • وتناسى ان بريطانيا كانت تحتل مصر للدفاع عن مصالحها واستعمارها •





في حفل توقيع معاهدة ١٩٣٦ بالحرف الأولى

جواسيس في قصر الحكم



تظهر مشكلة فلسطين في هذا الجـــزء من مذكرات لورد كيلرن ، فنرى النحاس باشا يتحدث مع السفير البريطاني عن قرار التقسيم وينتقده • ويقول لكيلرن وكأنه يتنبأ بما سوف يحدث بعد ٢٠ سنة : بعد اعطاء اليهود دولة فلسطين ســوف يطلبون ايضا أن نعطيهم سيناء •

ولم تسكت الحركة الصهيونية على ما كان يجرى في القاهرة• فأوفدت رئيسها د• وايزمان لمقابلة لامبسون ، وعندما لا يظهر لامبسون تعاونا كامــــلا مع وايزمان يهدده بأن اليهود سوف يثيرون المتاعب لبريطانيا •

١٩٣٧

هذا العجوز الاحمق .. بلفور !

منذ الحرب الاهلية في اســـبانيا وازدياد التوتر في البحــر المتوسط - وليس في مذكرات لورد كيلرن شيء هام يتحدث عنه في الاشهر الستة الاولى من هذا العام . ولكنه في أواخر يوليو والحكومة والسفارة بالاسكندرية مثلما يحدث في صيف كل عام كتب يقول :

زارني مصطفى النحاس باشا . وبعد العشاء دار بيننا حديث طويل حول فلسطين وقال لي النحاس باشا صراحة انه يكره بشدة الاقتراح بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود وقال انه واثق ان العرب لن يقبلوا بالمرة فكرة التقسيم وانه كرئيس وزراء مصر لن يقبل حتى مجرد التفكير في وجود دولة يهودية على حدود مصر . وتساءل النحاس :

اليس من الممكن بعد انشاء دولة لليهود في فلسطين ان يطالبوا بعد ذلك بأن لهم حقا آخر في سيناء ؟

وقال النحــــاس انه يرى أن الحل الحقيقي والمناسب للمشكلة الفلسطينية هو انشاء دولة عربية متحالفة مع بريطانيـــا ومع توافر ضمانات محددة وأكيدة للحريات الدينية لجميع السكان من يهود او مسلمين أو اقباط .

وقال النحاس باشا ان هذا الاقتراح لا بأس به ولكنه يتجاهل الوعد البريطاني بانشاء وطن قومي لليهود في فلســطين (وعد بلفور) . ولم يتأثر النحاس بالمرة بحديثي عن وعد بلفور وقال لي صراحة ان هذا الوعد خطأ وان الشيء الوحيد الذي يجب ان تفعله بريطانيا الآن ان تتجاهله أو تلقى به في سلة المهملات ونصحته الا يكون متسرعا لان قرار الحكومة البريطانية وتوصيات اللجنة الملكية في هذا الشأن كانت مازالت معروضة أمام البرلمان البريطاني

وانه من الافضل تجنب الاقـــدام على أى عمل قد يكون مثمرها بعض الشيء .

وأبلغنى النحاس انه فى الايام القليلة الماضية تلقى اقتراحا من الوزير السعودى المفوض فى القاهرة أن ينضم الى حكام ٤ دول عربية هى : السعودية والعراق وسوريا واليمن لتكوين جبهة عربيـــة متحدة تعارض مشروع التقسيم المقترح . وقال النحاس انه اجاب على الحرب بقوله انه لايميل الى الاشتراك فى مثل هذه الجبهة . وانه يرى ان بقاء يده حرة يعطيه قوة فى معارضة مشروع التقسيم . وانه كحليف لبريطانيا بموجب معاهدة ١٩٣٦ مســوف يكون فى وضع افضل كوسيط لايه مقترحات يفكر الحكام العرب فى التقدم بها الى لندن .. أو كبديل لذلك فانه يستطيع أن يتقدم هو بمقترحاته الى الحكومة البريطانية لحل المشكلة .

وقلت للنحاس باشا ان يده على الحكام العرب كان فى رأيى عملا طيبا .

وفى اواخر شهر أغسطس ابحر لورد كيلرن من بور سعيد الى بريطانيا . وهناك قابل ملك ومكة بريطانيا . وتحدث معه الملك عن المشكلة الفلسطينية . وسأله : من ترشحه لفلسطين ؟ وقلت قد سمعت ان احد المرشحين هو سير آرثر ووشوب . وهو الذى شغل بعد ذلك منصب المندوب السامى البريطانى فى فلسطين . ولكنى ابديت رأيا أن يكون الرجل المطلوب من طـــراز خاص . وقال لى الملك ان لورد بلفور رجل سخيف وعجوز . وانه أعطى أو وعد اليهود باعطائهم شيئا يملكه آخرون . ولهذا فانه لا يصلح أن يكون رجلنا فى فلسطين .

يوافقت الملك على رأيه فى لورد بلفور .

وعدت الى القسم المصرى بوزارة الخارجية البريطانية لزيارة قصيرة . ثم توجهت لمقابلة سير انتونى ايدن الذى وجدته كالعادة يحاول أن يحل ٥٠ مشكلة فى وقت واحد . وقال لى ايدن ان البرقيات القادمة من القاهرة اخيرا تثير قلقه . وان هناك حالة من عدم الاستعداد بين القوات البريطانية فى مصر وخصـــوصا بالنسبة للمدافع المضادة للطائرات التى لايوجد منها شيء فى مصر . وقال

ايدن انه لا يوافق هؤلاء الذين يقولون ان بريطانيا يجب الا تعزز قواتها في مصر حتى لا تثير شكوك ايطاليا • وقلت ان واجبنا أن نستعد لاى احتمال يهدد مصالحنا في المنطقة • وفي نهاية حديثنا ابلغني ايدن ان رئيس الوزراء تشمبرلين آسف لانني يجب أن اقطع اجازتي مرة اخرى واعود الى القاهرة بسبب توتر الموقف الدولي • وقال ايدن :

ـ لا تتردد في الكتابة الى شخصيا من القاهرة اذا وجدت ما يدعو لذلك •

وبعد الظهر تناولنا انا وزوجتي الشـــاى مع رئيس الوزراء نيفيل تشمبرلين وزوجته في ١١ داوننج ستريت • ولم تعجبني زوجة تشمبرلين • فقد كانت تبدو طوال الوقت وكأنها في عالم آخر • أما تشمبرلين المسكين فقد كان يعاني من مرض النقرس • ولكن ذلك لم يمنعنا من الحديث عن مصر والخطر من ايطاليا على المصالح البريطانية • وقال لي تشمبرلين انه تلقى من موسوليني رسالة بها بعض الفقرات المشجعة • أما بالنسبة لمصر فهنـــاك نقطتان أساسيتان :

١ ـ الدفاع عن مصر ضد أي خطر خارجي •

٢ ـ الا تتأثر هيبة بريطانيـــا في نظر المصريين بسبب الخطر الايطالي •

ووافق رئيس الوزراء على الرأى القائل بارسال بعض التعزيزات لقواتنا في مصر • واقترح تشمبرلين أن يســـتعرض الاسطول البريطاني عضلاته في شرق البحر المتوسط وأن يقوم برحلات اكثر وأن يظهر في الموانىء بصورة اوضح • ولكنه طلب الا نغـــالي في عملية استعراض الاسطول والا نقدم على اية خطوة قد تجعـــل موسوليني يسحب عروضه لبريطانيا • وقال تشمبرلين :

ـ مع رجل من طراز موسوليني يجب أن نكون في منتهى الحرص •

وأثناء الحديث فكرنا في طلب تطبيق نص خاص في المعاهدة المصرية البريطانية لسنة ١٩٣٦ وهو النص الخاص برفع استعداد القوات البريطانية في مصر في حالة الطوارىء العالمية • ولكن ايدن كان يعارض ذلك بقوة •

علي ماهر رجلنا في القصر :

وعاد السفير البريطاني الى القاهرة ليجد العلاقات بين الوفد والقصر متوترة في أواخر عام ١٩٣٧ . وفي شهر ديسمبر قرر الملك فاروق طرد النحاس باشا من الوزارة رغم نصائح السفير البريطاني للملك بالاعتدال . وأصدر فاروق قرارا بتعيين محمد محمود باشا رئيسا للوزراء .

ويقول السفير في مذكراته عن هذه الاحداث :

عدت الى القاهرة لاجد الملك فاروق وقد ازدادت ثقته في نفسه. وبدأت أخشى ما يمكن أن يؤدي اليه ذلك . ويبدو ان فاروق قد حصل على الكثير .. بل واكثر مما يجب اثناء مقارعاته مع النحاس باشا وقد يجعله ذلك يفكر أنه يستطيع ان يلعب ايه لعبة يريدها بعد ذلك . واذا حدث ذلك فسوف يكون خطأ قاتلا من الغلام (فاروق) . انني شخصيا معجب بذكاء فاروق وشجاعته - ولكنى أخشى أن يعتقد في شجاعته أكثر مما ينبغي . غير انى امل أن يستطيع علي ماهر باشا أن يؤثر في الملك وان يجعله يسير في الخط .. والا فسوف تكون هناك أيام عاصفة بيننا .

ومن أجل هذا قابلت علي ماهر باشا وابلغته التعليمات الواردة من لندن والتي تطالبني بابلاغ الملك فاروق بلهجـــة صريحة ان حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا مستاءة من تصرفاته وانها تخشى أن يصبح مثل والده فؤاد . وقلت أن لندن قلقة للغاية من اقدام الملك على طرد النحاس باشا من الوزارة رغم ان حزب الوفد ما زال يتمتع بعصبية ساحقة في البرلمان . وابديت مخاوف بريطانيا أن تؤدي مثل هذه التصرفات الى دمار الملك وربما الاسرة المالكة ايضا . وبالاضافة الى ذلك هناك الخطر الخارجي على مصالح بريطانيا في مصر . وهذا الخطر ماثل في تحركات ايطاليا في شمال افريقيا .

ورجاني علي ماهر الا اكون قاسيا على فاروق عند مقابلتي له بعد ظهر ذلك اليوم . وقال علي ماهر :

ــ ان فاروق ما زال غلاما .. وهو لا يعني شيئا ضارا بما فعله. واجبت علي ماهر قائلا :

ـ لقد عدت من بريطانيا لاجد جلالته يطلق على اسما مضحكا هو (البروفسور لامبسون) لانى ألقيت عليه محاضرة فى ضرورة الاهتمام بتثقيف نفسه والا يجرى وراء المتعه فقط • ووجدت ايضا انهم فى لندن غاضبون منى لانى لم أكن متشــــددا كما يجب مع فاروق • ولكنى وعدت على ماهر أن أكون أكثر اعتدالا فى نهجنى مع فاروق بشرط أن اجعله يفهم جيدا قلقنا من الاشياء التى تحدث الآن فى مصر •• والتى اذا استمرت هكذا قد تكون خطر على العرش نفسه •

وقابلت فاروق فى قصر عابدين • ووجدته شخصــــا محيرا • كان يبدو فى حالة عصبيه عليه على غير العادة • ومن الافضــل ان أسرد هنا نص البرقية التى بعثت بها عقب المقابلة الى لندن :

« استمرت مقابلتى مع فاروق ســــاعه ونصف ســاعة • كان ودودا للغايه • وكان نستمعا لهذه المقابله بعد ان أبلغه على ماهر بما جرى بيننا فى الصباح • ومع ذلك فقد أبلغته بنقمى ايضـــا ان حكومه صاحب الجلالة قلقة من مسار الاحداث فى مصر • وانه قد يكون ماضيا فى الطريق الخاطىء • واننا لا نستطيع أن نخفيه من الخطأ • كما ان تأييد بريطانيا له سوف يتأثر اذا اســـتمر فى هذا الخطأ • وقد حذرته مرارا من النتائج الخطيرة التى قد تترتب على قراره بطرد النحاس باشا من الحكم رغم انه يتمتع بأغلبيـــة كبرى فى البرلمان وقلت له ان هذا خطر على عرشه • وطلبت منه أن يتفق مع النحاس باشا وان الاوامر الصادرة الى من لندن ان أتحدث اليه (الى فاروق) بلهجة شديدة •

وهنا ضحك فاروق وقال ان من حسن حظه انه يجيد اللغـــة الانجليزية وانه فهم هذا الجزء من الحديث • وبعد ذلك تلوت عليه التعليمات التى بعثتموها الى من لندن • وقال الملك انه يفهم ما تريدونه تماما • وان على ماهر سوف يستمر فى محاولة البحث عن حل للموقف •

ويقول السفير فى تحليله لمقابلة فاروق بعد ذلك فى تقريره الى لندن :

« يجب أن اعترف انه بالرغم ان الملك فاروق كان يبـــدو متعاونا وروحه طيبة فانه لم يلزم نفسه فى الحديث معى بشىء أكثر من وعده بان يكون أكثر صبرا فى المستقبل • وانه اذا انتقلت معصـــه للحكومة على المشاكل الكبرى فانه مستعد أن يدفن الماضى وأن

يبدأ من جديد مع حزب الوفد . وطلب منى فاروق أن اقنع النحاس بذلك . وقال لى ان على ماهر سيقابل مكرم عبيد باشا غدا لحـل الازمة . ورغم انى امل أن تؤدى هذه المقابلة الى شيء ما فانه من الخطأ ان يكون المرء متفائلا اكثر من اللازم » .

عدت الى فراشى فى الثانية صباحا بعد الانتهـاء من املاء برقيتى الطويلة الى لندن . وكانت تتنازعنى افكار شتى حـول ما جرى حتى الان مع الملك . كنت واثقا ان على ماهر سـوف يبذل ما فى وسعه لحل الازمة . ولكنى كنت واثقا ايضا ان الملك والنحاس لا يمكنهما التعاون معا . وبهذا لم يكن فى وسعنا الا انتظار ما قد يحدث بعد ذلك . وكان الرأى السائد ان الملك سوف يحل البرلمان . وبعد فترة الشهور الثلاثة المعهودة يجرى انتخابات جديدة .

وكان أخطر شيء فى نظرى هو ما سوف يحدث فى هذه الشهور الثلاثة . ولكنى كنت اشعر أن محمد محمود باشا رجل جسـرىء للغاية لانه قبل ان يتولى الحكم فى مثل هذا الوقت العصيب . وكنت أعتقد ان فاروق وعلى ماهر سوف يدركان فى النهاية أن القصر ارتكب خطأ كبيرا بطرد النحاس باشا . وبدأت أتساءل :

ـ ترى ما الذى سيحدث لمعاهدة ٣٦ المسكينة ؟ !

ولكنى كنت واثقا ان اية حكومة اقلية يأتى بها فاروق لن تجرؤ على المساس بالمعاهدة او اتباع سياسة القطيعة مع حكومة بريطانيا .. لان الحزب الذى سيفعل ذلك يدرك جيدا انه يقضى بذلك على مستقبله السياسى .

وبعد ذلك بـ ٢٤ ساعة جاءت الاخبار أن الملك فاروق أقـال النحاس باشا وعين محمد محمود رئيسا للوزراء بدلا منه كما كان ينوى قبل اجتماعنا . وكان خطاب الاقالة شديد اللهجة وقاسيا فى نظرى . وعندما قرأنا قائمـة الوزارة الجديدة قلت لمستشـار السفارة الذى كان يجلس معى حكمة تقول :

« هؤلاء الذين تريد السماء دمارهم .. تصيبهم بالجنون أولا » .

وتوجهت فى ١٨ ينـاير ١٩٣٨ الى قصر عابدين لاقدم للملك فاروق هدية زواجه من الملكة فريدة . وكانت الهدية بندقيتى صيد وابقانى الملك فى حضرته اطول مما كنت اعتقد وحدثنا عن زوجته

المقبلة وكيف انها سوف تقاسمه العبء الكبير • ونقـــل فاروق الحديث الى الازمة الوزارية فى فرنسا وقال :

ــ اذا واجهت فرنسا فانا مستعد أن أقرضها حكومة أو اثنتين من الاحتياطي الموجود عندنا في مصر •

وأثناء الحديث سقط غطاء الجبخانه على الارض واحدث دوياً كبيرا • وانفجر فاروق ضاحكا وهو يقول :

ــ لو كان هنا شخص اخر غير العرش (يقصد والده الملك فؤاد) لانزعج الجميع وظنوها قنبلة • ومن المعروف أن فؤاد كان عصبيا للغاية •

وايزمان يهدد بريطانيا !

وفى اوائل فبراير جاء الى القاهرة د• حاييم وايزمان الزعيم الصهيوني المعروف • وتم اللقاء فى السفارة يوم ٧ فبراير الساعة ١٢ ظهرا • وكان واضحا من الطريقة التى يتحدث بها وايزمان ان التقارير التى ترسلها السفارة البريطانية فى القاهرة تؤثر فى تفكير الحكومة البريطانية فى لندن ازاء مشكلة فلسطين • وشرح لى د• وايزمان الموضوع كله بالتفصيل • وكان يعرض القضية من وجهه نظره بطريقة بارعة • وذلك شيء متوقع من رجل يعتبر مؤسس الحركة الصهيونية تقريبا • وقد ألهمه بوضوح ان علاقتى الوحيدة بمشكلة فلسطين ان اكتب لحكومتى عن الاثار التى سوف تترتب عليها سياستها هناك بالنسبة للرأى العام فى مصر والدول العربية المجاورة •

وقلت له صراحه ان مزايا أو مساويء تقسيم فلسطين لا تدخل فى اختصاصى • ولكنى اعترفت له انى اندهشت لقرار اللجنـــة الملكية الذى يوصى بتقسيم فلسطين •

وهنا قال وايزمان انه يعتقد ان الزعماء العرب الذين يعارضون التقسيم مثل الملك ابن سعود لا تهمهم فلسطين بقدر ما يهمهم الا يعطى الامير عبد الله ملك الاردن حتى للدولة العربية التى ستقام فى فلسطين • ولكنى لم أوافق وايزمان على رأيه وقلت له ان هذا لا يتفق أبدا مع التقارير التى تصلنى عن موقف الملك ابن سعود •

وعندئذ لجأ وايزمان الى أسلوب التهديد فقال ان اليهود قد يصبحون مصدر متاعب لبريطانيا اذا لم يحصلوا على ما يريدونه

في فلسطين . وقلت له انني لا أعتقد ان اليهود قد يقدمون على ارتكاب عمل سخيف مثل محاولة احراج الحكومة البريطانية في وقت يتعرض فيه الموقف الدولي للخطر . وان اليهود سوف يترددون كثيرا قبل أن يضيفوا الى مشاغلنا العديدة الآن متاعب جديدة من جانبهم .

وقلت انه من الافضل من وجهة نظري الشخصية ان يتم الوصول الى نوع من الهدنة يستمر طوال السنوات العشر القادمة (١٩٢٨ ـ ١٩٤٨) على أن تحافظ الهدنة على نسبة السكان كما هي الآن في فلسطين . وقلت انني أعرف ان اليهود لن يوافقوا على هذا الاقتراح . ولكنه افضل في نظري من اي اجراء آخر ولو انه حل مؤقت للمشكلة وقلت لوايزمان :

ـ ان الزمن كفيل بان يجعلنا نشفى من جراحنا . واذا تمكنا من التوصل الى نوع من الهدنة فقد تهدأ الامور قليلا ويتاح لنا الوصول الى حل يرضي الطرفين .

ولكن وايزمان عارض هذا الرأي بشدة وقال في رد مطول : لقد كان ذلك ممكنا في العام الماضي . اما الآن فقد ضاعت الفرصة واصبح الوقت متأخرا . وان الدولة اليهودية في حاجة الى حروب . ولن تأتيها الاموال الا اذا كان هنالك احتمال الى انها سوف تحقق في موضعها .

ووجدت نفسي مضطرا أن أقول لوايزمان ان هذه التفسيرات لا تدخل في اختصاصي وان وضعي هنا يختص فقط بالآثار المترتبة على سياستنا في الشعوب بالنسبة لمصر والعالم العربي . واستمر اجتماعي بوايزمان اكثر من ثلاثة ارباع الساعة . وكان حديثنا طويلا . ولكني اعتقد ان ما جاء في مذكراتي هو النقط الاساسية التي دار حولها الحديث .

وبعد ذلك تناول وايزمان وزوجته معنا طعام الغداء . وكانت ليدي بافي نوجنت الزوجة السابقة للورد بلفور من بين الحاضرين وعلمت انها اصبحت الآن من اكبر المتحمسين للحركة الصهيونية وانها تضاهي كثيرا على حساب وايزمان للدعوة لتنفيذ مشروع التقسيم كما جاء في وعد زوجها السابق لورد بلفور . وعندما جمعت في المائدة بينها وبين زوجة وايزمان حاولت التفاهم بصداقة

القضية الصهيونية • وكان ردي عليها هو نفس الكلام الذي قلته لوايزمان •

وكان الحديث مفيداً • ويكفي سؤال الوقت كان لدي احساس غامض أن وايزمان وزوجته وتيدي باقي كانوا على علم سابق بآرائي التي بعثت بها الى وزارة الخارجية في لندن في برقياتي الاخيرة عن تطورات المشكلة الفلسطينية فهل هناك أحد في مصدر يطلعهم على الاسرار ؟

وقبل أن ينتهي عام ١٩٣٨ بـ ٤٨ ساعة اتيح لي أن أرى لأول مرة عن قرب امنه فريدة ومعها ابنتها الصغيرة • كان ذلك في محطة السكك الحديدية بالقاهرة عند عودة الملك فاروق من احدى رحلاته • وكان القصر يبالغ الى حد كبير في الرسميات المتعلقة بوداع الملك واستقباله • وعندما وصل القطار كان هناك جميع المسئولين في الحكومة ورجال الدين والامراء والوزراء وحرس الشرف ورجال السلك الدبلوماسي •

ونزل فاروق أولا من القطار وصافح مستقبليه • ولم يخلع القفاز من يديه وهو يصافحنا وبعد انتهاء الطابور الطويل علمنا اننا يجب أن نقف في أماكننا في انتظار نزول الملكة من القطار • ونزلت الملكة في طريقها الى الخارج • كانت تبدو لطيفة لغاية وخلفها طفلتها المولودة حديثا تحملها مربية انجليزية • وبدا عليها الارتباك بعض الشيء عندما شاهدت الذين احتشدوا لتحيتها وصافحت الملكة جميع الوزراء • ولكنها تجاوزتنا نحن رجال السلك الدبلوماسي عن عمد وكأنها لا تعرف أحدا منا • وفي رأيي كان هذا تصرفا سليما من جانبها ولكن زملائي السفراء الاجانب اعتبروها اهانة بالغة لهم • وأبدى الامير محمد علي سخطه على تصرفات القصر بهذه المناسبة ••

وفي آخر سطور مذكرات سنة ١٩٣٨ يقول كيلرن :

(يبدو لي أن فاروق قد رسخت قدمه أكثر مما يجب • ولا أحد هنا — حتى الامير محمد علي — يستطيع أن يقف في وجه هذا الغلام • ان اخر التقارير التي وصلتني من داخل القصر تقول أن علي ماهر نفسه لم يعد يستطيع ان يمارس النفوذ البسيط الذي كان يتمتع به عند فاروق • انها مشكلة كبرى لنا) •



تشرشل يتحدث الى زوجة كيلرن اثناء زيارته الاولى لمصر

سحب الحرب العالمية الثانية
تهب على العالم

١٩٣٩



بدأ العام الجديد بمشكلة مع فاروق حول رجل ايطالي في حاشية الملك يدعى فيروتشى وكنت قد شكوت الى رئيس الوزراء محمد محمود يأسا من وجود مثل هذا الرجل في القصر في الوقت الذى تزداد العلاقات تدهورا بين ايطاليا وبريطانيا . وقال لى محمد محمود انه تحدث مع الملك فاروق وانه وعد الا يكون تعيين فيروتشى مؤقتا وانه سوف يختفي من الصورة بعد ذلك بهدوء .

وابلغ محمد محمود الملك نيـــابة عني انه سيكون من المحرج للقصر في حالة قيام حرب مثلا مع ايطاليـــا أن يضطر الانجليز الملك الى طرد فيروتشي وأن وجوده في القصر خطر كبير علينا • وقال لي محمد محمود أيضا انه ذكر للملك انه سمع من البعض أن فيروتشي هذا كان يحل قوادا • ولمـــا سأله الملك فاروق : كان قوادا لمن ؟•• لم يستطع محمد محمود أن يقول له انه كان يعمل قوادا لوالده الملك فؤاد •

وفي اوائل هذا العام ايضا تم زفاف ولي عهـــد ايران (شاه ايران الحالي) الى الاميرة فوزية شقيقة الملك فاروق • واستغرقت الاحتفالات والتهاني وتقديم الهدايا وحفلات الاستقبال للعروسين حوالي شهر تقريبا • وفي هذه الاثناء فاتت المهر فون فبخنج الوزير المفوض لالمانيا في القاهرة • وكانت برلين قد اوفدته لمدة ٤ اسابيع بحجة حضور الاحتفالات ولكني كنت اشك في نوايا الالمان وخاصة بارسالهم هذا الرجل الذي كان يسبب لنا المتاعب في كل مـــكان يذهب اليه •

وعند بداية الصيف دعاني الملك الاسطول لمشاهدة المناورات التي تجريها وحداته والتي اشتركت فيها الى جانب قطع الاســطول الحديثة الغواصات والطائرات وزوارق الطوربيد وهكذا كان الجميع يستعدون للحرب •

وجاءت الحرب :

وعاد السفير الى بريطانيا ليقضي اجازته الصيفية هناك كالعادة وفي هذه المرة وجد جو الحرب في لندن ايضا • وعندما دعاه الملك الى قصر باكنجهام شاهد مع الملك من شرفة القصر الرجال يحفرون للمخابيء في الحديقة • وتطرق الحديث الى هتـــلر • وكان الملك جورج يعتقد أن هتلر يهوش وانه في النهاية سيضطر الى التراجع أمام بريطانيا • اما الملكة ماري فقد كانت تعتقد أن الحرب على الابواب هذا العام • وفي نهاية الزيارة وافق ملك بريطانيا على دعوة الملك فاروق وزوجته الملكة فريدة لزيارة بريطانيا •

وفي أواخر اغسطس عاد السفير الى مصر على وجه السرعة لتدهور الموقف العالمي • وفي هذه الاثناء كان محمد محمود باشا قد قدم استقالته لاسباب صحية • وعين فاروق بدلا منه علي ماهر رئيسا للوزراء • وطلب الملك فاروق أن يراني بمجـــرد عودتي •

وسالني عن استعدادات بريطانيا للحرب وهل ترســـل مزيدا من القوات الى منطقة البحر المتوسط ·

وعندما بدا أن الموقف العالمي قد يصل الى نقطة الغليان طلبت مقابلة على ماهر رئيس الوزراء حتى اطمئن على تنسيق الموقف المصري والبريطاني عند اعلان الحرب · وكنت أرى أن مصر يجب أن تعلن حالة الحرب اذا حدث ودخلت بريطانيا الحرب مع هتلر · ولكن على ماهر ظل يراوغ ويحاور ويناور · وخرجت من المقابلة آسفا حزينا بعد أن فهمت منه أن مصر غيرمستعدة لاعلان الحرب · ولكنهم مستعدون لان يفعلوا كل ما نريده بدون اعلان للحرب · وحاول علي ماهر اقناعي أنه ليس من الضروري أن تعلن مصر الحرب على المانيا ·

وفي ٣ سبتمبر من هـــذا العام أعلنت بريطانيـــا الحرب على المانيا · وتلقى المصريون الانباء بهدوء ظاهر ، وعلى الفور قطعت الحكومة المصرية العـــلاقات مع المانيا · وصـــادرت الممتلكات الالمانية · واعتقلت الرعايا الالمان في مصر · كما أعلنت مصر (حـــالة الطوارىء) ووضعت موانى مصر تحت تصرف القوات البريطانية · وفرضت الحكومة الرقابة على الانباء والبرقيات · ورغم كل هذا لم تعلن مصر الحرب · واختلفنا مع المصريين حول نصوص معاهدة ١٩٣٦ وهل تتطلب من مصر أن تعلن الحرب · ومهما كان الرأى حول هـــذا الموضوع فقد كان قرار الحـــكومة المصرية بعدم اعلان الحرب مقدمة لمتاعب أخرى أكثر خطورة بعد ذلك · (يقصد كيلرن حادث ٤ فبراير ٤٢) ·

وكانت أول مشكلة نواجههـــا بسبب الحـــرب تتعلق بالرعايا الالمان الذين اعتقلتهم مصر · فقـــد طلبني الجنرال ويفل القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الاوســـط في ذلك الوقت · وكنا نتحدث على التليفون المباشر حتى لا يسمعنا أحد · وسألني ويفل بطريقة سخيفة عما سوف افعله لكي يسلمنا المصريون الرعايا الالمان لترحيلهم · وقبل أن انتهي من اجابتي سارع الى مقاطعتي وهو يكاد يصدر الي الاوامر · وعندما تمالكت أعصابي وقلت له انني سوف اسال المصريين وانني اتوقع معارضـــتهم ثار الجنرال واصبح وقحـــا وهو يقول لي انني لو أتحت لعلي ماهر الفرصـــة أن يقول (لا) فسوف يقولها · وانني يجب أن آمره أن يفعل ذلك · وانني لو كنت اكثر حزما مع المصريين لوافقوا على اعلان الحرب · وفشلت محاولاتي لافهامه اننا نتعـــامل الآن مع مصر المستقلة ·

وهنا فقدت أعصابي أنا الآخر وقلت له انني مستاء جدا من طريقة حديثه . وعندما أدرك الجنرال وبلل أننا على وشك الصدام عدل من لهجته . ووعدته بمحاولة اقنــــاع المصريين بتسليم الالمــان وتخليصهم من هذا العبء .

١٩٤٠

هذا الكلب القذر :

اقام الامير محمد علي في قصر الزعفران حفلا حضره فاروق كنوع من الاعراب عن تضامن الحكومة المصرية مع قوات الحلفاء . وكانت الدعوة موجهـــة الى الانجليز والفرنسيين والاتراك . ولم يكن يخطر ببالي أن كلمـــة بسيطة مني ستثير أزمة حقيقية بيني وبين فاروق . فقد كنا نتحدث معا عن مزاد للكتب اشترى منــه فاروق عددا من الكتب عندما جاء ذكر اسم فيروتشي الايطالي في الحديث بوصفه الرجل الذي اشترى الكتب لفاروق .

وقال لي الملك : أتدري من الذي كان يمثلني في هذه الصفقة .. صديقك فيروتشي !

وبالكاد تمالكت أعصابي وأنا أحاول أن أذكر الملك أن فيروتشي ليس صديقي بالمرة . ووجدت نفسي أصف فيروتشي بكلمة (هذا الكلب القذر) . ولم يظهر على فاروق أي انفعال حتى انتهى الحفل وعدت الى السفارة واذا بنو الفقار باشا كبير الامناء يطلب ان يحضر فورا لمقابلتي . وعندما تحدث كنت في غاية الدهشة . فقد ذكر أن الملك مستاء جدا لاني استخدمت وصف (الكلب القذر) لاحد موظفي القصر وهذا لا يليق بكرامة الملك . وحاولت اقناع ذو الفقار باشا انني لم أكن أقصد المعنى الحـــرفي للكلمة وانني مستعد أن أسميه أمام الملك فاروق (الكلب اللطيف) أو (الكلب النظيف) كمـــا يريد . وأدركت أن الملك فاروق ســوف يثير لنا المتاعب وأنه أصبح مستحيلا .

(وتقول مذكرات كيلرن هنا أن بريطانيا آخر في السفارة طرد من مصر في أوائل ثورة ١٩٥٢ . وهو الملحق الصحفي ارثر كيلاس الذي شغل بعد تلك منصب سفير بريطانيا في اليمن الجنوبيـــة . وكان قد استخدم عبارة (القافلة تسير والكلاب تعوى) بطريقـة اعتبرتها مصر بعد الثورة غير لائقة وأمرت بطرده) .

مطالب الأمير :

في أوائل فبراير حضر انتوني ايدن الى القاهرة لتحية قوات نيوزيلاندا واستراليا والفرقة الهندية التي سوف تشترك في القتال مع بريطانيا . وقد صحبته بعد ذلك لزيارة الامير محمد علي في قصره بالمنيل . وشكا الامـــير من الملك فاروق كثيرا أمام انطوني ايدن . وقال ان السبب في ذلك علي ماهر وان الاخير رجل لايوثق به بالمرة .. وان شقيقه أحمد ماهر قال ذلك عنه . وطلب الامير محمد علي من ايدن أن تعامل بريطانيـا المصريين بحزم لاننا اذا عاملناهم بلطف فسوف تفســـد الامور من أيدينا . وخرج ايدن من المقابلة ولديه انطبـــاع أن فاروق سيكون زبونا متعبا لنا . وكذلك رئيس وزرائه علي ماهر .

وفي هذه الاثناء كانت الانبـــاء القادمة من جبهـــة القتال في أوربا لا تسر . فقد اجتاح الالمان النرويج واستسلمت لهم فرنسا . وازاء هذه التطورات أصبح موقفنا في مصر أكثر صعوبة . وكان هذا شيئا متوقعا . كما كان متوقعا ايضا ان ايطاليا على وشك أن تدخل الحرب هي الاخـــرى الى جانب المانيا . وضعفت ثقة المصريين في قوة بريطانيا على الصمود ضد هتلر وخصوصا اذا دخلت ايطاليا ايضا الحـــرب . وتوافرت لدي بعض الدلائل أن حكومة علي ماهر باشا والملك نفسه يحاولان الاتصال بالايطاليين من وراء ظهرنا للحصول على ما يطمئنهم بخصوص وضع مصر في حالة دخول ايطاليا الحرب .

وقررت أن اقابل علي ماهر فورا ..

من كان يتجسس في القصر ؟

وكتب السفير في مذكراته عن هذا اللقاء مع علي ماهر يقول :

(وافق رئيس الوزراء فورا على تسليم الرعايا الالمان المعتقلين في مصر . وابلغني ان الوزير المفوض الايطالي قابله وسأله عن موقف مصر بعد خطاب موسوليني الذي اعلن فيه الحـــرب الى جانب المانيا . واجاب علي ماهر ان مصر ملتزمة بمعاهدة ١٩٣٦، وانها ستتصرف طبقا لهذه المعاهدة . وهنا طلب الوزير الايطالي السماح له بمغادرة البلاد ووافق علي ماهر على تسليمه جوازات سفره على أن يتم مبادلة أعضـــاء السفارة الايطالية في القاهرة بأعضاء الســـفارة المصرية والقنصليـــة المصرية في بني غازي .. وعلى وجه العموم فقد أظهر علي ماهر قدرا كبيرا من التعـاون

معنا . ولكنني مازلت أحس أنه يجب أن نراقبه طوال الوقت لأنني لا أثق فيه) .

وبعد أسبوع من لقاء السفير مع علي ماهر تدهور الموقف مرة أخرى وطالبت لندن طرد علي ماهر من الحكم . ويقول السفير في مذكراته عن يوم ١٧ يونيو ١٩٤٠ :

سافرت الى الاسكندرية خصيصا لمقابلة الملك فاروق في قصر المنتزه . ودار الحديث في البداية حول تقرير سري تلقيته من قائد أسطولنا في الاسكندرية يقول فيه أن الأنوار تشاهد ليلا على شواطىء الاسكندرية من مكان معين وأن هذه الأنوار قد تصلح كاشارات لغواصات الأعداء أو لتسهيل عملية بث الألغام ليلا . وأعطيت الملك فاروق صورا التقطت للمكان الذي تصدر منه الاشارات .

ولم تبد على الملك أية دهشة عندما رأى أن الصور لقصر المنتزه التي كنا نجلس فيه . وأن الاشارات كانت تصدر من احدى غرف القصر . ووعد فاروق بالتحقيق في الأمر . وبعد ذلك انتقلنا الى الموضوع المهم الذي قدمت من أجله وهو التخلص من علي ماهر . وقلت لفاروق أن علي ماهر يجب أن يذهب بسرعة (أي يطرد من الحكم) . وقلت له ان لندن لا توافق على عودته الى القصر كرئيس للديوان .

وطلب الملك فاروق مهلة للتفكير فيما سوف يفعله .. وسألني أي نوع من الحكومات قد أوصى به . ونصحته أن يأتي برئيس وزراء يطبق معاهدة ١٩٣٦ بنصوصها . وقلت له انه يجب أن يجرى مشاورات مع محمد محمود باشا زعيم الأقلية والنحاس باشا زعيم الأغلبية . ولكن فاروق قال انه لا يستطيع أن يتعاون مع الرجل الذي كان وهو يجلس في نفس المقعد الذي كنت جالسا عليه (يقصد النحاس باشا) .

وحاول الملك فاروق أن يقنعني ، ولكني أفهمته أن الأمر خطير جدا . وأن ما يهمنا الآن هو أن تكون هناك حكومة مصرية تتعاون معنا باخلاص في كل ما نريده . وأنه ليس من الضروري أن تدخل مصر الحرب . وحذرت الملك أنه يلعب بالنار .. وأن الجنرال ويفل قائد قواتنا ينتظرني بعد ظهر هذا المساء ليعرف قرار الملك (هذا تهديد مباشر لفاروق باستخدام القوة ضده) . ورجوته أن يعمل ما أنصحه به وأن يطرد علي ماهر ويتخلص من نصائحه الشريرة ..

وقال لي فاروق انه كملك على مصر فان من واجبه أن يحافظ على الشعب بعيدا عن الحرب وبعيدا عن الطرف الخاسر ..

وقلت له ان مصر اما أن تغرق مع بريطانيا اذا خسرت الحرب او تنجو معها .. ومن الافضل ان تحاول النجاة معها . وقلت له أيضا اننا سوف ننتصر وانه يجب الا تراوده اية شكوك حول ذلك . وعلمت منه أيضا أن يعود الى للقاهرة حيث هو مطلوب هناك .

وهكذا مملت فاروق ما يشبه الانذار في ذلك الوقت . ورفضته رجاء حسنين باشا أن نمنح على ماهر فرصة أخرى . وقلت له : انه لا يمكنه أن يلعب معنا بامانة .

حكومة بريطانية ١٠٪ :

وفي ٢٥ يونيو ١٩٤٠ أي بعد اللقاء العاصف بين السفير والملك فاروق في الاسكندرية كتب كيلرن يقول :

(ساد الرعب السفارة بعد ظهر ذلك اليوم عندما جاء الجنرال ويفل ليقول ان الشائعات تتردد بقوة عن اعتزام الملك فاروق أن يغادر البلاد بالطائرة الى ايطاليا . وانني اصدرت الاوامر بمنع الملك من السفر بأي شكل . واعترض الجنرال ويفل على تصرفي قائلا انني يجب أن أترك فاروق يذهب . وهكذا يبدو كأنه قد تخلي عن العرش بمحض ارادته . ولكنني عارضت بشدة كلام ويفل . وحاولت أن اذكره بانه اذا نجح فاروق في الوصول الى ايطاليا فسوف يحتضنه موسوليني ويحتفظ به هناك بوصفه المطالب بعرش مصر . وقال ويفل انني مسئول عن هذا التصرف . وقبلت تحمل المسئولية) .

وبعد ذلك بثلاثة أيام قابلت الملك فاروق وبعثت بالبرقية التالية الى لندن فورا :

هام جدا .. وسري للغاية :

(قابلت فاروق في السابعة مساء . ووافقت على اختيار حسن صبري رئيسا للوزراء بدلا من على ماهر . ووافق فاروق من جانبه على ان تتخذ الحكومة الجديدة جميع الاجراءات العسكرية التي طلبناها من مصر طبقا للمعاهدة . ووعدني الملك أن يكون القصر في خدمة الحكومة . وطلب مني أن أبلغ لندن انه مع الانجليز وان أي كلام آخر غير صحيح .

(وقال فاروق انه حاول جس نبض النحاس ليتولى الوزارة .. ولكن النحاس تقدم ببرنامج سياسي وصفه الملك فاروق بأنه برنامج (بلشفي) . واعتذر النحاس عن تولي الحكم . وهكذا

وجد فاروق نفسه مضطرا ان يختـــار الرجل الذي قد ترضى عنه لندن وهو حسن صبري . كما انه حشا الوزارة برجال جميعهم معروفون بولائهم لبريطانيا . ولكن فاروق كان يخشى ان الحكومة الجديدة ليست قوية كما ينبغي ولو انها بريطانية الميول تماما » .

وتعلق المذكرات على هذه التطورات فتقول :

بعد اللهجة الشديدة التي تحدث بها السفير الى فاروق وبعد استبعاد علي ماهر وتعيين حسن صبري الذي كان سفيرا مصريا في لندن بدلا منه تحسن الجو بين القصر والسفارة . وهكذا ذهب وزير الدفاع المعادي لبريطانيا في حكومة علي ماهر باشا . واحيل الى المعاش عزيز المصري باشا رئيس اركان حرب القوات المصرية . وهو رجل كانت تشك فيه بريطانيا . وكان غير متعاون بالمرة مع الانجليز . كما حدث تطور هام . فقد اصدر فاروق قراره بتعيين أحمد حسنين باشا خريج جامعة اوكسفورد رئيسا للديوان الملكي وهو منصب هام للغاية وحساس جدا .

وفي نفس الوقت كانت فرنسا قد انهارت تماما . ولقى الانجليز هزيمة مروعة عند دنكرك واضطروا الى الانســحاب . واصدر القائد الفرنسي أوامره لقوات فرنسا في لبنان بوقف القتال . ولو أن هتلر تقدم الى الشاطيء البريطاني بعد دنكرك مباشرة لسقطت بريطانيا بسهولة في يديه . ولكنه توقف عند الشاطيء الفرنسي وبدا يخطط لحملة كبرى في شــمال افريقيا . وهكذا بدأ المسرح يستعد لانتقال العمليات الحــربية على نطاق واســع الى منطقة الشرق الاوسط .

هذا الغلام السخيف :

في ١٤ اكتوبر زار انطوني ايدن الذي كان يشغل منصب وزير الدولة لشئون الحرب القاهرة سرا . واقام في مبنى السفارة . وقام بزيارة سرية للصحراء الغربية والخــرطوم حيث كان يوجد الامبراطور هيلاسلاسي . وكانت السلطات البريطانية في السودان تحاول مساعدة هيلاسلاسي على اســتعادة اثيوبيا وتحريرها من أيدي الايطاليين .

وكانت القوات الايطالية قد عبرت الحـــدود المصرية في ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ . وقبل ذلك بشهر كانت الغارات الجوية على المدن المصرية قد بدأت واتخذت طابعا عنيفا . وعندما توقف زحف القوات الايطالية في الصحراء الغربية فكــر موسوليني في الهجوم على

اليونان . وفعلا نزلت القوات الايطالية على شواطىء اليونان في ٢٨ اكتوبر من نفس العام .

واصطحب انطوني ايدن وهاملستون المساكم العام للسودان (المصري الانجليزي في ذلك الوقت) الى قصر عابدين . وحاول فاروق أن يتظاهر بالود نحوهما . ولكن ضحكته المعهودة كانت تكشف عصبيته وقلقه . واستمر الحديث بيننا حوالى ساعة . وكمادته حاول فاروق ان يستعرض أمام ايدن انه الرجل العليم بكل شيء . وكانت نظرات ايدن تتغير كلما قال فاروق شيئا لم يراع فيه اللباقة او الديلوماسية . وبعد خروجنا من القصر قال لي ايدن :

ـ مايلز .. كيف تستطيع ان تتحمل هذا الغلام السخيف .. واي صبر عندك في التعامل معه .. لابد انه يضايقك كثيرا .

وقبيل انصرافنا من القصر استطاع ايدن احراج الملك عندما قال له ان وزير الدفاع المصري اكد لايدن انه اذا هوجمت القوات المصرية الموجودة في واحة سيوه بواسطة القوات الايطالية فان القوات المصرية لديها اوامر بأن تقاوم القوات الايطالية . ويبدو أن فاروق لم يكن يعلم شيئا عن ذلك . وكان تعليقه :

اذا كان وزير الدفاع قد ذكر لك ذلك فلابد انه صحيح .

وقبل عودة ايدن الى لندن اقامت السفارة له حفلا دعت اليه جميع رؤساء الوزارات السابقين في مصر وزعماء السياسة . وتخلف عن الحفل على ماهر باشا واعتذر بأنه مريض . وكان رايي الشخصي الا توجه له الدعوة . ولكن البروتوكول كان يحتم ذلك . وقد اقمنا الحفل بعد الافطار لاننا كنا في شهر رمضان في ذلك الوقت . وكانت فرصة التقى فيها ايدن مع معظم الزعماء السياسيين في مصر وتحدث اليهم .

وبعد الحفل قال لي ايدن أن الانطباع الذي خرج به عن جميع الزعماء الذين تحدث اليهم أن الملك هو سبب كل المتاعب . وقال لي ايدن انه يبدو أن هناك اجماعا في الرأي على ذلك . ولكنه عندما كان هناك في فبراير الماضي كان الزعماء أكثر حرصا في الحديث معه . وقال لي ايدن صراحة أن رأيه بعد كل ما سمعه عن فاروق ان الشيء الوحيد الذي يجب ان تفعله بريطانيا أن تطرد هذا الغلام . وقلت لايدن أن هذا هو ما فكرت فيه عدة مرات . اطردوا من أحمد حسنين :

واثناء زيارة ايدن الحربية للصحراء الغربية كلفني بعقد اجتماع في السفارة لرؤساء اركان الحرب . وكان أهم موضوع في

الاجتماع بحث ما اذا كان من واجبنا التخلص من فاروق وقلت في الاجتماع رأيي بصراحة اننا يجب أن نتخلص منه . وانه سيظل شوكة في ظهرنا . وانني لا أطمئن اليه خصوصا لما ساءت الاحوال في الصحراء الغربية . ولكن الجنرال ويفل عارض هذا الرأي بشدة . وقال اننا لن نستطيع اخضاع مصر والمصريين بمجرد التخلص من فاروق . وسألني :

ـ مايلز .. ألم تفكر في أحمد حسين وحركة « القمصان الخضراء » وما يستطيع هؤلاء الفاشيون ان يفعلوه ؟

وظل النقاش هكذا وقتا طويلا . وأخيرا قررنا ترك الموضوع لايدن ليتخذ فيه قراره . ولكن ايدن انشغل بأوامر من لندن أن نحول جزءا من قواتنا للدفاع عن اليونان خصوصا السلاح الجوي.

وفي منتصف نوفمبر حضرت حفل افتتاح البرلمان . وكان الامير عبد الله الاردني يجلس الى جواري . وجلس فاروق في مكانه . وسلم الى حسن صبري رئيس الوزراء الخطاب الذي سيلقيه في حفل الافتتاح . واستمر الخطاب وقتا طويلا . واذكر ان الامير عبد الله استدار نحوي وهو يقول : يا له من خطاب طويل .

وفجأة سكت صوت رئيس الوزراء ثم ترنح قليلا ثم نظر الى الملك واخذ يبحث عن احد يستند اليه فلم يجد احدا . ثم انهار حتى أرض القاعة . وأسرع الوزراء في محاولة لاسعافه . وحدث هرج ومرج . واثناء انصرافنا قال لي احد المسئولين ان رئيس الوزراء قد مات بالسكتة القلبية .

وكان هذا خبرا سيئا لي شخصيا ولبريطانيا أيضا . فقد كان حسن صبري من أشد المتحمسين لنا . وكان دائما يلتقي معنا في منتصف الطريق . بل انه اشترط لتولي رئاسة الوزارة ان تمنحنا الثقة فيه . وقد تدخل عدة مرات لحل الازمات بيننا وبين فاروق . وكنت أحترمه لامانته وصراحته معنا .

وجلست افكر : ترى من يخلف حسن صبري في هذا المنصب الخطير الآن ؟

ولم يطل تفكيري طويلا . فقد خلف حسن صبري في رئاسة الوزارة صديق لنا هو حسين سري باشا ، وهو متزوج من الاسرة المالكة . ومعروف بميوله البريطانية .

وفي هذا الوقت نشبت معارك حامية في الصحراء الغربية . واستطاعت القوات المدرعة أن تلحق هزيمة بالقوات الايطالية وتطاردها نحو السلوم . وكان هذا احسن الاخبار التي سمعتها في اخر عام ١٩٤٠ الذي كان حافلا بالاخبار السيئة للحلفاء .



كان مونتجومرى قائداً خلفاً ٠٠ ولكنه استطاع انقاذ بريطانيا من الهزيمة

عندما تقدم روميل نحو مصر



فى هذه الحلقة يتدهور الموقف فى الداخل والخارج ٠ فى الداخل تسير المظاهرات فى الشوارع ضد الانجليز ، وتحمل لافتات تتمنى لهم الهزيمة والخروج نهائيا من مصر ٠٠ وفى الخارج يصل الجنرال (روميل) الى مسرح العمليـــات فى الصحراء الغربيـــة ، فينقلب الموقف ، ويلحق ثعلب الصحراء الالمانى بالقوات البريطانية خسائر فادحة فى الرجال والعتاد• وتقف القوات الالمانية على ابواب مصر استعدادا للهجوم الكبير•

ولكن سير (مايلز لامبسون) السفير البريطانى فى القاهرة ما زال مشغولا بلعبة القط والفار ، بين السفارة والقصر

١٩٤١

وصل الجنرال روميل الى مسرح العمليات في شمال افريقيا . وبدأت الامور تأخذ شكلا اخر في حرب الصحراء . كنا قد استولينا في أوائل العام على مدينة بنغازي . وكان ذلك انتصارا كبيرا لخطة الجنرال ويفل . ولكننا اضطررنا الى تخفيض قواتنا في برقة لمساعدة اليونانيين لان الاحوال في الجبهة اليونانية لم تكن على ما يرام . ثم قرر الالمان التدخل في شمال افريقيا . وجاء روميل ومعه أوامر من هتلر بالدفاع عن طرابلس . وبعد ذلك تغيرت الاوامر . واصبحت مهمة روميل الاولى شن هجوم شامل على قواتنا في الصحراء . وبدأ الهجوم في ٣١ مارس جنوب مدينة بنغازي . وبعد ١١ يوما من القتال تمكن روميل من اجبار القوات البريطانية على الانسحاب . وتراجعت القوات بسرعة نحو الحدود المصرية . وسقطت طبرق في أيدي الالمان .

ويقول مايلز لامبسون في مذكراته عن الايام الاولى من سنة ١٩٤١ :

اول يوم في السنة الجديدة . والامل أن يكون هذا العام افضل من السابق . ولكننا يجب الا ننسى أن المانيا هي الهيئة التي يجب ان نحطمها لكي نكسب هذه الحرب . وفي اعتقادي ان الحرب سوف تمتد هذا العام الى الطرف الشرقي من البحر المتوسط . وعلينا أن نجعل من مصر قلعة نصب فيها الرجال والعتاد استعدادا لمعارك كبرى قد تدور في البلقان . وبالنسبة لموقف المصريين هنا من الحرب استطيع ان أقول ان جميع الباشوات الذين قابلتهم في الايام الاخيرة أصبحوا اكثر ثقة فينا . وكان حديث توفيق نسيم باشا بحماس اكثرهم استرعاء لنظري . فقد كانت قوائمنا السرية تقول انه من أسوأ الناس المذبذبين الذين يثرثرون عن هزيمة بريطانيا التي توشك أن تقع قريبا . ولكنه مثل صدقي باشا أصبح الان من الواثقين في انتصار بريطانيا . وهذا هو الجانب المضحك من الطبيعة البشرية .

اما فاروق فقد اصبح لامبسون راضيا عنه تماما في بداية عام ١٩٤١ . فهو يقول :

حضر فاروق ومعه الملكة فريدة والملكة نازلي حفلا للترفيه

عن القوات البريطانية في مصر . وكانت هذه لفتة طيبة من الملك الذي استدعاني للحديث معه في اللوج المخصص له . وكان يجلس معنا حسنين باشا وحسين سري باشا . وقد علمت بعد ذلك أن الملك أجل رحلته الى الصعيد حتى يحضر الحفل . ولهذا فانا استطيع الآن أن أعطيه عشرة على عشرة لأنه حضر هذا الحفل .

ثم وقع حادث صغير يعكر صفو هذه العلاقة المتحسنة مع القصر . ويقول لامبسون :

في ١٦ يناير حضرت الاجتماع الاسبوعي للمجلس البريطاني الذي يبحث وسائل تعاون السفارة والجالية البريطانية في مصر . وكان أعضاء المجلس قد سألوني في الاسبوع الماضي عن حقيقة القصة التي تقول ان وثيقة سرية بريطانية هامة جدا تسربت من أيدي للمصريين الى الالمان .. وان هذه الوثيقة كانت مرسلة من شخصية بريطانية الى وزير الدفاع المصري وكانت تتحدث عن خطط القوات البريطانية ومواقعها للدفاع عن واحة سيوه . وقد عثرت عليها القوات البريطانية بين عدد آخر من الوثائق استولت عليها في سيدي براني .

وقلت للمجلس انني بحثت الامر مع سري باشا رئيس الوزراء وطلبت تحقيقا كاملا لمعرفة المسئول عن تسرب هذه الوثيقة الى الالمان . ووعدني حسنين سري باشا باجراء التحقيق . ولكن يبدو ان هناك أيادي خفية تحاول ان تمنع التحقيق أو على الاقل تعرقله عن الوصول الى الاشخاص الذين هم وراء ذلك . واعتقد ان من بينهم على ماهر باشا وصالح حرب باشا .

ديجول في القاهرة :

في ١٢ ابريل ١٩٤٢ زارني الجنرال ديجول في مكتبي بالسفارة ، وكان يرافقه الجنرال كاترو . وعلى عكس ما كنت اتوقع وجدت ديجول رجلا مثيرا وجذابا . وكان يبدو عليه التصميم على تحرير فرنسا واستعادتها من أيدي الالمان . كما كان يلقي على أسئلة مثل طلقات النار . ولم يتردد في انتقاد موقف بريطانيا المائع تجاه سوريا . ولكني بعد المقابلة أصبحت اكثر ثقة في ديجول . وأستطيع أن أقول بدون شك انه (رجل) .

وبعد ذلك بدأت الانباء السيئة تتلاحق من الصحراء الغربية بعد الهجوم الالماني بقيادة روميل • وفي صباح ٤ ابريل كانت جميع الصحف المصرية تحمل في صفحاتها الاولى خبر انسحابنا من بنغازي • وقد حرصنا على اذاعة الخبر بطريقة معينة بواسطة الرقابة على الصحف حتى لا يحدث رد فعل سيء • وقال لي ابني مايكل جراهام (لورد كيلرن الحالي) ان لنا ٦٠ الف رجل في شمال افريقيا • وان أكبر خطأ ارتكبناه اننا لم نحاول طرد الايطاليين من طرابلس • وهكذا أتحنا الفرصة لروميل ليهجم علينا وعندما سألت عن المسئول عن وقف هجومنا على طرابلس علمت بعد ذلك ان رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل هو الذي أمر بذلك شخصيا •

وفي اليوم التالي جاء ايدن لزيارة قواتنا والاجتماع بقادة المنطقة • ورأيت في التعبيرات على وجه ايدن ومرافقيه ان الهزيمة التي لاقيناها في الصحراء أسوأ مما نعتقد • وقال أحد مرافقي ايدن ان فرقة مدرعات بريطانية لم تصمد وانها تحطمت تماما في القتال • وان أكبر شيء نخاف منه ان معداتنا لا تصلح لقتال الصحراء واننا في حاجة الى بعض الوقت لتعديلها • وبعد اجتماع ايدن والقادة البريطانيين كان الوجوم باديا على وجهه • وبدأت اخبار أخرى سيئة تتوالى • ولاول مرة في حياتي رأيت ايدن يفقد أعصابه ويبدو عليه التوتر والهياج •

وفي تلك الوقت اشتدت الغارات على المدن المصرية وخاصة الاسكندرية ومدن القناة • واصبح الموقف خطيرا بسبب الصعوبات التي نجمت عن هذه الغارات • ولم يكن الحال أفضل في سوريا ولبنان حيث توجد قوات الجيش الفرنسية التي استسلمت لالمانيا • وفي العراق تدهور الموقف عندما حاصر الكولونيل رشيد عالي المعادي لبريطانيا قواتنا هناك • وفي بضعة شهور استطاع الالمان اجتياح يوغوسلافيا واليونان • وانسحبت قواتنا من جزيرة كريت في مايو • وفي نهاية هذا الشهر أيضا بدأ الغزو الالماني للاتحاد السوفيتي •

كل هذه الانتصارات ساعدت على رواج اسطورة النازي والرايخ الذي لا يهزم • ولكن وسط كل هذه الاخبار المحزنة عن هزائم الحلفاء تمكنت قواتنا في العراق من اخماد انقلاب رشيد عالي الكيلاني • وكذلك أمكننا احباط محاولة المانية للوصول الى سوريا ودخلت قوات الكومنولث مع قوات فرنسا الحرة سوريا

وبعد معارك دامية مع قوات فيشي هناك استمرت شهرا . وانهارت أيضا امبراطورية موسوليني في اثيوبيا . ورغم ذلك كان الموقف في الصحراء الغربية مثيرا للمخاوف والدليل على ذلك اعفاء الجنرال ويفل من منصبه واحلال أوكنلك مكانه .

وتلقيت أخبارا أخرى تقول أن عددا من كبار القواد الانجليز سقطوا في أيدي روميل وأن الغارات الالمانية على مواقعنا داخل مصر تحدث اضرارا كبيرة . والتي تشرشل خطبة أخرى من خطبه التي تثير الاعجاب واعترف تشرشل بالضربة التي تلقيناها في برقة . وقال ان الجنرالات الانجليز اخذوا على غرة بهجوم روميل الخاطف . وقال تشرشل ان قتالا مريرا ينتظرنا في الصحراء الغربية ليس فقط من أجل استعادة ليبيا .. بل من أجل الدفاع عن وجودنا في مصر .

وكانت مشكلتي الاولى في القاهرة كيف نخفف من وقع هزيمتنا على الرأي العام المصري حتى لا ينقلب ضدنا .

مصر او العراق ؟

وعلمت بعد ذلك ان الالمان استولوا على طبرق وان القتال يدور ايضا في السلوم .. أي على الاراضي المصرية . وكان هذا النبأ شديد الوقع على نفسي . وجلسنا نتداول الامر في السفارة .. وقال بعضهم انه من ثعلب مثل روميل لايمكنك أن تتنبأ أين يضرب ضربته التالية .. وأن الدبابات الالمانية قد تظهر فجأة في المنيا . وقال صديق آخر يجب ان نستعد للأسوأ وان نفكر في أنفسنا اولا ولا يهمنا اذا انسحبنا من مصر أولا . وكان رأي هذا الصديق ايضا انه يجب أن ننسحب من مصر الى الجنوب ونترك البحر المتوسط يدافع عن نفسه . وقد عارضت أنا وزوجتي بشدة الرأي القائل بانسحابنا من مصر وقلت ان ذلك سيؤدي الى كارثة .

وبعد ثلاثة أيام من سقوط طبرق قابلت حسين سري رئيس الوزراء . ودار الحديث حول دور القوات المصرية في القتال . ونقلت الى حسين سري رأي القيادة البريطانية أن الجيش المصري يقوم بعمل هام في حراسة القناة والمدن ضد الغارات الجوية والجسور والكباري ، وان الاوامر الصادرة للقوات المصرية في سيوه بالقتال اذا هوجمت تناسبنا تماما . وكنا قد ناقشنا في القيادة البريطانية احتمال اشتراك مصر في الحرب رسميا . ولكننا

رأينا أن ذلك سيؤدي الى ضرب القاهرة بقنابل الطائرات الالمانية، وهو شيء يضرنا أكثر مما ينفعنا الآن ٠

وقال لى حسين سرى انه سوف يتحدث أمام البرلمان ، واقترح أن ينقل الى النواب ما دار بيننا من حديث ٠ ولكنني نصحته أن لا يتحدث عن التفصيلات وأن يكون خطابه عاما حتى لا يستفيد الالمان من أية أسرار، ولما سألته عن مصير التحقيق مع صالح حرب وعلى ماهر حول الوثيقة المصرية قال لى حسين سرى أن الموقف فى السلوم جعل أى شيء لا يهم بجانبه ٠ وعندما خرجت من مكتب رئيس الوزراء كان هناك حشـــد من الصحفيين المصريين يسألون عن آخر الاخبار ٠ وقلت لهم شيئا عن الشجاعة والثقة والصمود ٠

وفى بغداد أيضا تدهورت الامور بشـــكل خطير هناك ٠ فقد تلقيت برقية فى ٣٠ ابريل من قاعدة الحبانية القريبة من العاصمة العراقية تقول ان القوات العراقية التى ظلت تتجمع فى اليومين الاخيرين حاصرت قاعدة الحبانية وابلغت قائد القاعدة البريطاني انه غير مسموح له بالدخول أو الخروج ٠ وانه اذا حاول احـــد الخروج أو اذا حاولت احدى الطائرات الاقلاع فان القوات العراقية سوف تضربها بالنار ٠ ورد القائد البريطاني انه اذا حـــدث ذلك فسوف يعتبره عملاً من أعمال الحرب وبغداد هى المسئولة عن ذلك ٠

وكان رشيد عالى الكيلاني قد عين رئيســا للوزراء بعد حركة انقلاب ثورية قام بها الجيش العراقي ضد القوات البريطانية هناك، وعندما علم تشرشل بهذه الانبـــاء ابرق الى القائد البريطانى فى الحبانية يقول :

اضربوهم بشدة وبسرعة ٠

وفعلا نشب قتال عنيف حول القاعدة ٠

وجاءنى القائد البريطانى للشرق الاوسط وهو يقول ان الحـل الوحيد ان نحاول الاتفاق مع رشيد عالى الكيلاني ٠٠ وكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على نفسى ٠ وعندما سألنى القائد : يجب أن نقرر الآن أيهما أهم لبريطانيا مصر أو العراق ؟

ووجدت نفسى اقول له بلا وعى : مصر طبعا ٠ وكان الشيء الذى يشغلنى أن يحدث فى مصر ما جرى فى العراق ٠ وعندئذ سوف تكون هناك متاعب كبرى لنا ٠٠

الذهب المصري اخذوه معهم :

ثم وقع حادث خطير في مصر له صلة بما كان يجري في العراق ..

ففي الساعات الاولى من فجر يوم ١٧ مايو ١٩٤١ اقلعت طائرة عسكرية مصرية تابعة للجيش المصري من احد المطارات المصرية وهي تحمل عزيز المصري باشا واثنين من الطيارين المصريين .. وكانت الطائرة تحاول الوصول الى بيروت للانضمام الى ثوار العراق . ولكن الطائرة بعد اقلاعها بقليل حدث بها خلل واضطرت الى الهبوط بالقرب من قليوب وعلى مسافة غير بعيدة من القناطر الخيرية .

وتوجه عزيز المصري الى مأمور قليوب .. وقال له ان حادثا وقع لسيارته . وطلب منه سيارة حكومية لتوصيله . واستقل القائد المصري وزميلاه الطياران السيارة الى شبرا . ومن هناك اخذوا سيارة تاكسي تمكن البوليس بواسطة سائقها من معرفة المكان الذي ذهبوا اليه . وعندما علم البوليس بخبر سقوط الطائرة توجه الى هناك . وبالتفتيش في الحقائب التي تركها عزيز المصري عثروا على خرائط ووثائق تشير الى انهم كانوا في طريقهم الى بيروت . وانهم كانوا يريدون الانضمام الى ثوار رشيد عالي الكيلاني .

وظل البوليس بعض الوقت يبحث عن ركاب الطائرة . وفشلت الجهود في العثور عليهم وتوجهت لمقابلة رئيس الوزراء حسين سري باشا لبحث الامر .. ووجدته ثائرا للغاية لفشل البوليس في العثور على عزيز المصري وشريكيه . واستدعى حسين سري باشا قائد البوليس بالقاهرة وكان راسل باشا في ذلك الوقت وحمله مسئولية فشل البوليس في القبض على عزيز المصري . وقلت لرئيس الوزراء ان حادث عزيز المصري يؤكد ما سبق ان قلته له من قبل أن هناك بعض المصريين في مناصب عليا على اتصال بحركة رشيد عالي الكيلاني المعادية لبريطانيا . وقلت لحسين سري :

ارجو ياصاحب السعادة ان تكون مدركا لعواقب هذه المؤامرة .

واجاب : انا أعرف ذلك تماما .. انني لا اجد أحدا اثق به هذه الايام .



وكان عزيز المصري باشا قد خدم في الجيش التركي ايام

الامبراطورية العثمانية ، وفى سنة ١٩١٢ اشترك مع نورى السعيد فى حركة المقاومة ضد القوات الايطالية ، وبعد ذلك التحق بقصر عابدين كمعلم للملك فاروق ، وسافر معــه الى لندن أثناء فترة تعليمه هناك ، وعين سنة ١٩٣٨ مفتشا عاما للجيش المصرى وكان معروفا بعدائه للانجليز الذين يحتلون بلاده ، ويصفه لامبسون فى مذكراته بقوله (عزيز المصرى السيء) .

وفى هذه الاثناء تطورت الامور الى الاسوأ فى البحر المتوسط ، وابلغنى القائد البريطانى أن الموقف فى جزيرة كريت يبعث على القلق ، وأن القوات الالمانية تتدفق هناك بشــكل يدعو للحيرة ، واثار القائد معى مسألة انتقال ملك وحــكومة اليونان الى مصر للاقامة فى المنفى ، وأبلغته أننى اتصلت بالحكومة المصرية وحصلت على موافقتها .. وبعــد ذلك جاءتنى برقيــة من وزارة الخارجية تسأل عن الذهب المصرى وما الذى نقترح أن نفعـــله لحمايته من السقوط فى أيدى الالمان .

وكنت قد ناقشت هذه المسألة مع بدوى وزير المالية المصرى فى ذلك الوقت ، وكنا نتساءل :

هل نرسل الذهب المصرى الى الخرطوم أو أننا يجب أن نرسله الى جنوب افريقيا ؟

والذهب الذى أتحدث عنه هنا هو الغطاء الذهبى للنقد المصرى ، وبعد أخذ ورد اتفقنا على أنه من الافضل نقل الذهب المصرى الى جنوب افريقيا ، وارسلت الى القيــادة البريطانية لاتخاذ اللازم لتأمين عملية نقل الذهب المصرى الى كيب تاون .

الكولونيل الغامض :

وفى أوائل شهر يوليو استدعانى رئيس الوزراء حســين سرى باشا الى مكتبه ليعرض على نتــائج التحقيق مع عزيز المصرى باشا ، وكان النائب العام يشرف بنفســه على التحقيق ، وجاء فى أوراق التحقيق كما ذكر لى رئيس الوزراء كلام منســوب الى عزيز المصرى يقول فيه انه حاول السفر مع زميليه بالطائرة الى العراق سرا بناء على طلب كولونيــل بريطانى غامض زار عزيز المصرى قبل العملية مباشرة ، وقال عزيز المصرى أيضا انه كان يعرف الكثيرين من العراقيين فى حركة رشــيد عالى الكيلانى ، ولهذا فكر فى الاتصال بهم .

وقال لي حسين سري باشا :

اذا أردت أن يستمر التحقيق فعليك ان تستدعي هذا الكولونيل الانجليزي الغامض لاستكمال التحقيق معه ، واذا أردت أن تغلق التحقيق وتكتم الامر فلي وسعنا ان نفعل ذلك .

وكان رئيس الوزراء يعني انه كان هناك شيء مريب في قضية عزيز المصري فمن الافضل كتمـــان الموضوع كله حتى لا يقع أي احراج لبريطانيا ، وكنت في البداية واثقـــا أن هذه القصة من خيال عـــزيز المصري باشا ، وعندما ذكرت ذلك نصحني رئيس الوزراء أن أستشير فيتزباتريك باشـا نائب راسـل باشا قبل أن اتخذ اي قرار ، وقال لي حســـين سري ان فيتزباتريك انجليزي معروف وسوف يؤكد لي رواية عزيز المصري باشا .

وقابلني ايضا حلمي باشـــا وزير العدل ، وأكد لي أن عزيز المصري قام بهذه العملية حتى يســـاعد الانجليز على الاتفاق مع ثوار العراق ، وسارعت بالتحري عن هذا الضابط البريطاني الذي قابل عزيز المصري ، وفعلا اكتشفت أن شخصا يدعي الكولونيل لوي نهيل زار عزيز المصري قبل عمليـــة الطائرة مباشرة ، ولم أتمكن من معرفة من الذي كلفه بذلك ، وهكذا ازداد الغموض حول هذه القضية المحيرة .

وعندما عدت الى السفارة وجدت تقريرا آخر عن تصرفات سيئة لراندولف تشرشل الذي كان يزور مصر في ذلك الوقت بعـــد أن عهد اليه بمنصب رسمي خاص بالاشراف على البيانات الصحفية للحلفاء ، وقال التقرير المسري أن تشرشل الصغير كان في حفـل عشاء بالاسكندرية وقال كلاما يمس أسرارا عسكرية للحلفاء امام بعض المصريين ، وكنت قد حذرته من التحدث امام المصريين خوفا من انتقال هـــذه المعلومات الى الالمان ، واسـتدعيت راندولف وعنفته ، ولكنه نفى الواقعة واتهم شخصا انجليزيا يدعى لورد البوني بكتابة هذا التقرير جنـــاية اليه ، وانصرف بعد أن وعدني أن يكون اكثر حرصا .

وفي نوفمبر بدأ الحلفـــاء هجومهم المضاد ضد روميل ، وفي ديسمبر هاجمت اليابان الاســـطول الامريكي في بيرل هاربور ، وطلبت مني السفارة الامريكية أن أتوســـط لاقناع المصريين بقطع العلاقات مع اليابان .

١٩٤٢

كانت هذه السنة حافلة بالتطورات العسكرية والسياسية . ومن قصة الحرب تلخص المذكرات ما حدث فتقول ان معركة العلمين كانت بداية للنهاية . وقد بدأت بقتال عنيف وشرس فى الصحراء الغربية . وكان الجنرال أوكنلك قد بدأ هجومه ضد قوات روميل فى نوفمبر وديسمبر من العام الماضي . ولكن روميل الثعلب الالماني قام بهجوم مضاد في يناير لم يتمكن الانجليز من وقفه الا عند طبرق . وحتى شهر مايو من هذا العام كانت قوات روميل عاجزة عن القيام بهجوم آخر او التقدم اكثر من ذلك .

واهم من معركة روميل ومونتجمري كما تقول المذكرات كانت المعركة الكبرى في الجبهة الداخلية المصرية بين الملك فاروق وبين السفير البريطاني . فقد حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين فى الوقت الذى كان السفير سير مايلز لامبسون يقدم انذاره المشهور الي الملك فاروق. وكاد الملك ان يفقد عرشه في ذلك اليوم. غير ان التطورات ادت الى تكليف النحاس باشا بتأليف الوزارة والسيادة مصر بسلام خلال الشهور الصعبة التى اعقبت هذا الحادث .

ومن الاسباب التى ذهلت كما جاء فى المذكرات من حادث ٤ فبراير المشهور انه فى ٦ يناير قطعت الحكومة المصرية علاقاتها مع حكومة فيشي فى فرنسا التى كانت تتعاون مع المانيا ولم يعجب هذا القرار الملك فاروق . كما أن الحكومة لم تأخذ رأيه . ولهذا طلب استقالة وزير الخارجية . ولكن رئيس الوزراء حسين سرى باشا رفض طلب الملك . وكان يقف وراءه ويسانده طبعا السفير البريطاني .

وهذه هى القصة كما يحكيها السفير نفسه من واقع برقياته الى وزارة الخارجية البريطانية :

الثلاثاء ٢٠ يناير :

علمت من مصدر موثوق به ان وزير الخارجية المصرى قدم استقالته بعد ان عنفه الملك فاروق بشدة لاقدامه على قطع العلاقات

الدبلوماسية مع حكومة فيشي دون ان يستشيره اولا . ورغم ان جميع زملاء الوزير فى المجلس قد تضايقوا منه الا انني علمت ان الملك ينوى قبول الاستقالة . وقد طلبت على الفور بمجرد تلقي هذه المعلومات اجتماعا عاجلاً مع رئيس الوزراء ، وابلغته أن هذا الخبر اذا صح فسيكون فى منتهى الخطورة . وحاول رئيس الوزراء أن يستدرجني ليعرف ما الذى قد يحدث اذا كان النبأ صحيحا . وأجبت انه يعني طرد وزير مصري لانه استجاب لطلب بريطانيا حليفة صاحب الجلالة الملك فاروق . وتركت حسين سري باشا يخمن النتائج التى قد تترتب على ذلك .

واجاب رئيس الوزراء عن سؤالي حول صحة الواقعة فقال ان قرار قطع العلاقات مع حكومة فيشي مازال قائما . وان وزير الخارجية بنفسه سيؤكد هذا القرار فى اجتماع لجنة الشئون الخارجية بالبرلمان بعد ظهر اليوم . ومعنى هذه الاجابة ان وزير الخارجية لم ولن يستقيل واعربت عن سروري لهذا الرد .

وبعد ذلك قال رئيس الوزراء :

الان وبعد ان تحدثنا رسميا دعنا نتحدث معا بصراحة وبصفة شخصية .

وابلغني سري باشا ان قصة تدخل الملك صحيحة ولكنه اجتمع به فى اكبر لقاء عاصف بينهما وتمكن من اقناعه بان يسحب تدخله فى هذه المسألة . وقال لي حسين سري باشا عن الملك فاروق :

ـ هذا الغلام جبان تماما .. ويجب ان نخيفه من وقت لاخر حتى ننقذه من نفسه .. واستطيع ان اؤكد لك ان الوزير الفرنسي الفوضى لن يأخذ منا تهانينا عند رحيله من مصر .

ثورة في الازهر :

ويمضي السفير فى برقيته الى وزارة الخارجية البريطانية ليقول :

وتحدث الى رئيس الوزراء المصري بعد ذلك عن النفوذ السيىء لبعض الناس المقربين فى حاشية فاروق . وانتهزت الفرصة وطلبت منه ان يصر على ضرورة طرد عبد الوهاب طلعت الذى كان فى نظرى أحد عملاء على ماهر فى القصر . ولكن رئيس الوزراء عارض ذلك بقوة لاسباب لست ادريها . وحتى الان لست أدرى كيف نتصرف مع فاروق . هل نجعلها ازمة ونفجرها معه

ولنر ما سوف يحدث • أو نمضي قليلا في سياسة الصبر معه ؟ سوف افكر في الامر واكتب اليكم •

وتكشف المذكرات بعـــد ذلك أن السفير كان يفكـــر فعلا في استخدام القوة ضد الملك • ولكن الشيء الذي كان يقلقه انه كلما عرض ذلك في اجتمـــاعات السفارة كان العســكريون يبـــدون اعتراضات قوية ضد هذا التصرف • وعـرض الامر على صديق له في الخارجية البريطانية • فوافقه على ضرورة استخدام القوة • وقال انه في حالة الحصول على موافقة الخارجية البريطانية على هذا التصرف مع فاروق فان القادة العسكريين لن يجدوا مجالا واسعا للاعتراض •

واثناء ذلك كانت انباء القتـــال في الجبهة الغربية تشير الى تدهور الموقف هناك • فقد اندفعت قوات روميل في اواخر يناير ١٩٤٢ فجأة وسط القوات البريطانية واحدثت خسائر ضخمة بين الانجليز في الرجال والعتـــاد واستولت على كميـــات كبيرة من الاسلحة • واسرع الجنرال اوكنلك الى هناك ليشرف على الموقف بنفسه • وتضيف هذه الهزائم الى الحالة النفسية السيئة عنـــد السفـــير وتؤثر في قراره الذي لن يمضي وقت طويل حتى ينفذه بالتصرف بشدة مع الملك •

الاحد اول فبراير ــ كوم اوشيم :

قابلت سري باشـــا رئيس الوزراء مرة أخرى بعد حفل عشاء اقامه خصيصا ليراني • ووجدته في حالة نفســية عالية • وشرح لي بالتفصيل انه عنده امل كبير في انه قد تغلب الآن على الصعوبات التي اعترضت العلاقات بيننا في الاسبوع الماضي • وقال لي انه بعد لقائنا الاخير توجه لمقابلة الملك في القصر في نفس الليلة • وان الملك وافق على اغلاق موضوع وزير الخارجية وقطع العلاقات مع حكومة فيشي • وانه وافق ايضا على تسوية المشاكل الاخرى المتبقية بيننا ومنها طرد عبد الوهاب طلعت باشـا نائب حسنين باشا رئيس الديوان من القصر • وكذلك التخلص من الايطاليين الموجودين في القصر •

وكم كانت دهشتي ودهشة سري باشا نفسه كبيرة عندما اكتشفنا صباح اليوم التالي أن المشكلة لم تنته كما تخيلنا • وان المتاعب بدأت تأخذ شكلا آخر • ولعلها امتدت الى الجامع الازهر • واعتقد

ان الشيخ المراغي (محمد مصطفى المراغي .. شيخ الازهر في ذلك الوقت) هو المحـــرك الاول لهذه المظاهرات المعـادية لنا من اصدقاء علي ماهر والعناصر الاخرى الشريرة المعادية لنا .

واتصل بي رئيس الوزراء سري باشـــا وقال انه ابلغ المراغي انه مادام الازهر يقصر نشاطه على الشئون الدينية فان الحكومة لن تتدخل . ولكن اذا تدخل الازهر في السياسة فانه لن يتردد في ارسال البوليس اليهم لاجـــراء اللازم .. وطلب سري باشا من المراغي ان يوقف فورا هذه المظاهرات المعـادية للانجليز . ولكن تحذيرات سري باشا لم تؤثر في الموقف . فقد تكررت المظاهرات والهتافات المعادية لنا في شوارع القاهرة في اليوم التالي.. وكان المتظاهرون يحملون لافتات ضد بريطانيا والاحتلال البريطاني .

وتحاول المذكرات كما هي العادة هنا ان تمر بسرعة وفي سطور قليلة على هذه الحركة المعادية للانجليز في الوقت الذي كان روميل يدق على ابواب مصر . وينتقل لامبسون بعد ذلك الى الحديث عما جرى في القصر .

سوف يمسحون بي البلاط !

ويبعث رئيس الوزراء يطلب حســــنين باشا رئيس الـــديوان . وأبلغه انه مستعد تماما لقمع حركة الجامع الازهر بشرط ان يحصل على تأكيدات من الملك فاروق انه يؤيد هــــذا التصرف . وطلب حسنين باشا مهلة للرد . ثم عاد بعد ظهر نفس اليوم ليبلغ سري باشا ان القصر لا علاقة له بالموضوع وأن رئيس الوزراء يستطيع أن يفعل ما يحلو له .

وقال لي سري باشا ان معنى كلام القصر ان الملك لم يعد يؤيده ولا يثق فيه . وقال انه ذهب فورا للتشاور مع احمد ماهر باشا زعيم السعديين وهيكل باشـــا زعيم الاحرار بوصـــفهما ممثلي الحزبين المشتركين في وزارته وأنه ابلغهما انه لا يجد بديلا امامه سوى تقديم استقالته. وحثه الاثنان على البقاء ١٥يوما في الحكم. ولكنهما قالا في صراحة انهما لا يضمنان له أصوات نوابهما في البرلمان اذا حدث تصويت على الثقة بالحكومة .

وهكذا وجد سري باشـــا نفسه امام مأزق كبير . فلو فكر في مواجهة البرلمان فسوف (يمسحون به البلاط) كما قال لي بالحرف الواحد . وقال انه لا يستحق أن يعامل بهذه الطريقة . ولهذا فقد

فور ان يستسلم وان يقدم استقالته . وابلغ حسنين باشا بذلك بعد ظهر يوم الاحد . كما أوضح ان السبب الرئيسي لاستقالته انه من الواضح أن الملك لم يعد يؤيده . ومضى صرى باشا يقول لي ان قراره بالاستقالة نهائي لا رجعة فيــــه . ورجاني الا احاول ان اثنيه عن هذا القرار .

ووجدت أنه من غير المفيد محـــــاولة اقناعه بالعـــدول عن الاستقالة . ولهذا اقتصر حديثي معه على الاعـــراب عن اسفي العميق لاضطراره الي التسليم هكذا .

وبعد ذلك سألته عن الاسماء التي يرشحها لرئاسة الوزارة من بعده . وقلت انه لابد أنه فكر في ذلك . واقترح صرى باشا ثلاثة اسماء وهي :

١ ـ بهي الدين بركات باشا .
٢ ـ هيكل باشا .
٣ ـ احمد ماهر باشا .

وضحكت بمجرد سماع هذه الاسماء الثـــلاثة وقلت لرئيس الوزراء انني لا أعتقد انه يعني ما يقوله فعلا . لان بركات باشا لا يصلح . واحمد ماهر أصيب بالنقطة اخيرا وليس في صـــحة تتيح له ان يتحمل اعباء هذا المنصب . اما هيكل باشا فهو غير موجود سياسيا . وسألته مرة اخرى :

ما رأيك الان ..؟

واجاب صرى باشا بدون اى تردد :

ـ اطلب من الوفد ان يتولى الحكم .

وقلت ان هذا راي عظيم . وان هذا هو نفس الرأي الذي وصلت اليه قبل ان اقابله . وانه ما دام اقترح ذلك فانني واثق أن هذا افضل شيء الان . وبعد ذلك بدأنا نبحث ترتيب مواعيدنا معا حتى لا يحدث تضارب بينها . وبنـــاء على طلبي وافق صرى باشا أن يؤجل تقديم استقالة حتى ظهر يوم الثلاثاء . وقلت له انه يجب أن ارى الملك فاروق قبل ذلك . ولكن صرى باشا رجاني الا افعل ذلك لان الوضع سيكون محرجا للغاية بالنسبة له . واقترح أن اقابل الملك في الواحدة بعد ظهر يوم الثلاثاء أي بعد تقديم استقالته للملك بساعة . ووافقت وتركته وانا في منتهى الاعجاب باخلاصه وصداقته وفي منتهى الاسف لرحيله هكذا .

وقد نسيت أن أدون هنا انه في بداية اجتماعنا قال رئيس الوزراء ان فاروق بعد أن اضطر الى التراجع في موضوع حكومة فيشي قال لصليب سامي باشا :

ـ لقد انتصر السفير في الجولة الاولى ·· ولكني سوف أطرحه أرضا في الثانية ·

ويعلق مايلز لامبسون على هذا في مذكراته بقوله :

ـ يا لوقاحته !

وحاولت ان امسك أعصابي :

الاثنين ٢ فبراير :

بدأت الامور تتطور بسرعة اكبر مما كنت اتوقع · فقد اتصل بي رئيس الوزراء وأنا على مائدة الافطار ليقول لي انه مضطر الى تقديم استقالته في الثانية عشرة والنصف بعد ظهر اليوم · وانه لا يستطيع تأجيلها كما اتفقنا حتى يوم الثلاثاء وعلى الفور طلبت حسنين باشا رئيس الديوان بالتليفون وطلبت موعدا لمقابلة الملك في الساعة الواحدة تماما · أي بعد تقديم رئيس الوزراء استقالته بنصف ساعة ·

وحاول حسنين باشا أن يراوغ معي وأن يماطل · ووجدت نفسي مضطرا الى استخدام عبارات قوية وجافة معه ، واتصل بي حسنين باشا بعد ذلك ليعترض على الطريقة الخشنة التي كنت أحدثه بها · وأوضحت له انني سوف أكون في القصر في الواحدة تماما ما لم أسمع فيه شيئا يجعلني أعدل عن هذا الموعد ·

وفي نفس الوقت عقدنا اجتماعا في السفارة حضره اوكنلك وباقي القادة العسكريين لمنطقة الشرق الاوسط مثل الجنرال سمارت والجنرال كيرتس ، وبحثنا في هذا الاجتماع احتمال استخدام القوة العسكرية ضد فاروق · وكعادة العسكريين أبدى اوكنلك شيئا من التردد والقلق · ودارت مناقشات طويلة حاولت خلالها أن أمسك أعصابي · ولكن ذلك لم يمنعني من الانفجار مرة أو مرتين غضبا ، وكان من الواضح ان العسكريين يريدون أن يكون كل شيء مضمونا ١٠٠٪ و كانوا يطلبون تأكيدات لا نستطيع أن نقدمها لهم · مثلا كانوا يسألون :

ـ أليس من الممكن أن تحدث ثورة في البلد ·· ماذا نفعل اذن ؟

وأمكننا بعد وقت طويل اقناع العسكريين بخطتنا ، واتفقنا على

ضرورة اجتماعي مع الملك في الواحدة بعد ظهر اليوم وان أعرض عليه النقاط التالية :

١ ـ انه يجب أن تكون في مصر حكومة مخلصة لمعاهدة ١٩٣٦ وتستطيع أن تنفذها نصا وروحا وخاصة البند الخامس من المعاهدة .

٢ ـ وأن تكون الحكومة قوية وقادرة على الحكم ولها تأييد شعبي كاف .

٣ ـ هذا يعني ضرورة تكليف النحاس باشا بتشكيل الوزارة بوصفه زعيم الاغلبية في البلاد ويجب التشاور معه فورا من اجل تاليف الوزارة الجديدة .

٤ ـ لابد أن يتم ذلك قبل ظهر غد الثلاثاء ٢ فبراير .

٥ ـ الملك في نظرنا مسئول عن أي اضطرابات قد تحدث في هذه الاثناء .

البند الخامس مرة اخرى :

وبالفعل قابلت الملك في الواحدة بعد الظهر ، وهذا هو نص البرقية التي ارسلتها الى وزارة الخارجية البريطانية حول المقابلة :

قابلني الملك في الواحدة تماما . وكان أكثر ودا عن كل مرة سابقة . وشرحت لجلالته السبب الذي دعاني أن الح في طلب مقابلته بسرعة ، وهو أن سري باشا قدم استقالته . ولما كنت الممثل الدبلوماسي للحلفاء في القاهرة فانه من الضروري أن أطمئن الى انه لن يعين في منصب رئيس للوزراء الحالي شخصا لا يمتنع بالصفات اللازمة لتنفيذ معاهدة ١٩٣٦ ، وبعد ذلك قرأت على الملك النقاط الخمس التي اتفقنا عليها في السفارة والتي ذكرتها في برقيتي السابقة ، وقرأت عليه ايضا البند الخامس من المعاهدة حتى لا يكون هناك أي مجال للشك فيما نطلبه .

وقد وافق جلالته بدون أي تردد على النقطتين الاولى والثانية وهما ضرورة وجود حكومة تنفذ المعاهدة نصا وروحا ، وأن يكون لهذه الحكومة تأييد شعبي ، وبالنسبة للنقطة الثالثة الخاصة باستدعاء النحاس لتكليفه بتشكيل الوزارة فقد قال الملك انه طلب فعلا مقابلة النحاس باشا . وقال فاروق انه يسعى لتشكيل حكومة قومية . كما اعترف انه لا يوجد غير النحاس باشا الذي

يستطيع أن يقود هذه الحكـــومة • ومن حسن الحظ أن علاقته بالنحاس أفضل الآن • وقال فاروق أيضا أن أحمد ماهر عاقل ويعرف أن هذه ليست ساعته •

ولكن الملك لم يشأ أن يلزم نفسه بمقابلة النحـــاس وتكليفـــه بتشكيل الوزارة قبل ظهر اليوم التالي كما جاء في البند الرابع • وفي نفس الوقت لم يقل الملك انه لن يقابل النحاس • ولهذا أوضحت للملك انني أود أن يبلغني القصر أن النحـــاس قد كلف بتشكيل الوزارة قبل مضي ٢٤ ساعة • ولم استخدم لغة التهديد والتحدير مع الملك ولكني كنت حازما • وأوضحت له أيضـــا انه يجب الا تكون هناك اضطرابات في البلد ، وطلبت اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لقمع أية اضطرابات وأي تراخ في تنفيذ ذلك قد تترتب عليه عواقب بالغة الخطورة •

قرامل للحكومة الجديدة :

وأجاب الملك قائلا انه لن تكون هناك اضطـــرابات ، وانه في صباح اليوم جاء الى القصر وفد يمثل الطلبة المتظاهرين ، وانه أرسل اليهم يطلب منهم العودة الى مدارسهم وأن يلتزموا الهدوء •

ويقول السفير في مذكراته :

« وقبل مغادرة القصر قابلت حسنين باشـــا وأبلغته بما جرى بيني وبين الملك • وطلبت منه أن يحـــــث الملك بضرورة استدعاء النحاس باشا قبل ظهر غد • وناقشني حسنين كثيرا في هذه النقطة وكان يعارضها بشدة ، وتكشف لي أثناء المناقشة أن خطة القصر الآن هي تشكيل حكومة مؤقتة تمهد الطريق لقيام حكومة ائتلافية برئاسة النحاس باشا ، ولكنه لم يشأ أن يؤكد لي أن النحاس باشا سوف يرأس الحكومة المؤقتة أيضا • وقال حسنين أيضا :

ـ اذا استـــدعينا النحـــاس بالطريقة التي تطلبهـــا خلال ٢٤ ساعة وكلفناه بتشكيل الوزارة فانه سوف يكتسح البــــلد كله • ولن تكون هناك فرصة أمامنا لقيــــام معارضة منظمـــــة له من السعديين والاحرار لتكون كالفرامل التي نستطيع أن نستخدمها مع الحكومة الجديدة •

وفي نفس الوقت أكد لي حسنين باشا أن القصر ينوي استبعاد أية عناصر موالية لعلي ماهر في الوزارة الجديدة »

وقلت له انني حسب معلوماتي عن الوفد وموقفه هذه الايام فانني أشك كثيرا في احتمال قبول الوفد او النحاس الاشتراك في الوزارة ٠٠ أو في حكومة الائتلاف بعد ذلك ٠ ولهذا فاني اعود واطلب منه مرة اخرى ان يذكر الملك بحديثنا ٠ وقبل انصرافي قلت لحسنين باشا :

ـ انني أمل ان أسمع غدا ان النحاس قد استدعي الى القصر للتشاور معه ، وانني امل أن يحدث ذلك قبل ظهر غد ٠ وآمل ايضا أن يتم الاتفاق مع النحاس بوصفه زعيم الاغلبية وتساند جماهير الشعب على الخطوات القادمة ٠

ومن الضروري أن يوافق النحاس على ما سوف يحدث ٠٠ سواء كانت النية تشكيل وزارة مؤقتة او وزارة ائتلافية ٠

وفي المساء حاولت ايفاد الجنرال سمارت الى حسنين باشا ليؤكد له مرة أخرى مطالبنا ولكن سمارت كان قد اصيب بالانفلونزا للأسف ٠ واوفدت بدلا منه تيرانس شون ٠ ولكنه لم يتمكن من العثور على حسنين باشا وكنت واثقا انه اختفي عن عمد وانه لا يريد أن يقابل ممثل السفارة ٠ وكلفت شون ان يترك له في مكتبه خطابا بطلباتنا وأن يكتب على المظروف (شخصي وعاجل)

وفي المساء تلقيت برقيــة من وزارة الخارجية بهـا تعليمات جديدة بمقابلة النحاس واستطلاع رأيه في الموقف ٠ ويبـدو أن الوزارة بعثت هذه التعليمات عندما علمت بخبر استقالة سري باشا وقبل أن تصلها برقيتي الخاصة بمقابلتي مع الملك ٠ وجلست اكتب ردا عاجلا انصح فيه بتأجيل أي اجتماع بيني وبين النحاس الى ما بعد اجتماع الملك بالزعماء السياسيين في القصر ٠ ثم كتبت خطابا خاصا لانطوني ايدن ابلغه فيه بموقف الجنرال أوكنلك المتذبذب عندما طلبنا منه مساندة السفارة باستعراض القوة ٠

وفي وقت متأخر جدا أويت الى الفراش وأنا احس اننا مقبلون على تطورات خطيرة ٠



بكل عجرفة وفى حماية الدبابات
توجه كيلرن للتوجيه الانذار للملك

الانذار البريطاني



تنفجر الازمة بين السفارة والقصر . ويعقد السفير اجتماعا لمجلس الحرب البريطاني ويتقرر فى هذا الاجتماع خطة لتوجيه انذار الى فاروق والدبابات تحاصر قصر عابدين . وفى نفس الوقت يأمر السفير البريطاني باعداد وثيقة لتنازل فاروق عن العرش . ويهدده بانه اذا لم يوقعها فسوف ينتظره مستقبل مظلم .

ولكن فاروق يحـــاول ان يلعب الكارت الاخـــير عنده .

القاهرة ـ الثلاثاء ٣ فبراير ١٩٤٢

يقول كيلرن في مذكراته عن هذا اليوم :

من حسن حظنا أن أمين باشا طلب أن يقابلني في الحادية عشرة صباحا . وأمين عثمان باشاخريج كلية فكتوريا بالاسكندرية وجامعة اكسفورد بعد ذلك من بريطانيا .. وقد لعب دورا غير عادي كرجل اتصال بيننا وبين الوفد . وكان وزيرا للمالية سنتي ١٩٤٣ و١٩٤٤ وقد قتل بالرصاص سنة ١٩٤٦ .

وقد قابلته في ذلك اليوم في الحادية عشرة صباحا . وتحدثت اليه صراحة عن الموقف . وأوضح لي انه قادم بموافقة من النحاس باشا .. وبمجرد أن أبلغني أن النحاس باشا مستعد لتولي الحكم أنا ومساندته السفارة ، قلت له ان هناك أشياء معينة يجب أن يعرفها النحاس قبل ان يتخذ قراره النهائي . وان هذه الاشـياء أثارتها وزارة الخارجية في لندن وقال لي أمين عثمان باشا انه لا يعتقد أن النحاس باشا سوف يعترض على ملاحظات لندن . واتفقنا ان نرجىء الحديث في ذلك الى ما بعد تولي النحاس الوزارة .

ثم سألني أمين :

ـ ماذا تقترح ان يفعل النحاس باشا بعد ظهر اليوم في القصر ؟

وأبلغت أمين باشا أن هذا طبعا يرجع الى النحاس باشا نفسه . ولكن من جهة أخرى فان اعتقادي الشخصي انه ينبغي أن يرفض أية فكرة يقدمها القصر عن الحكومة المؤقتة . وانني اعتقـــد ان فكرة الحكومة المؤقتة ما هي الا لعبة من القصر حتى تمر العاصفة وبعد ذلك تعود الاعيب القصر الاخرى . ومن ناحية أخرى فاني أعتقد أن النحاس يجب ان يطالب بحكومة ائتلافية حتى يدعم مركزه في البلاد . ولو انى كنت أعتقد ان ذلك صعب تحقيقه .

وقال لي أمين عثمان باشا انه سيعود الى النحاس باشا ليعرض عليه الموقف ويرى ماذا يقول .

وفي هذه الاثناء اتصل بي تليفونيا حسين سري باشا وسألني عن آخر الاخبار . وأبلغته أن القصر يرى أن تكون هناك حكومة

مؤقتة أولا ثم حكومة ائتلافية بعد ذلك • وقال حسين سري باشا ان الحكومة المؤقتة لن تنجح مطلقا • وان الحكومة الائتلافية قد تكون مجرد فكرة طيبة • ولكنه لايعتقد أن هناك أية فرصة بالمرة لقيامها • وان الحل الوحيد في نظره مازال هو أن يشكل الوفد الحكومة •

واستمر الموقف هادئا حتى الساعة الثانية بعد الظهر •• وعاد أمين عثمان باشا ومعه رد النحاس • وكان الرد يقول ان النحاس باشا كان مستعدا في وقت سابق لقبول فكرة حكومة محايدة • اما الان فانه ضد هذه الفكـرة تماما لاسباب مختلفة • واهمها مرض احمد ماهر باشـا • ولهذا فانه سوف يرفض مطلقا فكرة الحكومة الائتلافية • ومن الاسباب الاخـرى التي تجعله يرفض الحكومة الائتلافية ان حالة البلاد سيئة للغاية • وان مؤامرات القصر كانت مستمرة في عهد وزارة حسين سري باشا رغم انه قريب الملك • ومن المؤكـد ان بعض أعضاء الوزارة الائتلافية سيكونون من رجال الملك • ولهذا فان النحاس باشا (كما تقول المذكرات على لسان لورد كيلرن) لن يكون في وضع يتيح له تسليم البضاعة لنا •• وبمعنى اخر تقديم ما نريده منه •

وقال لي امين عثمان باشا ان الوفد سيتعاون مع السفارة حتى لو لم تكن هناك معاهدة • وأن روح معاهدة ١٩٣٦ تعني التعاون التام بين الجانبين • وانه اذا كان النحاس قد تعاون مع السفارة في زمن السلم مرة فانه مستعد أن يتعاون معها في زمن الحرب عشر مرات • ولكن كل ما يطلبه هو أن تطلق يده وأن يكون حرا في اتخاذ قراراته وخصوصا فيما يتعلق بالقصر •

وقال لي أمين عثمان باشا :

ـ ان النحاس باشا يريد ديمقراطيـة حقيقية في البـلاد •• والملك لا يريد هذه الديمقراطية •

السفير يعقد مجلس الحرب :

وقال لي امين عثمان باشا ان النحـاس لا يريد ان يظهر كمن يجري وراء الانتقام من الملك • ولكنه يريد ان يوضح لي ان اية حكومة ائتلافية او محايدة لاأمل امامها • والدليل ماجرى لحكومته السابقة التي حطمهـا ثلاثة وزراء بسبب مشروع كهربة خزان

اسوان •• واتفقت فى النهـــاية مع امين عثمان باشا على النقط التالية :

● ان الموقف بلغ من السوء درجة لايمكن ان تنجح معه اية حكومة ائتلافية •

● وان النحاس باشا يجب أن يبلغ الملك فاروق انه لا يثق فى تعاون الاحزاب الاخرى معه باخلاص •

● وانه مازال يخشى المؤامرات والدسائس التى قد تحاك له فى حكومة ائتلافية •

ولهذا فان النحاس باشا يرى ان الحـل الوحيد ان تكون هناك حكومة وفدية خالصة • وانه مستعد لان يبحث بعد ذلك نقطتين هما :

(١) تخصيص دوائر معينة للاحزاب الاخرى فى الانتخابات •

(٢) تكوين مجلس استشارى من زعماء الاحزاب الاخرى كنوع من الرمز للائتلاف ••

وكان هذا هو ما اتفقت عليه مع امين عثمان باشا • وكان هذا ما سيقوله النحاس باشا للملك عند مقابلته فى القصر • ولكن بعد انصراف امين عثمان باشا بقليل اتصل بى تليفونيا وقال انه وجد النحاس باشا فى القصر ولم يستطع ابلاغه الرسالة التى اتفقنا عليها • وقال أنه سيتصل بى مرة أخـــرى لابلاغى نتائج مقابلة النحاس والملك فاروق •

وفى هذه الاثنـاء وصلتنى برقيـــة من وزارة الخارجية تؤيد الخطوات التى اتخذتها • وتطلب منى ان امنع القصر من تحقيق اى نصر عليـــنا باى ثمن • وكانت هذه البرقيـة مشجعة تماما للخطوات التالية التى كنت افكر فيها •

وفى السادسة مساء عاد امين عثمان باشـا الى الاتصال بى مرة أخرى لابلاغى ما جرى فى القصر • وقال ان الملك طلب من النحاس ان يرأس حكومة ائتلافية ولكن النحـــاس رفض • وقدم للملك اسبابا قوية لرفض الفكرة • وعرض النحاس باشا ان يشكل حكومة وفدية تتحمل وحدها المسئولية رغم خطورة الموقف •

وفي السابعة مساء بعثت في طلب حسنين باشا رئيس الديوان • وابلغته انني علمت بما جرى في القصر بين الملك والنحاس باشا • وقلت له انني اطلب منه ان يعود الى القصر ليبلغ الملك انني ارى انه يجب أن يستدعي النحاس باشا ويكلفه بتشكيل الحكومة •

وقلت لحسنين باشا ايضا انه يجب الا تكون هناك مفاجآت أخرى من القصر • وانني سوف اعقد مجلس حرب في السفارة في الساعة العاشرة صباح اليوم التالي لبحث الموقف • وحاول حسنين كعادته ان يماطل • ولكنني اوضحت له انني أعني ما أقول • وقبـــل ان ينصرف قلت له مذكرا :

ــ لا تنس يا حسنين باشـــــا أن تبلغ الملك انه يتحتم عليه ان يستدعي النحاس باشا وأن يكلفه بتشكيل الوزارة •

وبعد ان انصرف حسنين باشا اتصــــل بي امين عثمان باشا ليسألني عن الاخبار • ورويت له ما جرى في المقابلة الاخيرة مع رئيس الديوان • وسهرت بعد ذلك في مكتبي الى ما بعد منتصف الليل • ولم تقع في هذه الاثناء تطورات جديدة في الموقف • وظل كل شيء هادئا حتى اتصل بي مرة أخرى أمين عثمان باشا ليسألني عن أخبار جديدة • وقلت له انه لا يوجد جديد حتى الآن •

وذهبت لكي انام •

الاربعاء ٤ فبراير ١٩٤٢

اما النحاس •• او التنازل عن العرش

كانت عيني تؤلمني في الصباح • وسمعت ان هنري هوبكنسون من وزارة الحرب البريطانية وهو صـــــديق حميم لي ينتظرني في مكتبي لامر هام وعاجل • وعندما نزلت قال لي ان حسنين باشـــا اتصل به وطلب أن يقابله • واننه وافق على الذهاب الى مكتب حسنين باشا ليبحث معه الموقف ولكني قلت لهوبكنسون صراحة انني لا اوافق بتاتا ان يذهب الى حسنين باشا أو أن يراه •

وفي طريقنا الى مجلس الحرب للشرق الاوسط قلت لهوبكنسون ان هناك طريقتين لمعالجة مسألة دقيقة مثل هذه المشكلة مع القصر •

الطريقة الاولى أن يظل المرء حازما وأن يرفض أى حلول وسط كتلك التى يعرضها حسنين باشا ، والطريقة الثانيـة أن يتدخل رجال آخرون فى العملية فيفسدونها . واوضحت له أنه اذا تدخل آخرون من العسكريين أو من وزارة الحرب فى مشكلة القصر فسوف انفض يدى منها تماما . وكان حديثى مفاجاة تامة لهوبكنسون الذى لم يكن يتوقع منى ذلك .

وفى مجلس الحرب بدأ الاجتماع بالشئون العادية . وبعد ذلك ابلغت المجلس موقفى الذى اوضحته لهوبكنسون - ووافق المجلس على وجهة نظرى . وبعد ذلك عرضت عليهـم ما جرى بين الملك والنحاس . واقترحت أن نحدد للملك فاروق وقتا معينا لاستدعاء النحاس باشا وتكليفه بالوزارة . ودارت مناقشـات طويلة حول هذا الموضوع . وفى النهاية تقرر أن اقابل حسنين باشا وابلغه الانذار التالى :

« اذا لم أسمع حتى السادسة مسـاء اليوم أن النحـاس باشا قد كلف بتشكيل الحكومة فعلى جـلالة الملك فاروق أن يتحمـل عواقب ذلك التصرف » .

واتفقنا بعد ذلك فى مجلس الحرب انه اذا لم ينفذ الملك ماطلبناه منه حتى السادسة مساء فان الامور يجب أن تتحرك من ناحيتنا . وراجعنا تحركات القوات التى سوف نستخدمها فى العمليـــة . وتقرر أن يقود هذه القوات الجنرال ستون . واننا يجب أن نتوجه معا ـ الجنرال ستون وأنا ـ الى القصر ومعنا القوات المطلوبة فى الثامنة مساء وأن نطلب من الملك فاروق التنازل عن العرش . وحتى لا تحدث مفاجآت داخل القصر أو متاعب من أى نوع تقرر أن يرافقنا داخل القصر حارس مسلح .

وناقشنا بعد ذلك خطة محاصرة القصر بالتفصيل وماذا يعنى اجبار الملك على التنازل . واتفقنا على ضرورة أن نصطحب الملك خارج القصر معتــا سواء وافق أو لم يوافق على التنــازل عن العرش . وأخذنا نناقش طويلا بعد ذلك حـول ما يجب أن نفعله بالملك بعد أن نأخذه من القصر . وقال اميرال البحرية أن افضل مكان نضعه فيه أن نحبسه فى احدى سفن الاسطول البريطانى .

ولما كانت هذه التفاصيل تخص العسكريين وحدهم فقد تركت الاجتماع واتصلت بفيتز باتريك باشا مساعد رسل باشا في بوليس القاهرة وطلبت منهما الاتصال بجنرال ستون • كما طلبت حضور والتر مونكتون وهو الرجل الذي أعد وثيقة تنازل ملك بريطانيا عن العرش (دوق وندسور الذي تزوج من مطلقة أمريكية فاجبروه على ترك العرش لشقيقه) •

وعدت الى السفارة • وطلبت اعداد وثيقة التنازل بعناية حتى لا يكون هناك اي احتمال للخطأ • ثم قابلت حسنين باشا • وكان الاجتماع قصيرا • واوضحت له انها هذه المرة نضيء النور الاحمر وانه ما لم يستجب الملك لطلباتنا في السادسة مساء فان أمورا خطيرة سوف تحدث •

تقدم يا روميل :

وكان يتعين على بعد ذلك ان اتأكد من المكان الذي سيتواجد فيه النحاس بعد ظهر ذلك اليوم • وكان من الصعب عادة العثور على النحاس • وكان من الضروري أن نعرف اين سيكون طوال اليوم حتى يمكن الاتصال به واستدعاؤه للقصر في اية لحظة • وبعد صعوبة بالغة تمكننا من العثور على امين عثمان باشا •

كان ذلك في الواحدة بعد الظهر •• وطلبت منه ابلاغ النحاس باشا بنص الحديث الذي دار بيني وبين حسنين باشا • وطلبت منه ايضا ان يبلغ النحاس باشا انه من الضروري جدا ان يبلغنا بمكانه اذا احتاج الامر الاتصال به •

وقلت لامين عثمان باشا :

ــ آمل الا يكون النحاس باشا قد تراجع في موقفه •

واجاب امين باشا ان النحاس لم يغير موقفه •• وانه يخشى ان تكون السفارة هي التي غيرت موقفهــا •• ولكن امين باشا قوى بنفسه طمانة النحاس الى أن الانجليز جادون هذه المرة مع الملك • وقال لي امين عثمان باشا ايضا ان الملك استدعى مكرم عبيد باشا الى القصر لمقابلته وانه هناك الان • وأبديت مخاوفي ان يفعل مكرم باشا شيئا يؤثر في ســاعة الصفر التي حددناها كالملك وهي السادسة مساء •ووعــد امين عثمان باشا ان يظل

على اتصال بالنحاس باشا طوال اليوم حتى يمكن استدعاؤه في أي وقت .

وقبل أن أذهب لتناول طعام الغداء تلقيت مذكرة سرية تتضمن هذه المعلومات :

(المظاهرات في الشوارع . الطلبة يهتفون في الجامعة .. يحيا روميل .. تقدم يا روميل .. عاش الملك .. ويسقط الانجليز) .

ثم جاءني تقرير آخر من الزقازيق يقول ان الطلبة هناك يحطمون المتاجر ويضربون أصحابها المعروفين بتأييدهم للانجليز أو الذين يوزعون منشورات فيها دعاية للانجليز وقررت ان أرسل هذه التقارير الى الجنرال أوكنلك حتى يستعد لجميع الاحتمالات .. وحوالي بعد ظهر ذلك اليوم جلسنا في السفارة نتناقش حول الترتيبات اللازمة في حالة رفض الملك لشروطنا .

وفي هذه الاثناء تلقيت مكالمة من أمين عثمان باشا يبلغني فيها ان المعلومات التي لدى النحاس باشا تقول ان الملك يحزم حقائبه وانه استدعى النحاس باشا لمقابلته في القصر بعد الظهر . وأزعجتني هذه الانباء وخصوصا ما ذكره أمين باشا ان الملك يحزم حقائبه .. وتوجهت فورا للاجتماع بكبار القادة العسكريين لابلاغهم الموقف . واتفقنا ان أفضل شيء نفعله أن نراقب مطارات القاهرة حتى لا يهرب الملك عن طريق أحدها . كما اتفقنا انه من العبث محاولة مراقبة جميع مداخل القاهرة . وحتى اذا نجح الملك في الافلات من بين أيدينا وهرب من القصر فانه سوف يضر نفسه . ولن يلحق بنا نحن ضرر كبير .

وفي الخامسة و ٤٥ دقيقة لم تصلني اية أنباء من القصر . وأبرقت الى وزارة الخارجية اشرح لهم الموقف والخطة التي اتفقنا عليها في مجلس الحرب البريطاني اذا تمسك الملك بموقفه ولم يخضع لطالبنا . وقلت اننا في هذه الحالة يجب أن نجبره على ترك الحكم وطلبت رأي الوزارة في خطتنا شارحا جميع الظروف التي أدت الى ذلك .

وفي تمام الساعة السادسة مساء وصلتني برقية من تيمور بك بالديوان الملكي تقول ان حسنين باشا قادم لمقابلتي في السفارة في السادسة والربع وانه يحمل رسالة هامة من الملك . ووصل حسنين باشا في الموعد المحدد .

اجتماع في القصر :

وكان نص الرسالة التي حملها الى حسنين باشا هكذا :

ان الملك بعد أن تسلم الانذار البريطاني عقد اجتماعا ضم الاشخاص المذكورة اسماؤهم في القائمة المرفقة (كانت القائمة تحوي اسماء جميع زعماء الاحزاب السياسية في مصر ومن بينهم النحاس باشا) . وبعد بحث الانذار البريطاني اصدر الحاضرون في الاجتماع القرار التالي :

(في رأى الزعماء المصريين ان الانذار البريطاني يعتبر انتهاكا خطيرا للمعاهدة المصرية البريطانية ولاستقلال البلاد .. ومن أجل هذا السبب وبعد استشارة الزعماء فان الملك عملا بنصيحتهم يرى انه لا يمكن الموافقة على عمل يعتبر خرقا للمعاهدة وتعديا على استقلال مصر) .

وبعد ان قرأت رد الملك قلت لحسنين باشا ان هذا أمر خطير جدا وانني سوف أحضر الى القصر في التاسعة مساء لمقابلة الملك فاروق الا اذا أبلغته بعكس ذلك قبل الموعد المحدد . ويبدو ان هذا الكلام كان مفاجأة لحسنين باشا الذى قال لي :

ـ الا يمكن يا سير مايلز ان نصل الى حل .. انا وأنت معا ..

واقترح حسنين باشا انقاذا للموقف أن يرأس بنفسه حكومة ائتلاف وان يتعهد لي بان يجرى الترتيبات اللازمة حتى يأتي الوفد الى الحكم خلال شهرين . وقلت له انني اود دائما أن اتعاون معه ولكن اقتراحه غير مقبول بالمرة .. وحتى لا اجعله يشعر بالمزيد من الحرج وعدته بدراسة الاقتراح مرة اخرى والرد عليه فيما بعد . وهنا قال حسنين باشا انه سوف يبلغ الملك بهذا الاقتراح . ولكن طلبت منه الا يفعل ذلك . لقد كان في نيتي رفض الاقتراح نهائيا .

وبمجرد انصرافه طلبت من اعضاء السفارة الحضور للتشاور حول الموقف . واشترك في المناقشات الجنرال ستون المشرف على الجانب العسكري في العملية واركان حربه . واقترحت الا نتأثر بما ذكره الملك في رسالته التي كانت بمثابة اختبار لنا . وقلت

التي ستمسك بمقابلة الملك في التاسعة مساء طبقا للخطة الموضوعة من قبل .

وفي ذلك الوقت وصل حسين عثمان باشا . وقابلته في حجرة أخرى حتى لا يرى القادة العسكريين الذين كانوا معي في الاجتماع . وسألت أمين عثمان باشا كيف يفسر تصرف النحاس باشا وتوقيعه على البيان الصادر من القصر والذي حمله الى حسنين باشا . وهل مازال في وسعنا الاعتماد على النحاس باشا اذا استمرت العملية . وقال عثمان باشا انه يراهن بآخر مليم عنده أن النحاس باشا صامد عند موقفه الذي أبلغه لنا وانه اذا كان النحاس فعلا قد وقع على مذكرة القصر فلابد انه اضطر الى ذلك .

وعدت الى غرفة مكتبي للمراجعة الاخيرة لخطابين كنت أنوى أن احملهما معي الى القصر . الاول كنت سوف أسلمه له اذا ظل على موقفه . أما الثاني فكان خطاب التنازل عن العرش وكنت أنوى أن أضعه أمامه وأصمم على أن يوقع عليه . ولما كان لهذين الخطابين أهمية تاريخية فانى انشرهما هنا بالكامل :

الخطاب الاول كان هكذا :

يا صاحب الجلالة :

« لقد بات من الواضح يا صاحب الجلالة منذ فترة بعيدة انك واقع تحت تأثير مستشارين ليسوا فقط غير مخلصين للتحالف مع بريطانيا العظمى بل انهم يعملون فعلا ضد هذا التحالف . وهكذا يساعدون العدو . كما أن موقفك العام واتصالاتك يا صاحب الجلالة تعتبر خرقا للمادة الخامسة من معاهدة التحالف التي تنص على أن الاطراف الموقعة على المعاهدة يجب الا تتبع سياسة خارجية لا تتفق مع التحالف .

وبالاضافة الى ذلك يا صاحب الجلالة فقد أثرتم عمدا وبدون أى داع أزمة حول قرار اتخذته الحكومة المصرية

السابقة استجابة لطلب تقـــدمنا به كحلفــاء لمصر • وهو طلب يتفق تماما مع المــادة الخامسة من معاهــدة ١٩٣٦ (يشير كيلرن الى ازمة وزير الخارجية بعد قطع العلاقات مع حكومة فيشى الفرنسية التى تتعاون مع النازى) •

واخيرا يا صاحب الجلالة :

فانكم بعد ان فشلتم فى تشكيل حكومة ائتــلافية رفضتم ان تعهدوا بتشكيل الوزارة الى زعيم الحزب السياسى الذى له تأييد شعبى فى البلاد (يقصد النحاس باشا) وهو الوحيد الذى يتيح له موقفه ان يضمن لنا استمرار تنفيـذ المعاهدة بروح الصداقة التى تم توقيعها •

وهذه التصرفات الطائشــة والتى تتسم بعـــدم الشعور بالمسئولية من جانبكم يا صاحب الجلالة تهدد بالخطر امن مصر وكذلك قوات الحلفاء • وهكذا أصبح من الواضح ان جلالتكم لستم أهلا بعد ذلك للبقاء على العرش) •



اما وثيقة التنازل عن العرش فكانت هكذا :

نحن •• الملك فاروق ملك مصر :

لما كنا نضع نصب أعيننا دواما مصـــالح بلدنا ، فاننا نتخلى ونتنازل عن عـــرش المملكة المصرية بالنســـبة لنا ولورثتنا • ونتخلى ايضا عن جميع الحقوق الملكية وجميع الامتيازات والسلطات التى تخولها لنا هذه الحقوق •• وعلى هذا فاننـــا نخلى رعايانا ايضـــا من الالتزام بالولاء نحو شخصنا) •

(صدر فى قصر عابدين فى الرابع من فبراير ١٩٤٢) •

ويمضي كيلرن في مذكراته عن ٤ فبراير .. فيقول :

بعد ان وافقت على صيغة الخطاب الموجه الى فاروق ووثيقة التنازل عن العرش اجريت اتصالا اخيرا بامين عثمان باشالتاكد من موقف النحاس باشا قبل أن اتوجه الى القصر . وقال لى امين عثمان باشا ان النحاس سوف يشكل حكومة وفدية اذا دعاه الملك الى ذلك .. وانه فى حالة طرد فاروق من العرش فان النحاس باشا سيوافق ايضا على تشكيل حكومة تتولى الامور .

وحتى ذلك الوقت كانت الامور تتطور بسرعة ..

وفى الثامنة مساء عقدت اجتماعا اخيرا على مائدة العشاء مع كبار المستشارين بالسفارة . واثار احدهم نقطة هامة كان لها اثر خطير فيما حدث بعد ذلك . فقد كنت مصمما على اجبار فاروق على التنازل عن العرش بعد ان رفض ان يستجيب لمطالبنا وبعد ان انتهت فترة الانذار الممنوحة له حتى الساعة السادسة مساء . وكنت أعتقد ان مهمتي عند الذهاب الى القصر فى تلك الليلة هى الحصول على توقيع فاروق على وثيقة التنازل .

ولكن أحد المستشارين سأل :

ـ وماذا نفعل اذا قبل الملك فى الساعة التاسعة مساء عندما نذهب اليه فى القصر ان يعهد بتشكيل الحكومة الى النحاس باشا ؟..

وكان ردى انني لن اقبل منه ذلك وانه يجب أن يذهب . ولكن رأى الموجودين كان ان هذا التصرف قد لا يكون مقبولا .. وانه ليس من الضرورى ان نتمسك بعزل الملك لانه تاخر ثلاث ساعات فى قبول ما نريده . وان هذا الموقف قد يضعنا فى موقف حرج وان البلد قد يثور اذا انتشر الخبر .

وفكرت جيدا ...

ووجدت انه من الخطأ أن اصر على تنحية الملك اذا وافق على استدعاء النحاس باشا .

مسلحون حتى أسنانهم :

وقرب التاسعة مساء توجهنا الى القصر ، وكان يرافقنى الجنرال ستون وعدد مهيب من الضباط الانجليز - كانت الساعة الثامنة و ٤٠ دقيقة - وفى الطريق ذكرت للجنرال ستون تفاصيل المباحثة التى جرت فى السفارة وقرارى بعدم اجبار الملك على التنازل اذا خضع لمطالبنا .

ووافقنى ستون تماما وقال :

ـ اذا استجاب الملك لمطالبنا فان موقفنـــا سيكون مسيئا اذا صممنا على استقالته .

ووصلنا الى القصر ...

ولما كانت المهمة غير عادية ـ وخاصة أن المرء لا يصادفه كثيرا هذا النوع من العمليات المتعلقة بتنحيـــة ملك عن عرشه ـ فانني سوف أذكر هنا نص البرقية التى أرسلتها الى وزارة الخارجية فى لندن عقب لقائى مع الملك فى قصر عابدين :

القاهرة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ :

اليكم التقرير الكامل عن احداث الليلة الجديرة بالتسجيل :

فى التاسعة تماما وصلت الى قصر عابدين ومعى الجنـــرال ستون وعدد كبير من الضباط الذين اخترناهم بعناية خاصة والذين كانوا مسلحين حتى أسنانهم . وفى الطريق مررنا بطوابير من المصفحات وناقلات الجنود والدبابات كانت تبدو أشـــباحا فى الشوارع المظلمة وهى فى طريقها هى الاخرى لتأخذ مواقعهـــا حول القصر . وكانت هذه القوات مكلفة بمحاصرة قصر عابدين أثناء لقائى مع الملك .

وعندما وصلنا الى باب القصر كانت الدهشة بادية على وجوه الامناء وموظفى الديوان الذين استقبلونا عند مدخل القصر . وبينما نحن فى انتظار الملك كنت أستطيع وأنا بالطابق العلوى داخـــل القصر أن أسمع اصوات الدبابات والسيارات المدرعة تأخذ موقعها حول القصر . ونتيجة لذلك تأخر رجال القصر ٥ دقائق عن الموعد المحدد للقائى مع الملك .

وكنت على وشك ان اصبح فى رجال الديوان انني غير مستعد للانتظار اكثر من ذلك عندما دعيت للمثول امام الملك • وحاول كبير الامناء ان يمنع الجنرال ستون من الدخول الى القاعة التي تم فيها لقائي مع الملك •• ولكني نحيته جانبا ودخلت انا والجنرال ستون معا الى الملك • وبدت الدهشة على الملك عندما شاهد الجنرال ستون معي •

واقترح الملك ان يمضي حسنين باشا المقابلة ووافقت على ذلك •• ودخلت مباشرة في الموضوع ••

قلت للملك انني كنت اتوقع منه حتى السادسة مساء أن يجيب بلا او نعم على رسالتي اليه هذا الصباح • وبدلا من ذلك فان حسنين باشا سلمني في السادسة والربع مساء مذكرة اعتقد انها تعني ان الجواب هو : لا • ولهذا السبب فانني أريد ان أعرف الان وهنا في هذا المكان هل جواب الملك فعلا هو : لا ؟

وحاول فاروق أن يخرج من الموضوع ولكني قاطعته على الفور قائلا بشيء من الغضب :

ـ يا صاحب الجلالة •• ان الامور في منتهى الخطورة • واعتقد انك لا تريد أن تقول : نعم •

وقلت للملك أيضا بنفس اللهجة الغاضبة انه مسئول عما يحدث بعد ذلك • وقرأت عليه الخطاب الذي اعددته الى السفارة • ثم قرأت عليه وثيقة التنازل عن العرش • ثم طلبت منه أن يوقع الوثيقة فورا والا اضطررت الى استخدام شيء اخر غير سار لمواجهته •

فرصة أخرى للملك :

وتردد الملك فاروق قليلا ••

وفي رأيي انه كان على وشك ان يوقع وثيقة التنازل عن العرش لولا أن حسنين باشا تدخل واخذ يتحدث اليه باللغة العربية • وبعد لحظات من التوتر الرهيب نظر الى الملك وقال بلهجة خالية تماما من الكبرياء الذي اعتاد أن يحدثني بها :

ـ أليس من الممكن اعطائي فرصة أخرى ؟

وأجبت انني قبل أن أوافق يجب أن أعرف اقتراحه بالتفصيل .»

وقال الملك انه مستعد أن يستدعي النحاس باشا فورا وفي حضوري اذا أردت لتكليفه بتشكيل الوزارة . ثم أكد لي الملك انه سيترك للنحاس وبوضوح حرية تشكيل حكومة وفدية يختارها بنفسه . وترددت قليلا عن عمد في قبول عرض الملك . ثم قلت له انني تحت تأثير الرغبة في تجنب أية تعقيدات أخرى أوافق على منحه فرصة أخرى . ولكني اشترطت أن يتم تنفيذ ما اتفقنا عليه فورا .»

وقال الملك انه سوف يستدعي النحاس الآن .

ويبدو أن لورد كيلرن حذف الكثير من التفاصيل غير السارة بالنسبة له من اللقاء الذي تم بينه وبين فاروق . وفي كتاب آخر عن فاروق ظهر سنة ١٩٦٧ بعنوان (فاروق ملك مصر) يقول الجنرال ستون الذي رافق كيلرن الى قصر عابدين أن الملك فاروق عندما شاهد وثيقة التنازل أظهر استياءه من أنها مكتوبة على ورق من نوع رديء . وفعلا كانت وثيقة التنازل مكتوبة على ورق مراسلات قديم من منزل السفير . وكان الورق من النوع الثقيل . وقد تم قص الجزء العلوي من الورقة التي كانت تحمل اسم وعنوان منزل السفير .

ويمضي كيلرن في مذكراته عن ٤ فبراير ٤٢ فيقول :

« وبعد أن وافقت على منح الملك فرصة أخرى لاستدعاء النحاس حاول فاروق جاهدا أن يتلطف معنا . ثم غادرنا القصر . وأثناء مرورنا في الردهات الخارجية وجدناها مليئة بالضباط الانجليز وحاشية الملك الذين كان باديا عليهم الذعر . وعند القاعة الموجودة في مدخل القصر كان يقف طابور من الجنود الانجليز وعلى رأسهم الخوذات الصلب وفي أيديهم مدافع من طراز « تومي جانز » المصوبة نحو كل من في الداخل .

وعندما غادرنا القصر كانت الدبابات والمصفحات في كل مكان والمدافع مصوبة نحو القصر . وأود أن أسجل هنا تأثري البالغ بالعملية العسكرية التي تمت بنجاح .

وبمجرد وصولي الى السفارة تلقيت محادثة تليفونية عاجلة من حسنين باشا الذي كان يطلب فك الحصار عن القصر وسحب

القوات البريطانية من حوله لان جميع المنافذ الى القصر اصبحت مغلقة الان فى وجه الجميع .. وانه تحت هذه الظروف لا يمكن استدعاء للنحاس باشا الى القصر لانه لن يمكنه الدخول . ووعدته ان ابحث الامر . وفعلا تم اتخاذ اللازم .

وبعد نصف ساعة جاء النحاس باشا الى السفارة . وابلغنى ان الملك استدعاه لتشكيل الوزارة حسب وعده لنا . واكتشفت ان الملك فاروق هو الذى كلفه بالمرور على السفارة للاتفـــاق على اسماء الوزراء . وقلت له اننى افضل ان اترك له حرية الاختيار وبعد ذلك نستطيع ان نجلس ونناقش الامور معا . وقال النحاس باشا ان هناك عناصر شريرة فى القصر وخارجه يجب استئصالها فورا »

واكدت له ان رغبتى ان اظل خلف الستار وان اترك له حـرية اتخاذ القرارات التى يريدها .





ظل كيلرن نادما عدة سنوات بعد ٤ فبراير لانه لم يطرد فاروق

وبدأ الانتقام ..



يعترف لورد كيلرن فى مذكراته فى نهاية احـــداث يوم ٤ فبراير انه لمطمئن للغاية بما جرى فى ذلك اليوم • وانه كان فى وسعه ان يحصل من فاروق على قرار تنازله عن العرش اذا اراد ذلك • ويعترف كيلرن ايضا وبكل صراحة انه كان يتمنى عزل فاروق ولكنه وافق على منحه فرصة اخرى وهو متردد للغاية ويود لو ان الخطة مضت لنهايتها ووقع فاروق وثيقة التنازل •

ويقول كيلرن بعد ذلك :

وفي السفارة وجدت عددا كبيرا من المسئولين في انتظار النتائج التي توصلنا اليها . وقلت لهم انني لم اكن أسفا في حياتي مقدار أسفي عندما وافق الملك على استدعاء النحاس باشا وضيع منا فرصة التخلص منه . ولكنني أعتقد على أية حال ان هذا هو التصرف السليم في مثل هذه الظروف . وعلى أية حال فقد تلقى فاروق صدمة العمر ولن ينسى ذلك طوال حياته . وبمســـاعدة النحاس باشا نستطيع ان نتخلص من العناصر المعـــادية لنا في القصر وهكذا يمكن أن تسير الامور على ما يرام بضع سنوات أخـــرى .

واثناء حديثنا جاء النحاس باشا مرة أخرى . وأخذ يحكي ما جرى في القصر فقال ان الملك بعد رحيلنا استدعى زعمـــاء الاحزاب وابلغهم رغبته وتصميمه ان يتولى النحاس باشا تشكيل الوزارة . ووافق النحاس بعد تردد طويل . وبعد ذلك تحـــدث النحاس باشا عن الاحوال السيئة في البلاد والمجـــاعة والفقر المنتشرين في انحاء مصر . وتحدث أيضا عن الشعور بالقلق وعدم الرضا والكراهية التي يكنها الناس لنا والتي عزاها النحاس الى سوء الحكم في العهد الماضي .

وقال النحاس ان أول شيء يجب أن تفعله الوزارة الجديدة هو معالجة هذه المشاكل .. وقال انه يعتمد علينا في مساعدته . وقد وافقته وانصرف وهو يشعر انه يستطيع أن يفعل شيئا .

وفي اليوم التالي طلبت حسين سري باشا وسألته رأيه فيمـــا جرى بالامس . وقال سري باشا ان ما حدث كان لا بد منه . وانه عندما استدعي الى القصر مع باقي الزعماء في الساعة التاسعة والنصف مساء وشاهد القـــوات البريطانية والدبابات تحـــاصر القصر تأثروا كثيرا . وقال سري باشا ان الملك نجا هذه المرة باعجوبة وان هذا هو الطريق الوحيد الذي كان يمكن سلوكه معه . وان الملك هو المسئول عما حدث له وانه محظوظ اذ ظل في مكانه بعد كل ما جرى . وسألت سري باشا اذا كان الملك قد حكي لهم ما دار بيننا فقال انه لم يذكر لهم شيئا . ووعدت سري باشا أن اذكر له كل التفاصيل في لقائنا المقبل .

وبعد ذلك استقبلت أمين عثمـــان باشا وطلبت منه أن يوحي للنحاس باشا بشيئين اريد أن يتحققا منذ البداية وهما :

ان يحاول النحاس باشا تعيين حسين سرى باشا رئيسا للديوان . وقلت ان حسين سرى باشا صديق مخلص لنا . وانه يستحق هذا المنصب . وأن وجوده فيه سيساعدنا كثيرا .

والشيء الثاني انني اريد ان ينقل حسنين باشا من منصب رئيس الديوان الى منصب كبير الامناء الذى يتسبب كثيرا فى رأيي .

ووافق امين باشا على نقل هذه المطالب الى النحاس باشا واقترح ان يوحي للنحاس باشا ان هذه التغييرات من تفكيره هو وليست صادرة من السفارة .. ووافقت معى ذلك .

وطلبت من امين باشا ايضا ان يحمل النحاس باشا على التخلص من عبد الوهاب طلعت باشا من القصر وكذلك باقى الايطاليين الموجودين فى القصر . وفى الحال وافق امين باشا على نقل ذلك للنحاس باشا .

اهنئك بحرارة :

وفى صباح اليوم التالي تلقيت البرقية التالية من انطوني ايدن :

« أهنئك بحرارة . ان النتيجة تبرر ما فعلته . لك ثقتنا ...»
(ايدن)

ورغم هذه البرقية الجليلة الا انني مازلت أعاني من انى لم انفذ خطتي الاصلية واجبر فاروق على التنازل عن العرش .. وخصوصا لانى اخذت بنصيحة اوليفر ليتلتون وزير الدولة البريطاني لشئون الشرق الاوسط بأن اوافق على بقاء الملك اذا وافق على استدعاء النحاس . ولولا هذه النصيحة لما بقى فاروق فى الحكم . وقد اعترفت صباح يوم ٥ فبراير لسكرتيرى الخاص انني ارتكبت خطأ بعدم اصرارى على التخلص نهائيا من فاروق . ولكن على اية حال ليس هناك جدوى من الندم الان . وقد اثبتت الايام أن ما فعلناه كان افضل لصالحنا .

واختلت افكر :

ان الموقف هكذا الان . لقد وصل حزب الوفد الى الحكم . واول ما سيهمه هو البحث فى الامتيازات التى يخولها الدستور للملك . وبمعنى آخر فان أول شيء سوف تفعله حكومة الوفد هو

لص اجنحة القصر ووقف هذا التدخل المستمر من جانب القصر في كل صغيرة وكبيرة . وهناك عنصر اخر هام في الصورة . لقد ظل الموقف السياسي في مصر أشبه بمقعد ذي ثلاث أرجل . فقد كان هناك القصر . ثم السفارة . ثم حزب الوفد . ومادامت الارجل الثلاث موجودة وتعمل فليس هناك خطر من حدوث أي انهيار . اما اذا اختفت احدى سيقان المقعد فانه سوف يهتز ويسقط فعلا .

وبمعنى اخر فاننا نستطيع أن نستخدم الوفد لكبح جماح القصر، وفي نفس الوقت أيضا نستطيع ان نستخدم القصر لوقف شطحات الوفد . وكان هناك حل اخر امامي .. وهو انه في حالة ابعاد فاروق عن العرش كنت افكر في احلال الامير محمد علي مكانه . وهو في نظري شخص رائع لها . ولكن المشكلة ان صحته ليست في حالة جيدة . هكذا اخذت افكر في مصير علاقاتنا في المستقبل مع فاروق . هل تعلم من درس 4 فبراير شيئا يجعله لا يحاول أن يطعننا من الخلف مرة أخرى .. أم انه اصبح اكثر مرارة وحقدا علينا . وانه سوف يتحين الفرصة مرة اخرى حتى ينتقم لما فعلناه به في 4 فبراير ؟

اعتقد ان فاروق سوف يحاول الانتقام في يوم من الايام ..

وهكذا انتهى حادث 4 فبراير ..

معركة اخرى مع اوكنلك :

وبدأت اهتم بالمشاكل الاخرى . وفي اواخر فبراير عقدنا اجتماعا اخر لمجلس الحرب البريطاني للشرق الاوسط . وكادت ان تنشب معركة بيني وبين الجنرال أوكنلك . فهو شخص لطيف عادة . ولكنه عندما يثور يصبح عدوانيا . ولا أملك انا الاخر سوى الرد عليه بطريقة عدوانية مثله .

والمشكلة التي اثارت هذه المشاجرة في المجلس انني كنت اشكو من بعض تصرفات القادة العسكريين في المجلس الذين يبدون اهتماما باخذ رأينا في الاجتماعات وبعد ذلك تصدر قرارات نفاجأ بها مثل أي شخص اخر . وكنت اقصد بالذات عملية سحب جانب كبير من القوات البريطانية في الشرق الاوسط الى مناطق اخرى مثل الهند وبورما دون أن تعرف السفارة او السفير شيئا عن

ذلك • وطلبت ان يخطروني على الاقل حتى يكون هناك تنسيق بين تصرفاتنا العسكرية والدبلوماسية •

وانفجر الجنرال اوكنلك غاضبا • وتوجه انا الاخر لى وجهه • وتدخل الحاضرون لاسكاتنا •

هؤلاء الوحوش !

لم ار فاروق بعد حادث ٤ فبراير كثيرا • ولكن فى ١٨ ابريل • اى بعد مضى اكثر من ٧٠ يوما اتيحت لى الفرصـــة ان اراه مرة أخرى عن قرب • كان ذلك فى قصر المفوضـــية اليونانية بالقاهرة حيث كان يقيم ملك وملكة اليونان فى المنفى • وكان ملك اليونان الملك جورج قد اقام حفل غداء للملك فاروق فى السفارة • ودعانى الملك ايضا الى الحفل • وكنت الشخص الوحيد الاجنبى وسط كل هؤلاء المصريين واليونانيين •• وكانت قائمـــة المـــدعوين تضم الامير محمد على ودلى عهد اليونان والنحاس باشا •

وعندما وصل فاروق كان يتصرف بعظمة وكان يبـــدو منفوخا للغاية • وعلى مائدة الغداء تبسط فاروق قليلا فى الحديث • ولكنه كان يصطحب معه تسعة من رجال القصر • ولهذا وجدت نفسى اجلس بين ولى عهد اليونان وصديقنا اللورد عبد الوهاب طلعت باشا • وكانت الدهشة بادية على وجه الملك اليونانى لكل هذا العدد من من الحاشية الذين احضرهم فاروق معـــه • وبعد الغداء عاد فاروق الى ثيابه الملكية والى النفخة الملكية • لم يكن يخاطب احدا • حتى ولى عهد اليونان ولا رئيس وزراء اليونان لم يظفر بكلمة واحدة منه • وفى نهاية الحفل غادر فاروق المكان دون ان يصافح احدا مودعا •

ونظرت الى وجه رئيس وزراء اليونان وانا استمتع بعـــلامات القرف بادية عليه • واعترف لى ملك اليونان ان القصر قبل ان يقبل الدعوة سأل عن الترتيبات بالنســـبة للموسيقى • وكان واضحا ان فاروق يصر على ان يتم عزف السلام الملكى المصرى فى الحفل • وقال ملك اليونان انه اثناء حفل غداء اقامه له فاروق فى قصر عابدين اخيرا سأل الملك اذا كان ممكنـا ان يقابل بعض الوزراء المصريين • واشاح فاروق بيده جانبا وهو يقول : هؤلاء الوحوش لا جدوى منهم •

وفي ابريل ١٩٤٢ ايضا وصل حسن نشات باشا الوزير المصري المفوض في لندن الى القاهرة - واقمت له حفل غداء في السفارة تبادلنا اثناءه الحديث عن الاوضاع في البلد • وقال لي نشات باشا ان النحاس سوف يتصرف بحكمـــة • ولكنه اقترح عندما تحين الفرصة أن يشرك النحاس معـــه في الحكم عددا آخر من زعماء الاحزاب الاخرى • واعيت على اقتراح نشات باشـــا ان الزعماء الاخرين الذين يتحدث عنهم رفضوا التعاون مع النحاس ووصفوه بانه خائن لبلاده • ولهذا ليس بغريب ان يرفض النحاس باشا ان يتعاون بعد ذلك مع هؤلاء الذين اتهموه بالخيانة •

وقلت لنشات باشا :

ورغم ذلك فقد وعد النحـــاس ان يترك عـــددا من المقاعد في البرلمان للاحزاب الاخرى وخاصـــــة السعديين والاحرار • ولكنهم قاطعوا الانتخابات ورفضوا التعاون معه باية صورة • وفي رايي انهم تصرفوا بسخافة • واعترف نشات باشا أن كل هذا صحيح• ولكن اقتراحه باشراك الزعماء الاخرين هو ما يدعو اليه العقـــل والادراك السليم • وان الطريقة الوحيـــدة امام النحاس للتغلب على مشاكل البلد ولتبرير الكلام الذى يتردد انه ـ اي النحاس باشا ـ اصبح في جيب الانجليز هو ان يشـــكل النحاس جبهـة قومية • وهكذا يتوقف الكلام •

ووعدت نشات باشا ان افكر في اقتراحه وان ابلغه رايي بعد ذلك • والواقع انه من الاشياء التي كانت تحيرنا ان الحديث في البلد زاد عن التعاون بيننا وبين النحـــاس هذا التعاون لتشويه صورة النحاس وحزب الوفد • ولاشك ان رجال القصر والاحزاب الموالية لهم كانوا يلعبون دورا كبيرا في ترويج هذا الكلام •

الركوا مرسى مطروح :

يترك السفير بعد ذلك الحديث عن فاروق والسياسة والاحزاب في مصر ويلتفت الى المعارك في الصـــحراء • ففي اواخر شهر مايو ١٩٤٢ شن الجنرال روميل هجـــومه المشهور • وبعد قتال عنيف وشرس تمكنت القوات الالمانية من اختراق صفوف الانجليز والاستيلاء على طبرق التي كانت قلعة محصنة في ليبيا • وزحفت قوات روميل شرقا لتصل الى الحدود المصرية • واضطر الانجليز الى اخلاء مرسى مطروح داخل الحدود المصرية • وانسحبت قوات

الجيش البريطاني الثامن الى مواقع أخرى فى العلمين التى تبعد حوالى ١٠٠ كيلومتر غرب مدينة الاسكندرية .

وفى اوائل يوليو ١٩٤٢ هاجم روميل مرة أخرى . ولكن القوات البريطانية نجحت الى حد ما فى وقف تقدمه عند العلمين . ولم يكن أمام الانجليز مفر من تأجيل هجومهم المضـــاد . وفى ضوء هذه الظروف قرر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا التدخل لانقاذ الموقف . فقرر عزل الجنرال اوكنلك وعين بدلا منه الجنرال الكسندر . كما قرر تشرشل تعيين الجـــنرال مونتجمرى لقيادة الجيش الثامن .

وجاء تشرشل الى القاهرة بنفسه ليراقب الموقف . ونزل ضيفا على السفارة البريطانية .. ويتحــدث السفير فى مذكراته عن هذه الايام فيقول :

فى الثامن من يوليو قابلت الملك فاروق فى قصر عابدين . وكم كانت دهشتى للتغير الكبير الذى طرأ عليه . وأعتقد ان اقتراب الالمان من أبواب مصر قد رفع روحه المعنوية وجعله يدرك معنى ذلك بالنسبة له ولنا . وعلى أية حال فان مظهره وتصرفاته كانت شيئا مختلفا تماما عما عهدته فيه . وسألنى فاروق عن طبرق . وقلت انها سقطت . وقال انه لا يســتطيع أن يفهم كيف سقطت طبرق . وقلت أن الكثيرين منا ايضا هنا وفى بريطانيا لا يعرفون كيف سقطت طبرق .

وتكلم فاروق بعد ذلك عن المقـــاومة الرائعة للجيش السوفيتى فى سباستبول .. وكان فاروق معجبـــا للغاية بما فعـــله الروس هناك ولم يقل أعجاب فاروق بما فعلوه رغم أن اخر الانباء التى انبعث فى الصباح تقول ان المـــدينة سقطت فى ايدى الالمان .

وقال فاروق :

ــ لابد أن الثمن كان غاليا للجانبين .. المنتصر والمهزوم .

الامير محمد على يطمع فى عرش فاروق :

جاء تشرشل الى القاهرة ليبحث الموقف المنهار فى الصحراء الغربية . وحاول السفير البريطانى كما يبدو فى مذكراته أن يفرض حصارا على تشرشل بحيث لا يقـــابل أحدا من المصريين الا فى

وجوده • ولكن فاروق اســـتطاع بخبث أن يشـــكو من السفير وأساليبه الملتوية • كما ان النحاس باشا جعل السفير يغلي من الغضب عندما قال لتشرشل :

ـ كيف نعطيكم القمح ونحن لا نجد السماد لارضنا ؟

وفي هذه الفترة ظهر « الكتاب الاسود » الذي نشره مكرم عبيد باشا عن فضائح الوفد وزينب النحاس ومراج الدين • وكان مكرم عبيد من المقربين الى النحاس • ولكنه اتفق مع فاروق من وراء ظهره ونشر هذا الكتاب الذي أحـــدث ضجة كـبرى في مصر *

وحاول فاروق أن يستغل الموقف ويطرد النحاس باشا من الحكم •• وتدخل السفير مرة أخرى فتراجع الملك • ولكنه لم ينس هذه الاهانات للسفير •

وفي عام ١٩٤٢ ابتعدت الحرب عن مصر بعد معركة العلمين • ولكن حربا من نوع آخر بدأت في فلســـطين • فقد حاول اليهود اغتيال المندوب السامي البريطاني في فلسطين ونجحوا في اغتيال لورد موين في القاهرة بعد مطاردة مثيرة في شوارع الزمالك • وعقد في القاهرة مؤتمر سري لبحث مشكلة فلسطين • وكان هناك شبه اجماع ان بريطانيا سوف تدفع الثمن غاليا اذا وافقت على تقسيم فلسطين بين العرب واليهود •

وأثنـــاء غياب السفير البريطاني خارج مصر ينتهـــز فاروق الفرصة ويطرد النحاس من الحكم بدعوى انه أساء التصرف في الصعيد أثناء وباء الملاريا • وسأل السفير تشرشل ماذا يفعل • فيرسل اليه تشرشل برقية تتضمن انذارا لفاروق والنحاس معا *

ويرد فاروق على الانذار قائلا :

ـ اما انا •• او النحاس !



في أوائل يوليو ١٩٤٢ كان الموقف في الصحراء الغربية خطيراء وتوجه السفير البريطاني سير مايلز لامبسون الى قصر عابدين ليطلب من الملك فاروق ان يستعد لينتقل مع حكومته الى المنفى في حالة نجاح قوات رومل في احتـــلال مصر • ويقول السفير في مذكراته عن هذه المقابلة :

« سالني الملك عن الموقف في الصحراء الغربية • واوضحت له ان الاحوال ليست سيئة للغاية وانه فيما يتعلق بي شخصيا فاني مطمئن وواثق من تطور الامور • وقال فاروق عن شعوره نفس الشيء تقريبا • وانتهزت الفرصة كي الح عليه في الانتقال مع حكومته الى الخرطوم في حالة دخول الالمان مصر •• وقلت له ان انتقاله الى الخرطوم لن يعرضه للاتهام بانه هرب من مصر • ولكن الملك فاروق قال لي ان مثل هذا القرار ليس شيئا سهلا • وانه يجب أن يتشاور مع حكومته أولا • وانه يخشى أن يتهمه المصريون بالخيانة اذا تركهم وهرب الى السودان •

وحاولت ان اجعل الامر سهلا • وذكرت له واقعة ملك النرويج الذي عاش ايضا في المنفى اثناء احتلال القوات الالمانية • وان اي قرار اتخذ في غيبة الملك كان يعتبر غير دستوري ولكن فاروق كان يفكر بطريقة أخرى • فقد رد علي بانه معجب بما فعله ملك بلجيكا الذي ظل في بلده ولم يقبل الصلح في نفس الوقت مع الالمان • وحاولت إن اذكر فاروق بما جرى لملك بلجيكا • وان الالمان وضعوه في السجن • واتفقنا ان نترك الموضوع لفرصة اخرى • وعند خروجي من القاعة فتح احد الحراس الباب وكان فاروق يضحك بقوة • وعرفت منه انني كنت اقف فوق المكان الذي يوجد به جرس سري مخبأ تحت السجادة وان فاروق عندما كان يريد انهاء المقابلة مع شخص ما كان يقف في هذا المكان • فتضيء لمبة حمراء في الخارج ويدق جرس معين • فيجيء أحد رجال القصر لاصطحاب الزائر الى الخارج •

وبعد ذلك باسبوع توجهت لزيارة النحاس باشا رئيس الوزراء في مكتبه • وكان يرافقني الجنرال سمارت • وتحدثنا عن حادث وقع في ٨ يوليو ١٩٤٢ • فقد استقل طياران مصريان احدى طائرات السلاح الجوي المصري وانطلقا في رحلة لم يعودا منها• ومن الواضح انهما ذهبا الى خطوط الالمان • وقال النحاس باشا ان الحادث ضايقه كثيرا • وانه يتخذ الخطوات اللازمة لمعرفة ما جرى بالضبط • ولم اشأ ان اذكر للنحاس باشا ان امين عثمان باشا قال لي قبل ان اذهب لمقابلة النحاس ان وزير الدفاع المصري أمر بافراغ الوقود من جميع الطائرات المصرية حتى تظل على الارض •

وتحدثت مع النحاس بعد ذلك عن الامير عباس حليم وعن تقابله المعادي للحلفاء في مصر • وقلت له ان عباس حليم مسئول

عن هرب الطيارين المصريين لان له علاقة قوية مع سلاح الطيران المصري . وكان عباس حليم في ذلك الوقت رئيسا لنادي السيارات المصري وله نشاط سياسي واتصالات مع نقابات العمال وكان قد حارب في صفوف الالمان اثنـــاء الحرب العالمية الاولى . وطلبت من النحاس أن يعتقل عباس حليم . واقترح النحاس اعتقاله في منزله بالقاهرة . ولكني طلبت ابعاده عن العاصمة .

وانتقلنا بعد ذلك الى الحديث عن محمود خليل بك عضو مجلس الشيوخ المصري والدعاية التي كان ينشرها في مصر ضـــد قوات بريطانيا ولمصلحة الالمان . وطلبت من النحـــاس اسكاته ولكن النحاس رفض قائلا انه لا يساوي شيئا وانه ليس خطرا كما اتصور بالاضافة الى انه عضو في مجلس الشـــيوخ ووزير سابق وكان رئيسا للمجلس . وارجأنا البحث في الموضوع لوقت آخر .

فاروق وتشرشل :

في اوائل شهر اغسطس وصل تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الى القاهرة ليبحث الموقف المنهار في الصحراء الغربية . واستقبله الملك فاروق في قصر عابدين . وكان السفير يرافقه اثناء الزيارة . ومن الواضح ان مايلز لامبسون كان يكره فاروق لدرجة انه حاول أن يمنع تشرشل من التحدث على انفراد معه حتى لا يؤثر فيه الملك . ولكن فاروق كان من الذكاء بحيث شكا لتشرشـــل من تقارير السفير الملتوية . ويقول السفير في مذكراته :

« وصلنا الى قصر عابدين في الثانية عشرة صباحا . ودخلنا من باب جانبي حتى لا يعرف الالمان ان تشرشل في القاهرة . واستمرت المقابلة حوالي نصف ساعة . وكانت موفقة باستثناء محاولات فاروق الظهور بمظهـــر الملك وبطريقة رســـمية . ولكن تشرشل تحدث اليه عن الحرب . وانه واثق من النصر . وانه في مثل هذه الاوقات يستطيع الانسان أن يعرف الصديق المخلص . ورد فاروق بأنه وحكومته وبلده يتضامنون مع الحلفاء . وانه مصمم على تنفيذ المعاهدة ولكنه سوف يطلب تعديل بعض نصوصها بعد الحرب . وفي رأيي (كلام السفير) ان هذه المحاولة واضحة من فاروق للتخلص من النحاس في أقرب فرصة .

وتحدث فاروق بعـــد ذلك عن الايام الصعبة وكيف انه أمضاه فهمه كثيرا في لندن بسبب التقارير التي كانت تشوه موقفه . وقال

ايضا انه لن يتحدث فى ذلك الان وسيتركه الى ما بعد الحرب ٠ ويبدو ان تشرشل تاثر بحديث الملك ٠ فقد قال لى ونحن نغادر القصر ان فاروق ليس سيئا الى هذا الحد وانه يمكن ان تصنع منه شيئا ٠ وقال ايضا انه ينوى ان يقابله على انفراد قبل عودته الى لندن - وقد ضايقنى هذا القرار كثيرا وتحدثت مع الكسندر كادوجان الذى حضر مع تشرشل عن خطورة عدم وجود احد اخر فى اجتماع بين فاروق وتشرشل ٠ ووافقنى كادوجان على رأيى ٠

وبعد حضور تشرشل بحوالى ٦ ايام وصل الى القاهرة الجنرال مونتجومرى وكان قد صدر قرار بتعيينه قائدا للجيش الثامن بعد وفاة الجنرال جوت ٠ وكان الجنرال قد وصل بالطائرة من لندن هذا الصباح فقط ٠ وقال انه سوف يتوجه الى ميدان المعركة فورا ٠ ودعوته لتناول العشاء معنا ومع الجنرال الكسندر الذى عينه تشرشل بدلا من أوكنلك ورغم أن مونتجومرى كان يبدو خشنا بعض الشىء وغير دبلوماسى الا انى اعتقد انه من ذلك الطراز من الرجال الذى نحتاجه الان بالذات ٠

وقد توصل تشرشل بعد ذلك الى حل لمشكلة قيادة الشرق الاوسط ٠ وفرر فصلها عن الهند وكان مقرها فى بغداد ٠ فقرر تشرشل ان يكون مقرها القاهرة وان يتفرغ الجنرال الكسندر تماما لالحاق الهزيمة بالالمان فى الصحراء الغربية ٠ ولكن فى ذلك الوقت كان ذلك يبدو أملا وحلما ٠ ولم يتحقق الا بعد مضى شهرين عندما بدأ الجيش البريطانى الثامن هجومه على قوات روميل صباح يوم ٢٤ اكتوبر ١٩٤٢ واستمر القتال العنيف الشرس ٦ أيام ٠ وكانت المعركة الفاصلة يوم ٢ نوفمبر عند العلمين - وفى اليوم التالى بدأ روميل وقواته عملية التقهقر الطويلة التى انتهت بخروجهم من افريقيا ٠

وكانت اخر ازمة تقع بيننا وبين فاروق فى سنة ١٩٤٢ تلك التى وقعت بسبب ابراهيم عطا الله باشا ٠ فقد كانت الحكومة المصرية تريد تعيينه رئيسا لاركان حرب القوات المصرية وكان هذا القرار مناسب لنا ٠ ولكن فاروق كان يعارض ذلك ٠ وتحدث معى الجنرال الكسندر فى الامر وابلغته ان فاروق لا يراعى قواعد الاظلام فى قصر المنتزه ٠ كما أن غواصة تابعة للاعداء شوهدت ليلا قرب قصر المنتزه بالاسكندرية ٠ وعندما أبدى الكسندر دهشته قلت له انه سيرى الكثير عندما يمكث هنا طويلا ٠

١٩٤٣

رجل لا يعرف الخجل :

شهدت بداية هذا العام ابتعاد الحرب عن الشرق الاوسط بعد معركة العلمين . ولكن المشاكل في المنطقة ظلت معقدة وخطيرة حتى أن تشرشل جاء في أواخر يناير الى القاهرة وطلب مني ابلاغ القصر بحضوره . وهنا قلت لحسنين باشا ان هذه معلومات سرية للغاية فسأل اذا كان تشرشل سيقابل فاروق . فقلت له انني لا أعتقد ذلك لانه سوف يسافر الى انقرة ليبحث مع الاتراك موقفهم من الحرب .

وفي أول يوم من السنة الجديدة أعلنت الصحف الانجليزية نبأ الانعام على سير مايلز لامبسون السفير بلقب لورد كيلرن . وهو اللقب الذي اشتهر به بعد ذلك . وكان تشرشل قد رشحه لمنصب نائب الملك في الهند . ولكن لندن رأت أن يبقى في القاهرة لاهمية العمل الذي يؤديه هناك .

ويروي كيلرن :

وبعد وصول تشرشل زارني حسنين باشا وسألني اذا كان رئيس الوزراء البريطاني مشغولا في الغد . وأجبته انه سيقابل بعض القادة العسكريين في المساء . فقال ان فاروق ينوي أن يقوم بزيارة مفاجئة لتشرشل في السفارة . وبعد الاتصال بتشرشل اتفقنا أن يكون موعد الزيارة بين السادسة والنصف والسابعة والنصف مساء . واتفقنا ايضا أن تكون الزيارة خالية من الرسميات وأن تتم في مكتبي بالسفارة .

ووصل فاروق فعلا في الموعد . وكان قد أطلق لحيته التي كانت حديث الناس في ذلك الوقت . ورحب به تشرشل بحرارة . وبعد حوالي نصف ساعة دعاني تشرشل للانضمام اليهما . وكدت أصعق عندما وجدت فاروق يحدث رئيس وزراء بريطانيا قائلا :

ـ اتعلم يا تشرشل ان كذا وكذا .. !

وعلى وجه العموم كانت المقابلة ودية . ولكن فاروق وقف أمام الخريطة في مكتبي وأشار الى ولاية برقة في ليبيا قائلا : أتدرى يا تشرشل ان كل هذه الاراضي كانت تابعة لمصر ؟ .. وأجاب تشرشل

قائلا : لا استطيع ان أنكر ذلك . وحسب معلوماتي فانها كانت تابعة لتركيا قبل أن يستولى عليها الايطاليون .

وانتقل فاروق بعد ذلك الى الحديث عن واحة جغبوب والمنطقة المجاورة للسلوم وحقوق مصر فيها . وخشيت أن يثير مشكلة السودان وكسلا واريتريا ايضا . ولكن تشرشل وعده بان كل هذه سوف تتم تسويته بعد الحرب . وقال فاروق انه سوف يتمسك بهذا الوعد . وبعد هذا اللقاء وصف تشرشل فاروق لزوجي بانه رجل لا يعرف الخجل .

وبعد ذلك جاء النحاس باشا للزيارة تشرشل وفي البداية شكره تشرشل على موقف حكومته أثناء حرب الصحراء . وشكره على برقيه تهنئه كان قد ارسلها له بعد سقوط طبرق فى أيدى الحلفاء . وعندما سأله تشرشل عن الموقف داخل مصر قال للنحاس ان الشائعات تتردد بقوة أن هناك فريقين فى السفارة البريطانية : أحدهما وعلى رأسه لورد كيلرن يريد بقاء حكومة النحاس . والثاني وعلى رأسه كيسى يريد التخلص من النحاس وحكومته وصعقت وأنا أسمع النحاس يردد هذ الكلام امام تشرشل . واضطررت للتدخل والتأكيد أن جميع رجال السفارة يعملون صفا واحدا حسب التعليمات الوارده من لندن .

وبعد ذلك اثار تشرشل مع النحاس موضوع امداد قوات بريطانيا بالحبوب . وقال النحاس :

ـ كيف نعطيكم الحبوب ونحن لا نجد الحبوب لأرضنا ؟

ومره أخرى اضطررت الى التدخل بدلا من هذه العاصفة بجلب تركها بعض الموظفين ، واوضح له تشرشل ان الحبوب المصرية مهمة جدا للحلفاء . وفي بعض الاحيان كان يخيل الى ان تشرشل على وشك ان ينام أثناء الحديث مع النحاس . ولكنني اكتشفت انه كان يغمض عينيه فقط بسبب الملل .



الكتــاب الاسود :

وفى اواخر فبراير كتب السفير فى مذكراته يقول :

عدت من رحلة بالباخرة فى الصعيد كنت ضيفا فيها على عبود باشا انا وزوجتى .. عدت لاجد ان مكرم عبيد الذى كان من اقرب

للناس الى النحاس باشا قد انفصل عنه ونشر كتابه المعروف باسم (الكتاب الاسود) وقد عدد مكرم في هذا الكتاب ما فعلته زوجة النحاس باشا واسرتها من مساوىء . وانتهز فاروق الفرصة وحاول التخلص من النحاس وحكومته . ولكن السفير كان يرى أن أفول نجم النحاس في ذلك الوقت لم يكن في مصلحة بريطانيا . وتدخل السفير مرة أخرى واضطر فاروق الى التراجع .
وتتحدث المذكرات عن قصة الكتاب الاسود فتقول :

في أوائل ابريل قابلني حسنين باشا كما توقعت وأثار معي حكاية الكتاب الاسود الذى قدمه مكرم عبيد الى الملك . وكانت المعلومات التي تجمعت لدينا تشير الى أن مكرم باشا كان يجمع الوثائق والمستندات التي تؤكد فساد حكومة الوفد وانتشار الرشوة بينها . وعلم النحاس أن هذا الكتاب يتم طبعه . فأمر البوليس بالاغارة على عدد من الاماكن لضبطه . ولكن البوليس فشل في وقف طبع الكتاب الذي انتشر بين الناس بشكل واسع .

ولم يكتف مكرم عبيد بذلك . فقد توجه الى قصر عابدين وقابل حسنين باشا رئيس الديوان وسلمه نسخة من الكتاب ومعهما رجاء الى الملك فاروق أن يخلص البلد من هذه المحنة من السياسيين الذين يسيئون الى مصر . كل هذا حدث أثناء غيابي في الصعيد . ولم تفعل السفارة شيئا ولم تخطر وزارة الخارجية في لندن . وكان الكتاب يتضمن أدلة تبدو قوية ضد النحاس وحكومته .

وقال لي حسنين باشا ان الملك فاروق مستاء جدا مما جاء في الكتاب الاسود وانه يفكر في اتخاذ اجراء خطير ضد النحاس . وقلت لحسنين باشا ان فاروق يجب ان يتريث قليلا وان يتذكر ما جرى عندما اقدم سنة ١٩٣٧ على عمل تهوري واقال حكومة كانت تتمتع بتأييد اغلبية الشعب . وقلت له اني لا ألزم نفسي بشيء ازاء ما جاء بالكتاب الاسود من فضائح ولكني آمل الا يكرر الملك فاروق خطأ تهوره واني أعتقد ان معظم ما يجري في مصر الآن من قلق وشرور داخلية مرجعه الى الخطأ الدستوري الفاحش الذي وقع فيه الملك باقدامه على طرد الحكومة سنة ١٩٣٧ بقرار من جانبه . وقلت أيضا ان الكتاب صادر من شخص يعترف صراحة انه عدو النحاس . كما ان محتويات الكتاب لم يجر اي تحقيق رسمي لاثبات صحتها من زيفها .

ووافقني حسنين باشا الرأي . ولكنه قال انه ظل أخيرا يحاول منع الملك من مقابلة زعماء المعارضة الذين يحرضونه على طرد

النحاس • وانهم لهذا يسمونه (حسنين باشا رئيس ديوان السفير البريطاني) • • وقلت لحسنين باشا انه يجب أن يمتنع الملك بأي ثمن من اتخاذ أي قرار قد يؤدي الى عواقب وخيمة وهناك احتمال كبير ان فاروق هو الذي أوحى لمكرم عبيد باشا وشجعه على نشر (الكتاب الاسود) حتى يتخلص من عدوه رقم (١) النحاس باشا • وبعد ذلك يتفرغ للتخلص من عدوه رقم (٢) الذي هو انا • فانني واثق ان فاروق لم ولن ينسى ما حـــدث يوم ٤ فبراير وسيحاول دائما ان ينتقم •



الرجل الذي كسب الرهان :

في أواخر ابريل جاء الجنرال مونتجومري لزيارتنا في القاهرة • كان يبدو في أحسن حال • وكان واضـــحا ان حرب الصحراء تناسبه تماما رغم اني ســـمعت أن قواتنا تعيش على المعلبـات ومعظمها من نوع البولبيف • ولكني سمعت أيضـــا انهم يتناولون ما يعثرون عليه من جزر وخضراوات في الحقول التي يمرون بها • وسألت مونتجومري عن صحة القصة التي ســـمعتها انه كسب طائرة ضخمة من جنرال أمريكي وانه يستخدمها الان في تنقلاته •

وضحك مونتجومري قائلا انه فعـــلا كسب الطائرة بملاحيها الامريكيين الخمسة • وانه جاء بهاالي القاهرة • وقال مونتجومري انه كسب الطائرة في رهان مع الجـــنرال الامريكي حول احتلال مدينة معينة في شمال افريقيا قبل تاريخ معين • وعنـــدما دخل مونتجومري المدينـة أبرق الى زميـــله الامريكي فوصلته الطائرة وملاحوها • وسوف يحتفظ بها حتى نهـاية الحرب • ثم يعيدها للامريكان •

وفي صيف ١٩٤٣ كادت ان تنشب مرة أخـــرى أزمة مشابهة لازمة ٤ فبراير ١٩٤٢ • فقد حاول فاروق طرد وزارة النحاس من الحكم بدعوى الفساد والرشوة • والواقع انه كان يريد التخلص من النحاس بأي ثمن • ولكني حـــذرت حسنين باشا من هـــذه المحاولة • ثم عرضت الموضوع على لجنة الدفاع • وأبدى الجنرال ويلسون تحفظات عديدة ضد اســتخدام القوة مع فاروق • وكان الرأي الســـائد انه لو كان علينا أن نختــــار بين ذهاب الوفد واستخدام القوة فانه من الافضل ان يخرج الوفد • ولم يكن هذا القرار في رأيي هو الحل الامثل •

وبعث الى تشرشل اشرح له الامر • وعلى الفور أرسل برقية الى الجنرال ويلسون يطلب منه التعاون معي تماما • وان المسألة في حاجة الى اكثر من استعراض لقوة وبضـــعة رجال • وهكذا كانت يدي قوية وانا اقابل فاروق مرة اخـــرى في ١٧ مايو في الاسكندرية • وفي ذلك الوقت كانت قواتنا تزحف على تونس • ودخلت في الموضوع مباشرة • وذكرت فاروق انه في هذه الايام لا يوجد ملوك كثيرون في العالم • وانه رغم اننا نقف قلبا وقالبا وروحا مع النظام الملكي في كل مكان الا ان فاروق وأسرته يجب ان يتصرفوا بطريقة تجعل بقاءهم في الحكم مضمونا فترة طويلة • وذكرت فاروق بما يحدث للملوك الان في كل مكان •

ووافق فاروق على بقاء النحاس فترة أخرى ولكنه شكا لي من الاهانات والتلميحات التي توجه ضد القصر في البرلمان • وقلت له انني غير مستعد أن أعمل كالبوسطجي بينه وبين النحاس • وانه كان مخطئا عندما قرر أن يقاطع القصر الحكومة •.وأما عن التلميحات التي توجه ضده فقد ذكرت له ان الوحيــد الذي كان يتحدث عن مساوىء الملك ومغامراته هو مكرم عبيد باشا عندما كان وزيرا للخارجية وانه كلما كان يقابلني كان يكيـــل الشتائم للملك • وضحك فاروق بمرارة وقال انه يعـــرف لكم هو خبيث وشرير مكرم عبيد صاحب الكتاب الاسود •

.وهكذا انتهت مؤقتا ازمة اخرى مع فاروق ••

ولكن يبدو ان فاروق لم يكن يريد أن ينسى ٤ فبراير • فلقــد انتهز فرصة زيارة صديق من انجلترا كان يعرفه أيام الدراســـة ودعاه الى انشاص ثم أخذه بعد ذلك الى أوبرج الاهرام• وطوال الفترة الضيافة ظل يشكو له من تصرفاتي ومن الطريقـــة التي انتهجتها معه في حادث ٤ فبراير • ويبدو أن فاروق كان يريد من وراء ذلك خلق رأي عام في بريطانيا ضدي • وقال فاروق نصــــيحة انني احاول أن أعزله عن كل شيء وأن أمنع كبار الضيوف الانجليز من رؤيته • ونفيت بشدة كل هذه الاتهامات • وقلت انني آسف لاني أعطيته فرصة أخرى يوم ٤ فبراير •

ووزفلت والنحاس :

وأثناء رحلة للسفير وزوجته فيجنوب افريقيا بدعوة منالمارشال سمطس • كاد فاروق أن يفقـــد حياته في حادث ســيارة • لقد اصطدمت سيارته بسيارة عسكرية بريطانية • وكان معروفاً عن

فاروق أنه يقود سيارته بسرعـــة كبيرة • ولكنه نجـا من الموت بأعجوبة • وبعد الحـــادث قام الانجليز بعلاجــه في مستشفى عسكري بريطاني •
وفي نهاية نوفمبر جاء الى القاهرة تشرشل وروزفلت وتشانج كاي تشيك وزوجته • وعقد الثلاثة مؤتمر القاهرة قبل السفر الى طهران للاجتماع مع ستالين • ويبدو ان السفير كان بعيدا عن هـــذه الاجتماعات لانه لايتحدث عنها في مذكراته بقدر مايتحدث عن لقائه مع تشانج كاي تشيك الذي رفض أن يقابل تشرشل الا اذا حضر مترجمه الخاص لانه لا يتكلم الانجليزية • وعن روزفلت الـــذي شكا له بمرارة من تصرفات ديجول • ولقى روزفلت على النحاس قائلا : انه شخصية مثيرة فعلا للاهتمام •

١٩٤٤

مصرع لورد موين :

تلخص المذكرات ما حدث في هذه السنة فتقول ان الحرب العالمية ابتعدت تماما عن مصر • ولكن حربا من نوع آخر بدأت في فلسطين • ويقول تقرير رسمي بريطاني ان فلسطين أصبحت مسرحا لجرائم العنف التي يرتكبها الارهابيون اليهود ضد القوات البريطانية • وكانت الحكومة البريطانية قد اصدرت سنة ١٩٢٩ كتاب أبيض تحدد فيه هجرة اليهود الى فلسطين • ولكن هـــذا القرار لم يعجب اليهود في بريطانيا وامريكا فبدأوا يهاجمونه بمختلف الوسائل •

وفي فلسطين نفسها بدأت أعمال ارهابية من نوع آخر • فقد حاولت عصابة شتيرن الارهابية ايقاع المندوب السامي البريطاني سير هارولد ماكمايكل في كمين • وفي أول نوفمبر اغتال اليهود لورد موين في القاهرة • وكان يشـــغل منصب وزير الــــدولة البريطاني لشئون الشرق الاوسط •

وفي يوم أول يناير ١٩٤٤ يتوقع السفير البريطاني لورد كيلرن للمتاعب مرة أخرى مع القصر • فهو يقول في المذكرات :

« كان العام الماضي حافلا بالقلاقل والمؤامـــرات الكبرى » وهكذا اعتقد ان مصر ستظل تلعب دورا حيويا وهاما كقاعــدة لاستراتيجيتنا في البحر المتوسط وفي المعركة القادمة في الشرق الاقصى • وهكذا يبدو ان كل شيء على ما يرام خارجيا • أما داخليا

فان العلاقات للاسف لا تبدو مشــجعة . فالازمة بين الحكومة والقصر ما زالت على اشدها . واعتقد انها سوف تنفجر يوما من الايام . وقد سئمت هذه الحالة لاني اود ان اعيش في سلام بعض الوقت . ولكن لا يبدو اننا سوف ننعم بالسلام هنا قريبا » .

وبالفعل حدث ما توقعته . وبدأت المتاعب فلم تمض ٤٨ ساعة على العام الجديد وبدأت اسمع عن فاروق ومتاعبه . لقد حضر الى الامير محمد على . وشكا الى من تصرفات فاروق بعــد حادث السيارة . ففي حفل اقامته احدى اميرات الاسرة المالكة توجه محمد عبد المنعم الى فاروق لتهنئته بالنجــاة من حادث التصادم . ولكن فاروق اجاب بجفاء قائلا :

ــ انا اعرف انى خيبت ظن الكثيرين منكم عندما لم امت في الحادث . ولكنى سوف انتقم .

ويقول السفير : ان فاروق وحسنين يدبران شيئا . واعتقد اننا يجب ان نفعل شيئا . ولكن على ان انتظـر لارى ما ســوف يحدث أولا .

فاروق يعتى في الصيد !

ويثير حادث بسيط وقع في اوائل سنة ١٩٤١ الى ان لورد كيلرن لم يكن يريد لاى احد من الخارج أن يتدخل في سياســته في مصر . وكلما جاء ضيف مهم من لندن كان يحاول ان يعطيه انطباعا سيئا عن فاروق منذ البداية . او يحاول ان يقلل من اهمية اى شىء يسمعه بان يقول له ان السياسة في مصر شىء مختلف تماما وانه لن يستطيع ان يفهمها في فترة بسيطة . وهكذا كان السفير يتخلص من اى شخص له اهمية ويستطيع ان ينقــل اى انطباع سيىء عن سياسة كيلرن في مصر الى المسئولين في لندن .

حتى جاء انجليزى يدعى جوليان ايمرى وكان من أصــدقاء السفير . وكان السفير دائما يحكى له آخر الانباء في مصر . وذات يوم اتصل به حسنين باشا رئيس الديوان وطلب منه اذا كان يريد أن يصحح معلوماته عن مصر ان يجلس مع زعماء المعارضة ويستمع اليهم حتى لا يكون رأيه عن الاحوال من كلام السفير فقط . وجاء ايمرى الى السفير يسأله اذا كان ذلك لا يغضبه . ولما كان ايمرى في منتهى الذكاء فان السفير لم يلجأ الى الحيلة التى اعتاد ان يتبعها مع الاخرين . ولكنه فكر أن يرد لحسنين باشا الضربة فطلب من ايمرى أن يسأل حســنين باشا اذا كان من الممكن ان يجتمع بنجيب الهلالى باشا وزير التعليم .

وكان كيلرن يعلم ان القصر يكره نجيب الهلالي بشدة في تلك الوقت وحتى يضمن السفير ان يسمع ايمري كلمـــة طيبة عن السفارة من مصري مخلص للانجليز فقد طلب منه ايضا ان يقابل امين عثمان باشا • وهكذا تتضح صورة الحصار الذي يفرضـه السفير على كل من يحضر الى مصر ويحاول ان يتعرف بنفســه على الاحوال او يقابل المصريين من وراء ظهر السفارة •

ولم يكف السفير عن الحقد على فاروق حتى عندما دعاه الاخير للصيد في كوم اوشيم • فقد كتب السفير في مذكراته كشـفا بما استطاع كل صياد في الرحلة ان يصيده من بط وطيور اخرى • وعن نفسه يقول السفير انه اصاب ١٢٩ بطة ولكن الصبيان لم يجمعوا له سوى ١١٧ بطة وان اصاباته كانت جيدة لان معظمها كان في العنق • اما عن فاروق فيقول السفير انه يزعم انه صـــاد ٤٢٧ بطة • ولكنه يشك في صحة هذا الرقم فيقول ان فاروق كان معه صديق له يصيد معه • وان الخفراء كانوا يصيدون ايضـــا ويجمعون البط على ان فاروق هو الذي اصابه • وفي حفل الغداء الذي اقيم بعد الصيد في كـــوم اوشيم يلاحظ كيلرن ان فاروق كان يتودد للامريكان كثيرا •

وفي ٦ ابريل ١٩٤٤ عقد بالقاهرة مؤتمر سري لبحث مشكلة فلسطين وقد اجتمع المؤتمر في غرفة الحرب بمقر قيادة الشرق الاوسط • يحضره لورد موين ومبعوث خاص من لندن وجميع القـــادة العسكريين في المنطقة والسفير • وكان البحث يدور حول الآثار التي تترتب على الغاء بريطانيا لكتابها الابيض سنة ١٩٣٩ الذي يحدد هجرة اليهود الى فلسطين • وماذا يحدث في العالم العربي اذا اعلنت بريطانيا موافقتها على تقسيم فلسطين بين العـــرب واليهود • وكان هناك شبه اجماع في المؤتمر ان بريطانيـــا سوف تدفع الثمن غاليا وخاصة في مصر والعـــراق اذا فعلت ذلك • واوضح كيلرن ان مثل هذا العمل سيثير رد فعل عنيفا في مصر وان على بريطانيا ان تتوقع اياما عاصفة اذا هي فعلت ذلك • وقال السفير كيلرن انه يفضل ان تظل فلسطين تحت الانتداب البريطاني لدواعي الدفاع عن الامبراطورية • وقال قائد اخر انه يخشى من مشروع سوريا الكبرى الذي قد يجعل نفوذ فرنســا اقوى من بريطانيا في الشرق الاوسط •

وفي نهاية المناقشة طلب لورد موين من الحاضرين الا ينكروا حرفا منها لاي شخص •

فاروق يطرد النحاس :

تتحدث المذكرات بعد ذلك عن تدهور الموقف الداخلي في مصر ، وعن العلاقات التي لم يطرأ عليها أي تحسن بين الملك والنحاس ، ومن ظهور وباء الملاريا في الصعيد الذي قضى على حياة الكثيرين هناك • ويعتقد فاروق أن هذه فرصة أخرى للتخلص من حكومة الوفد ولكن السفير يقف مرة أخرى وراء النحاس وضد الملك ، ويقول السفير في المذكرات :

« ابلغني حسنين باشا ان الملك يريد أن يراني • وعندما وصلت الى القصر قابلني فاروق بكلمة ترحيب وابتسامات وعلى الفور أحس لى صدرى الملك انه يخفي قنبلة سوف يفجرها بعد ذلك ، وسلمني الملك مذكرة طويلة محتواها انه لم يعد يطيق النحاس أكثر من ذلك • وتبين لي أن الذى اثار فاروق كثيرا تصرفات النحاس اثناء زيارته للصعيد للتفتيش على حملة مكافحة الملاريا • وقال فاروق ان النحاس كان يتصرف اثناء الرحلة وكانه ملك • وعندما قال لي فاروق :

ــ انك توافقني طبعا انه لا يمكن أن يكون هناك ملكان في مصر »

واجبت قائلا بسرعة : لا قدر الله •• ان ما نعانيه من ملك واحد يكفينا •

وضحك فاروق بقوة وقال انها ملاحظة لطيفة • وبعد ذلك قال فاروق بطريقة ودية اننا في الماضي دخلنا في معارك كثيرة ، وان الوقت قد حان لابعاد النحاس وتشكيل حكومة أخرى مؤقتة ، وقال ان الرجل الذى اختاره صديق شخصي لي ومخلص للانجليز ، واوضحت لفاروق انه كان يجب أن يخطرني أولا حتى اسأل لندن قبل المقابلة • وقلت له ان رأيي الشخصي ان الوقت غير مناسب لاجراء تغيير وزارى • وقلت ايضا إن مصير العالم كله ومصير مصر ايضا يتقرر الآن في الحرب • وأن اجراء تغيير وزارى في هذا الوقت بالذات غير مناسب لمصر ولنا • واننا مرتاحون للغاية لحكومة النحاس التي تطبق المعاهدة بروحها ونصها •

وفي النهاية سألت فاروق : ومن هو اسم الرجل الذى اخترته بدلا من النحاس والذى تقول انه صديقنا ؟

وأجاب فاروق بعد تردد : اليك قائمة بالاسماء التى كنت افكر فيها :

وقدم لى قائمة بالاسماء على رأسها حسنين باشا كرئيس للوزراء ، وصدقى صادق كوزير للحربية ، وحسن رفعت كوزير للداخلية ، ود. شوشة كوزير لصحة ، ومابا حبلى باشا كوزير للتجارة ، وعددا آخر من الاسماء غير المعروفة ، ولكن كان من بينهم عمرو باشا الشاب الثرى جدا وبطل الاسكواش راكيت ، وقال لى فاروق ان معظم الاسماء التى اختارها من رجال لاينتمون للاحزاب ، وان المهمـــة الاولى للوزارة ستكون تنظيم عمليـــة الانتخابات القادمة .

وقلت لفاروق اننى يجب ان أسأل لندن أولا ، وانه لمعلوماتك الخاصة يجب ان يعرف ان الذى يتولى الشـــئون الخارجية فى بريطانيا الآن وخصوصا تشرشل نفسه ، وانى اتوقع أن يكون الرد قصيرا وحاسما ، ووافق فاروق بحماس على اخذ راى تشرشل الذى كان يعتقد انه صديقه ولكنى حذرته من الافراط فى التفـــاؤل، واخذت منه وعدا الا يقدم على شىء قبل أن يصل رد تشرشل من لندن ، وسألته ماذا سيفعل اذا قال تشرشل : لا ، فاجاب بان هذا لا يتفق مع تعهدات بريطانيا بعدم التدخل فى الشئون الداخلية لمصر ، واعتقد انه سجل نقطة هامة .

ودعوت لجنة الدفاع البريطانية لبحث الموقف ، واثناء الاجتماع تلقيت مكالمة تليفونية من حسنين باشا يقول فيها :

ــ لقد رفع الملك فاروق قرارا بطرد النحاس من الحكم .

تشرشل يهدد فاروق والنحاس :

وطلبت ان اقابل الملك فاروق فورا ، وسألته لماذا اقال النحاس وخالف الاتفاق الذى وصلنا اليه أن ينتظـــر حتى يصلنى رد من لندن ، وقال فاروق انه يستطيع ان يشرح ذلك ، ولكنى طلبت ان اقرأ له نص رسالة تشرشل .. أولا ، كانت الرسالة موجهة من رئيس وزراء بريطانيا (تشرشل) الى فاروق مباشرة وتقول :

« ان المشكلة التى نشأت بين جلالتك وبين حكومة النحاس باشا مهمة جدا وخطيرة جدا لدرجة انى دعوت مجلس الحرب البريطانى لبحثها فى الاسبوع القادم ، وامل الا تتخذوا جلالتكم اى تصرف عنيف قبل ذلك الموعد ، كما انى بعثت بتعليمات الى سفيرنا فى القاهرة لكى يتصرف النحاس باشا بنفس الروح .. وان حكومة جلالة ملك بريطانيا ستكون ضد من يضرب اولا .. ولما كانت مصر قد نجت من ويلات الغزو بفضل جهودنا ولم تتحول الى ميدان

للمعارك وتعيش الان فى سلام ورخاء فاننا نجد أن من حقنا ان نخاطبكم حول هذا الموضوع » .

ونصحت الملك فاروق الا يتجاهل رسالة تشرشل . وخاصة الفقرة التي تتحدث عمن يضرب اولا . ولكن فاروق أخذ يشكو من تصرفات النحاس ويقول انه الان فى طريقه الى الاسكندرية . وسوف يتصرف بنفس الطريقة التي فعلها في الصعيد وكأنه يحكم مصر . وقلت للملك انه يتسرع فى اصدار احكامه على النحاس . وتمسكت ان احصل منه على رد على رسالة تشرشل . ووعدني أن يصل الرد خلال ساعة .

وفى طريقي الى خارج القصر تحدثت الى حسنين باشا وسألته كيف يترك فاروق يفاجئنا بمسدس مصوب الينا بدون اخطار سابق . وحاول حسنين باشا أن يبرر موقف الملك وأن يقول انه اخطرنا بما قد يحدث عن طريق الجنرال ستون . ولكني رفضت كلامه واصررت على مسامعه تحذيرات تشرشل الى الملك والنحاس وقلت انني سوف أتصرف اذا جد شيء فى الموقف .

وعدت الى السفارة ثم استدعيت أمين عثمان باشا وأبلغته ان القصر ينوى اتخاذ اجراءات ما ضد الحكومة . ولم اشأ ان انكر له صراحة ان الملك ينوى اقالة الحكومة . ولكنى اخبرته انى حذرت الملك من عواقب هذا التصرف . وطلبت منه أن ينقل تحذير تشرشل للنحاس ايضا .الا يضرب اولا ..

واقترح أمين عثمان باشا أن يستدعى النحاس باشا من الاسكندرية فورا . ولكنى لم اشأ ان اعلق على الاقتراح وتركت له حرية التصرف . وعندما توجهت لتناول طعام الغداء تلقيت مكالمة تليفونية من القصر يقول فيها حسنين باشا ان الملك قرر أن ينتظر حتى يصل رد تشرشل من لندن بعد اجتماع مجلس الحرب .

٨ فبراير اخرى :

وفى اليوم التالى تلقيت رسالة من تشرشل تقول :

« سوف أعرض على مجلس الوزراء البريطاني غدا الموقف فى مصر . وهناك احتمال كبير فى أن يؤيد المجلس الحكومة الديمقراطية ضد عصابة القصر التي يرأسها ملك شرقي مستبد كان يثبت دائما انه صديق غير مخلص لبريطانيا . وارجو ان تتخذ مع رؤساء اركان الحرب البريطانيين الاجراءات اللازمة لتوفير القوات التى قد تحتاجون اليها لمواجهة اى متاعب من المصريين » .

وفهمنا رسالة تشرشل على انها انذار اخير لفاروق أن يستمع

الى ما نقوله او يتنازل عن العرش • ولكني لم اكن واثقا هذه المرة ان لدينا قوات كافية لمواجهة الموقف • كما ان عددا كبيرا من الذين حولي كانوا يشكون في هذا التصرف والنتائج التي قد تترتب عليه اذا نحن اقدمنا مرة اخرى على عمل ضد الملك •

وقررت استدعاء مجلس الدفاع البريطاني الى اجتماع عاجل يعقد فورا • وفي الاجتماع قرأت رسالة تشرشل • وقلت ان الامر الان في ايدي العسكريين البريطانيين للتصرف كما يجب • وبدأ النقاش حول موقف الجيش والبوليس المصرى اذا نحن اقدمنا هذه المرة على عزل فاروق • وكان رأيي ان الجيش والبوليس المصرى قد يعارضان قلب العرش ولكنهما لن يعارضا بقوة تغيير الملك بملك اخر • وذكرت لمجلس الدفاع حديثا دار بيني وبين الامير محمد على الذى شكا الى بعد احداث ٤ فبراير ان السفارة لم تفكر فيه بالمرة بسبب (صديقته الاجنبية) التي تقيم في قصر المنيل معه • وقال لي الامير محمد على انه لو ان بريطانيا وضعته على العرش يوم ٤ فبراير لضمن ولاء الجيش المصري له وبالتالي لبريطانيا في ذلك الوقت •

وبعد ذلك بدأنا نناقش الموقف بالنسبة للحكومة • وقلت انني يجب ان ارى النحاس باشا أولا لاعرف موقفه • فمن غير المعقول ان نفعل كل هذا لتأييد رئيس وزراء قد لا يريد منا ان نؤيده واتفقنا على ضرورة عقد هذا الاجتماع فورا مع النحاس •

كما اتفقنا على انه ليس من المعقول تكرار ما حدث يوم ٤ فبراير بالضبط وان نتوجه مرة اخرى الى قصر عابدين ونحاصره بالدبابات اثناء تسليم انذارنا الى الملك • وتقرر ان اذهب بنفسي واقابل فاروق واحاول اقناعه بكل الطرق الممكنة لدى أن يسمع كلام لندن • واذا لم يوافق اقابله مرة اخرى واسلمه انذارا مكتوبا ومعي الجنرال باجيت • فاذا صمم فاروق على موقفه اسلمه للجنرال باجيت ليتصرف معه • وجلسنا في انتظار تعليمات تشرشل ونحن نتساءل : هل نتخلص من فاروق •• او من النحاس ؟

اما النحاس •• او انا ؟

ووصل تلغراف تشرشل يوم الجمعة ٢١ ابريل ١٩٤٤ • وكان مكتوبا عليه « عاجل جدا » وجاء فيه :

« لقد بحث مجلس الحرب الموقف في الشرق الاوسط • وقرر انه ليس من الضروري استخدام القوة ضد الملك فاروق ولو ان ذلك محتمل في المستقبل • وذلك بسبب التمرد في اليونان وضرورة

مواجهة ذلك أولا . ولهذا يجب أن نحاول كسب بعض الوقت في مصر حتى نرهق المتمردين في اليونان » .

ومرفق رسالة أخرى من تشرشل لكي يقوم كيلرن بتسليمها الى الملك فاروق .

كانت محتويات رسالة تشرشل الثانية الى فاروق خــلال ٤٨ ساعة تقول ان مجلس الحرب يعتقد ان رغبة الملك في اقالة حكومة يتمتع رئيسها النحاس باشا بأغلبية كبيرة في البرلمان الذي مازال أمامه ثلاث سنوات أخرى يعتبر عملا محفوفا بالمخاطر . ولكن اذا اراد الملك حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة فان لندن لن تتدخل بشرط الا يتولى رئاسة الوزارة أحد رجــال القصر أو زعيم لا يحصل على الاغلبية في البرلمان .

وكان معنى رسالة تشرشل ان يمنكم النحاس باشا الى الشعب فاذا جدد الشعب ثقته فيه يعود الى الحكم . وسألت فاروق اذا كان مستعدا لقبول ذلك . ولكن الملك اعترض بشــدة على هــذا الاقتراح . وقال ان لديه للسؤال التسالي الموجه الى الحكومة البريطانية :

هل أنتم مســتعدون للاختيار نهائيــا بين الملك فاروق أو النحاس باشا ؟

ـ اما النحاس .. واما أنا ؟

وسألت الملك مرة أخرى اذا كان مستعدا لاجراء انتخابات جديدة فقال انه لا يستطيع ذلك . ثم سألته هل ينوى اتخاذ أي اجراء ضد حكومة النحاس فقال انه لن يجيب على هذا السؤال قبل ان تجيب لندن على سؤاله : النحاس أو أنا ؟

وبعد ذلك أخذ الملك فاروق ينعي حظه ويقول ان القدر هو الذي وضعه على عرش مصر وجعله يواجه كل هذه المشاكل . وانتهزت الفرصــة كي أقول له ان والده الملك فؤاد كان يستقبلني مرة كل أسبوع ولننا كنا أصدقاء . وقلت له أيضا ان والده كان متشائما للغاية من احتمالات نجــاح ابنه الملك فاروق في الحكم . ولكني كنت أطمئنه وأقول له اننا جميعــا سوف نقف بجــواره . وبهذه النغمة الطيبة بيننا انتهى اجتماعي مع الملك فاروق .

وكعادتي قابلت حسنين باشارئيس الديوان قبل مغادرتي القصر . ورويت له ما جرى وأبدى ارتياحه الشــديد لقرار لندن استبعاده من رئاسة الوزارة . وقال ان فاروق هو الذي ضغط عليه لقبول ذلك . وحاول أن يوهمني أن أحــداث ١٩١٩ سوف تتكــرر مرة

اخرى اذا ظل الانجليز يؤيدون النحاس ضد الملك • وأكد لي ان فاروق لا يمكنه مطلقا أن يمهد للنحاس باشا باجراء الانتخابات كما طلب تشرشل • وانه لو استمر النحاس في الحكم فان فاروق سوف يجد نفسه في وضع حرج للغاية •

براقو •• كيلرن :

وانشغلت في الايام التالية بما كان يجرى في الاسكندرية من عمليات ضد اسطول اليونان المتمرد وفي برج العرب ضد الفرقة اليونانية • ولحسن الحظ انتهت العملية بسلام واستسلم المتمردون •• وبعد اجتماعي بالملك فاروق بثلاث أيام زارني حسنين باشا وهو يحمل رسالة من فاروق تقول انه قرر ان تستمر حكومة النحاس في الحكم فيالوقت الحاضر• وطلبت من حسنين أن يشكر الملك على قراره الحكيم • وأبلغت لندن على الفور بما جرى وتلقيت البرقية التالية من تشرشل :

ــ براڤو • قل للنحاس ان يحاول اصلاح ما بينه وبين الملك ••

ونستون تشرشل

وبعد ذلك جاءتني من تشرشل رسالة ثانية اكثر تفصيلا تقول ؟ شخصي جدا ••

لا تقلق من محاولة خلط الزيت والخل • فأنا افعل ذلك دائما في طبق السلطة • واذا كان النحاس هو الخل وفاروق هو الزيت فأنا واثق انك تستطيع أن تمزجهما معا • ولا بد ان يفهم النحاس اننا نؤيده لان أستقرار مصر مهم جدا للقضية الحمقاء • وانه اذا اثار المتاعب فاننا نستطيع بسهولة جدا أن نعتمد على الطرف الآخر لان هدفنا دائما هو السلام والحرية ••

وبعد اسبوع مما جرى سمعت أن الملك والنحاس لم يجتمعا لتصفية الخلافات بينهما • ولهذا بعثت برسالة الى الملك عن طريق حسنين باشا اقول فيها ان ما يفعلانه شيء سخيف وانني لم اقابله طوال اسبوع حتى يستدعي النحاس • وعلى الفور تلقيت رسالة من حسنين باشا تقول ان الملك سيقابل النحـــــاس • وطلبت أن اقابل الملك بعد ظهر نفس اليوم لاعرف ما جرى بينهما •

ومضت ثلاثة اشهر هادئة • حتى جاء شهر أغسطس • وعلمت ان الملك فاروق عثر على لغم من النوع الخطير على شاطيء لمصر المنتزه • وانه طلب من البحرية المصرية ان تنتزع المتفجرات من اللغم • وعندما تدخلت البحرية البريطانية للمساعدة ثار فاروق وامر بشحن اللغم في لوري يسافر فورا بالطريق للصـــــحراوى •

ووصل اللغم الى قصر عابدين • ورجانى قائد اسطولنا ان اتدخل شخصيا خوفا من انفجار اللغم • واتصلت بحسنين باشا فى الاسكندرية وبعد ان اجرى اتصالات عديدة علمت ان رجال البوليس المصرى نجحوا فى ابطال مفعول اللغم • ولما حكيت لوفد برلمانى بريطانى كان يزور القاهرة ما جرى ابتسموا وقال احدهم :
ـ ليت اللغم انفجر !
عبود باشا معنا ١٠٠٪ :

وفى سبتمبر سافر كيلرن وأسرته الى جنوب افريقيا • واثناء غيابه قام الملك فاروق باقالة حكومة النحاس باشا • وعهد الى احمد ماهر باشا برئاسة حكومة ائتلافية • وكتب السفير فى مذكراته يقول :

(كان من الممكن ان يحدث ما هو اسوأ من ذلك • فقد كنت اتوقع ان يحدث ما جرى • وكم انا مرتاح لانه جرى وانا غائب عن القاهرة • واعتقد ان النحاس لم يتصرف بحكمة عندما طرد الغزالى من جهاز الامن العام لانه أطاع أوامر فاروق • ولما كنت غائبا فى ذلك الوقت لا يستطيع النحاس ولا فاروق اتهامى بأنى تخليت منهما • لقد خدعنا النحاس كثيرا ومن سيأذى ان القف بجانب اصدقائى • وقد فعلت ذلك بقوة لدرجة انى اتهمت بالانحياز للنحاس • واذا كان لابد من التغيير فمن الافضل ان يحدث ذلك فى غيابى •

انى اعرف احمد ماهر رئيس الوزراء الجديد جيدا • ومن الطبيعى انه لن يكون فى جيبنا تماما مثل النحاس باشا • ولكنه مدين بشدة لعبود باشا الذى يعتبر ١٠٠٪ معنا • كما ان عبود مدين لنا ايضا • ومشاعره نحو الحلفاء وبريطانيا فوق مستوى الشك • ولكنى حزين من اجل امين عثمان باشا • انه لخسارة كبرى • ولن تكون الاحوال سهلة مثلما كانت من قبل • وقد قرات فى الصحف ان احمد ماهر سوف يستعين بعدد من الوزراء الوفديين واذا حدث ذلك فسوف يكون شيئا مثيرا للاهتمام•

وفى ٧ نوفمبر ١٩٤٤ وقع حادث اغتيال لورد موين وزير الدولة البريطانى لشئون الشرق الاوسط فى القاهرة • وبعث تشرشل الى كيلرن الذى كان فى جنوب افريقيا يطلب منه سرعة العودة الى القاهرة • ولا يكتب كيلرن فى مذكراته عن لورد موين اكثر من سطرين يقول فيهما :

(مسكين والتر موين • اغتاله الارهابيون اليهود • لقد كان موظفا رائعا وصديقا مخلصا خسارة محزنة) •



النحاس باشا وكيلرن في آخر لقاء لهما قبل أن يغادر كيلرن مصر نهائيا

الأيام الأخيرة..



لم يبق سوى ١٤ شهرا على خروج كيلرن من مصر . ولكن هذه الفترة تشهد احداثا خطيرة رغم انتهاء الحـرب العالمية الثانية ، وحتى قبل أن يغادر كيلرن مصر بساعات تشتعل نيران ثورة عارمة ضد معاهدة ١٩٣٦ وضـد الانجليز فى مصر ، ويحرق المتظاهرون بعض المنشآت البريطانية . ويقع عدد من الجنود الانجليز صرعى وسط اضرابات لم يسبق لها مثيل في القاهرة والاسكندرية وفي جميع المدن المصرية احتجاجا على بقاء القوات البريطانية في مصر .

١٩٤٥

سنة حافلة بالاحداث :

تلخص المذكرات أحداث سنة ١٩٤٥ فتقول انه بالرغم من ان هذا العام شهد نهاية الحرب العالمية الثانية فانه لم يمر بهدوء بالنسبة لمصر . فقد زار تشرشل وروزفلت مصر مرة أخرى أثناء عودتهما من مؤتمر يالتا فى شهر فبراير . واجتمع الاثنان بفاروق والملك ابن سعود وامبراطور اثيوبيا ورئيس سوريا .. وحاول الفرنسيون العودة الى سوريا . وادت هذه المحاولة الى ضرب دمشق بالقنابل وتدخلت القوات البريطانية . وكان لهذا العمل صدى واسع فى جميع الدول العربية وعلى رأسها مصر .

وكان العالم العربى فى طريقه الى اعادة تنظيم نفسه . وشهد هذا العام مولد الجامعة العربية . كما شهد ايضا هذا العام النزاع بين مصر وبريطانيا حول تعديل معاهدة ١٩٣٦ التى اصبحت موضع مناقشة كثيرة فى صحف مصر وبريطانيا . وكانت نقط الخلاف حول جلاء القوات البريطانية عن مصر ووضع السودان بعد انتهاء المعاهدة .

وشهدت سنة ١٩٤٥ ايضا مصرع أحمد ماهر باشا رئيس وزراء مصر الذى عينه فاروق بدلا من النحاس باشا اثناء غياب كيلرن فى رحلة فى جنوب افريقيا . وحل مكان احمد ماهر باشا النقراشى باشا .

وفى بريطانيا انهار التحالف الذى كان قائما بين الاحزاب ايام الحرب . واجريت الانتخابات العامة . وفاز حزب العمال البريطانى . وكانت صدمة كبرى لتشرشل وحزب المحافظين . وكان لهذه النتيجة اثارها فى الشرق الاوسط . كما ظلت مشكلة فلسطين مصدر قلق كبير . وفى سبتمبر استدعت الحكومة البريطانية لورد كيلرن للاشتراك فى مؤتمر لندن الذى حضره جميع الممثلين الدبلوماسيين لبريطانيا فى الشرق الاوسط . وفى هذه المرة كان ايدن وتشرشل خارج الحكم . وكان وزير خارجية بريطانيا الذى رأس المؤتمر ارنست بيفن .

ويقول كيلرن في مذكراته في اليوم الاول من العام الجديد ١٩٤٥ :

ومكذا نبدأ سنة جديدة ..

ولكنها ليست بداية طيبة من وجهة نظرى - فما زالت هناك متاعب في اليونان - وصعوبات في الهجوم على الجبهة الغربية . ورغم ذلك فان المرء عندما يفكر كيف كانت الاحوال في بداية عام ١٩٤٤ .. اى منذ عام مضى يعتقد أن الامور الان افضل بكثير . وبالنسبة لمصر فقد ظلت الامور مهتزة طوال العام الماضي. وصادفنا مواقف نجحنا فيها وأخرى كان نصيبنا الفشل .. ونحن الان على قمة الموجة - فاما أن نصل الى بر الامان . واما أن تقع أحداث خطيرة ..

ولقد كانت هناك اضطرابات داخلية بعد طرد الملك لحزب الوفد من الحكم . واذا نظرنا الى الامور من وجهة نظر بعيدة فقد كان هذا شيئا لا بأس به . وكان افضل شيء أنه حدث أثناء غيابي في جنوب افريقيا (يكرر السفير هذه العبارة مرات عديدة في مذكراته وكأنه يحاول ابعاد أي شك في أن الامور بدأت تفلت من يديه وانه لم يعد حاكم مصر من وراء ستار .. كما يحاول أن يوحي بأن فاروق كان جبانا واتخذ قرار ابعاد النحاس اثناء غياب السفير عن مصر حتى يفاجأ بالامر الواقع عند عودته الى القاهرة) .

وتعترف المذكرات بعد ذلك أن الامور في مصر تطورت بشكل خطير في السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية . فقد ضاق الشعب المصري بالقيود التي فرضت عليه والتضحيات التي قدمها اثناء الحرب . وضاق بالقيود التي نصت عليها معاهدة ١٩٣٦ . وكانت الصيحة الكبرى التي ترددت في مصر سنة ١٩٤٥ :

ـ لا بد من تعديل معاهدة ١٩٣٦ .. أو الغائها اذا لزم الامر .

اعدموهم فورا :

وفي أواخر يناير تلقى لورد كيلرن برقية هامة من ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني في ذلك الوقت . وكان مكتوبا على البرقية من الخارج : شخصي وسري للغاية ولا تفتح الا بواسطة السفير . وتقول البرقية :

« عزيزي كيلرن :

أرجو أن تدرك أنه ما لم يتم تنفيذ الاحكام التي صدرت ضد قتلة لورد موين فان ذلك سوف يؤدي الى أزمة خطيرة بين مصر وبريطانيا العظمى . وأي تدخل قد يقع لاى سبب في سبيل تنفيذ الاحكام التي أصدرها القضاء .. وأي تدخل قد يعرقل سير العدالة لا يتفق أبدا مع العلاقات الودية بيننا وبين مصر . وقد يكون هناك ضغط صهيوني واقع على الحكومة المصرية . وقد يكون هناك أيضا ضغط من يهود أمريكا . ولهذا رأيت أن تعرف وجهة نظري الشخصية بالنسبة لهذا الموضوع . ولا شك انك سوف تستخدم منتهى الحرص واللباقة في اي عمل قد تقدم عليه . وليس هناك ما يدعوني للاعتقاد أن القانون لن يأخذ مجراه في قضية لورد موين. ولكني أبعث اليك بهذه البرقية لزيادة التأكد»

« ونستون »

وأجبت على برقية تشرشل في نفس الليلة بالبرقية التالية :

« تستطيع أن تطمئن أن السفارة هنا لن تسكت اذا لم يعتمد رئيس الوزراء المصري الحكم الصادر من المحكمة في قضية مصرع لورد موين أو اذا تعطل تنفيذ هذا الحكم في الوقت المناسب ـ وقد أوضحت ذلك لرئيس الوزراء المصري احمد ماهر باشا في آخر لقاء تم بيننا وبحثنا فيه قضية اغتيال اللورد موين ـ وحتى الآن فان الاجراءات ما زالت سليمة .. وليس هناك ما يوحي أن رئيس الوزراء المصري لن يعتمد الاحكام . وانا اعرف انه واقع تحت ضغط كبير من الخارج وخصوصا من المؤسسات اليهودية في أمريكا . ولكن برقيتك الاخيرة سوف تساعدني في أن أوضح لرئيس الوزراء المصري مدى خطورة أي خضوع من جانبهم لهذا الضغط » .

« كيلرن »

وبعد ذلك بثلاثة أيام يتوجه السفير الى مكتب رئيس الوزراء لمقابلة احمد ماهر .. ويقول في مذكراته :

« تحدثت الى احمد ماهر باشا عن اعتماد احكام الاعدام الصادرة ضد الشابين اليهوديين اللذين قتلا لورد موين . وأبلغته انني تلقيت توجيهات عليا من لندن بان اي محاولة لوقف تنفيذ هذه الاحكام سيكون لها أثر أشبه بالكارثة . وأوضحت لاحمد

ماهر باشا ان رد الفعل هذا من جانب لندن جاء بعد ان ابرقت اليهم أن تنفيذ احكام الاعدام لن يتم قبل مضي فترة تتراوح بين ٤ و ٥ أسابيع .. وقلت لرئيس الوزراء اننى لا احاول التدخل في سير العدالة . ولكنني أريد أن اطمئن الحكومة البريطانية أن الاحكام سوف تنفذ فعلا » .

« وأجاب أحمد ماهر باشا قائلا انه لا داعي لقلق لندن حول هذا الموضوع وأن الوقف باختصار هو ان أحكام الاعدام سوف تنفذ في الوقت المناسب . واعترف أحمد ماهر باشا بوجود ضغط كبير من الخارج على الحكومة المصرية لوقف تنفيذ الحكم . ولكنه قال انه يرفض حتى الآن عمدا أن يقرأ أية برقية من أكوام البرقيات التي تنهال عليه من اليهود وغير اليهود من جميع انحاء العالم وخاصة من أمريكا .. وأن هذه البرقيات كما قال له مساعده تطالبه بالعفو عن قتلة لورد موين » .

وهكذا يكشف لورد كيلرن فى مذكراته سرا جديدا من أسرار قضية اغتيال لورد موين . وكيف ان تشرشل حاول أن يضغط على مصر للانتقام من قتلة اللورد البريطاني والاسراع في تنفيذ الحكم خوفا من الضغط الهائل الذى كانت تقوم به الصهيونية العالمية لمنع اعدام الشابين اليهوديين اللذين اعترفا في التحقيق انهما من عصابة « شتيرن » الصهيونية الارهابية التي دربتهما خصيصا لاغتيال لورد موين لانه اقنع تشرشل بوقف هجرة اكثر من مليون يهودى من المجر اثناء الحرب في صفقة سرية بين الحركة الصهيونية وبين عملاء هتلر .



الاسد لا يريد الحضور !

. في العمل الدبلوماسي تقع أحيانا أشياء قد تبدو صغيرة ولكنها تثير قلقا بالغا للسفراء .. فهناك مثلا حادث احتجاز الامبراطور هيلاسلاسي امبراطور اثيوبيا (الحبشة في ذلك الوقت) . ففى منتصف شهر فبراير وصل الرئيس روزفلت الى مصر . وتلقيت تعليمات من لندن أن أرتب اللقاء بينه وبين الملك ابن سعود وامبراطور اثيوبيا أو الاسد كما كنا نسميه . وكانت التعليمات ايضا ان اعد ترتيبات اخرى للقاء آخر بين هذين الملكين وبين تشرشل في القاهرة . أما اللقاء بين روزفلت وبينهما فكان مقررا ان يتم في الاسماعيلية .

وبالفعل وصـــل الاسـد والتقى مع روزفلت في الاسماعيلية ، وعادت به طائرة امريكية الى مطار « باين فيلد » الامريكي خارج القاهرة ، واتصل بي من المطار أحد رجال السفارة البريطانيــة ليقول لي ان الامريكان يريدون التخلص من الاسد ، وأنهم بعد ان اوصلوه الى القاهرة يعتبروننا مسئولين عنه ولا يريدون اعادته الى اديس ابابا ، وكانت وجهة نظر الامريكيين ان الاسد لم يعد يهمهم الان بعد انتهاء اجتماعه بروزفلت وانهم لا يستطيعون أن يضمنوا سلامة وصوله الى اديس ابابا ، ولهـــذا فهم يلقـــون هذه المهمة الثقيلة علينا .

وكانت المشكلة انني اريد اقناع الاسد بانتظار وصول تشرشل الى القاهرة ليقابله ، ولكنه رفض وصمم على العودة الى اديس ابابا في طائرة امريكية ، واشترط لكي يمرن الى القاهرة لمقابلة تشرشل أن تعود به نفس الطائرة الامريكيه ، ولكن الجنرال الامريكي أصر انه لا يستطيع أن يفعل ذلك بدون موافقة واشنطن ، وطوال هذه الاتصالات والمكالمات التليفونية كان الاسد في المطار .. وظل الاسد هناك حتى فجر اليوم التالي وأنا لا أعرف ماذا فعل .

وانشغلنا بعد ذلك بوصول الملك ابن سعود على ظهــر مدمرة امريكية الى مدينة الاسماعيلية وكان مقـــررا أن يقابله الرئيس الامريكي روزفلت هنـــاك ، وبعد انتهاء الاجتمـــاع كان روزفلت سيطير على ظهر الطراد الامريكي الى الاسكندرية حيث يجتمع بونستون تشرشل مرة أخرى ، وقال لنا الامريكيون انهم بعد انتهاء اجتماع روزفلت والملك ابن سعود لاشأن لهم بأية ترتيبات أخرى ، وكان معنى ذلك أن تتكرر مشكلة الامبراطور الاثيوبي .. وفي هذه المرة كانت المشكلة أسوأ لاننا كنا مضطرين الى الاستعانة بالملك فاروق اذا فكرنا في احضار الملك ابن سعود الى القاهرة لانتظار تشرشل .

وزاد الامر تعقيدا عندما بعث الملك ابن سعود من الاسماعيلية يقول انه يسره لقاء تشرشل ، ولكنه غير مستعد للحضـــور الى القاهرة ، وقررت الذهاب الى قصر عابدين ومقابلة الملك فاروق أثناء الحفل الذي اقامه لتكريم الرئيس السوري شكري القوتلي .. ووجدت أن فاروق على دراية بكل ما يجري .. وكان الاســـد حتى الان ما زال في مطار « باين فيلد » الامريكي ويرفض الحضور الى القاهرة والاقامة في السفارة البريطانية حتى يحضر تشرشل ..

ولهذا انتهى حديثنا مع الملك فاروق حول حل مشكلة ابن سعود الذي كان يريد أن يقابل تشرشل ولكنه لا يستطيع القدوم الى القاهرة لان هذا كان محرجا للغاية بسبب الظروف السياسية الداخلية في مصر في ذلك الوقت .

واقترح الملك فاروق أن يذهب ابن سعود الى الاسكندرية . ولكني قلت انه لا يحب ركوب الطائرة . وبعد مضي بعض الوقت توصلنا الى أن افضل ترتيب أن ينزل ابن سعود في أوبرج الفيوم . وكان فندقا كبيرا جديدا في ذلك الوقت . وقال فاروق انه سوف يوصي مدير الاوبرج ، صوصة ، ان يتخذ اللازم لتسهيل الامور واجرينا الاتصالات اللازمة لاخلاء الفندق حتى تنتهي اقامة ابن سعود في مصر .

في صحته :

وصل تشرشل الى القاهرة يوم الخميس ١٥ فبراير . وكان اسمه بالشفرة في البرقيات المرسلة الى السفارة « الكولونيل » . وقد وصل تشرشل ومعه ابنته سارة وابنه راندولف . كانت سارة جميلة الى حد ما مثل أمها . ولكنها كانت تبدو شاحبة كالعادة .. أما راندولف فرغم انه تحسن كثيرا عن العام الماضي .. الا انه ما زال يحيرني .. فهو على العكس من والده تشرشل الكبير على طول الخط .. واثناء السهرة كان يحاول عمدا في معظم الاحيان ان يقلل من اهمية كلام والده .

وكما ذكرت من قبل كان مقررا ان يتم الاجتماع بين تشرشل وابن سعود في أوبرج الفيوم . وعندما توجه البوليس لاخلاء الفندق من النزلاء ثار بعضهم . واضطر البوليس المصري البريطاني الى اعادتهم الى القاهرة في سياراته الخاصة حتى يهدىء من ثورتهم . وفي اليوم المحدد للاجتماع ذهبت الى الفيوم . ونزل الملك السعودي الى البهو . وقدموني اليه . وكان يبدو رجلا رائعا يجذبك الى شخصيته . وكانت أول ملاحظة قالها لي انه من النادر ان يلتقي برجل في مثل قامته أو اضخم منه . والواقع انه يجعلني اتذكر الجنرال ديجول ولو ان ابن سعود اضخم واعرض .

وجاء ونستون تشرشل . وبعد التحيات الاولى توجهنا لتناول طعام الغداء . وكانت فرصة طيبة لي للتحدث مع ابن سعود . وكانت تقف خلفه حاشية كبيرة ومن بينهم عدد من العبيد الحربيين

لتجهيزها لتلبية طلبات ابن سعود ، وكانوا يعدون له اطباقه الخاصة على المائدة ، وكان يشرب من ماء خاص أحضروه له من مكة ، وقد أمر ابن سعود ان يتذوق كل من تشرشل وانطونى ايدن عينة من هذا الماء ، أما باقي الحاضرين على المائدة فقد كانوا يشربون الويسكى والصودا فى أكواب ملونة ، وكنا نقول للوهابيين من اتباع الملك المرافقين بحساسيتهم ضد الخمر ان الاكواب الملونة بها دواء خاص .

وبعد الغداء خرجنا جميعا الى الشرفة حيث التقطت صورة تذكارية للجميع ونحن نجلس فى الشمس ، وقال ونستون تشرشل انه يريد اجراء مزيد من المحادثات مع ابن سعود ، وتركتهما فى الفندق كى أسبق تشرشل الى كوم أوشيم ، وجاء تشرشل بعد الظهر ، وكان اول شىء طلبه عندما جلس فى الحديقة بكوم اوشيم كأسا من البراندى القوى حتى يستطيع أن يستعيد توازنه الذى فقده مع الملك ابن سعود على المائدة التى خلت من الويسكى بالنسبة له ولايدن ، وبعد أن شرب تشرشل وايدن عدنا الى الفيلا المخصصة لهما ، وفى الطريق قابلنا مجموعة من رجال الصحافة وهم فوق الجمال ، واصر تشرشل على النزول من السيارة لفحص الجمال والسؤال عن نوعها .

ونظرنا الى ساعاتنا فاكتشفنا اننا متأخرون بعض الوقت عن موعدنا مع الملك فاروق وعدنا الى السيارة وأمرنا السائق ان يحاول أن يعوض الوقت ، وقال السائق ان ركب الموتوسيكلات والسيارات التى أمامه يعطله عن السرعة ، وأمره تشرشل ان يتخطى الموكب وينطلق بسرعة ، وكان الطريق مليئا بالمطبات ، وخشيت ان يثور تشرشل الذى كان يتأرجح داخل السيارة وهى تقذف به هنا وهناك فى المقعد الخلفى ، ولكنه كان مثل طفل سعيد يحب المغامرة .

ووصلنا قبل الموعد المحدد بدقيقة واحدة ، وما كدنا ننفض غبار الطريق حتى وصل الملك فاروق ، واعتذر عن ذلك بأنه حاول أن يدخل الفيلا من باب اخر ، ولكن الحراس أوقفوه ومنعوه من الدخول ، فلم تكن لديهم أوامر بدخول أحد ، واعتذر له تشرشل قائلا انهم فعلوا ذلك لاسباب تتعلق بالامن »

لا تحاكموا النحاس باشا !

وقبل أن تبدأ المحادثات بين تشرشل وفاروق كان أنطونى ايدن

قد قرر ألا يشترك في هذه المباحثات سوى تشرشل وايدن وأنا *
وحاول البعض دخول قاعة الاجتماع ولكن ايدن أغلق الباب بقوة خلفه حتى لا يدخل أحد سوانا . وقد استمرت المناقشة حوالى ساعة ونصف ساعة ودارت في جو ودى . وبدأها تشرشل بالاشارة الى تغيير الوزارة المصرية في مصر وتخلص فاروق من النحاس .

ورد فاروق قائلا انه أكثر سعادة الان بعد ان تخلص من النحاس* وانه لولا تدخلنا لقام بهذه الخطوة منذ زمن بعيد ، وانه كمصرى كان يشعر في مناسبات عديدة بالحاجة الماسة الى هذا التغيير لان الامور كانت سيئة للغاية في مصر في عصر النحاس باشا . وتحدث تشرشل بعد ذلك عما سمعه عن النية المتجهة لدى القصر لمحاكمة النحاس باشا . وقال تشرشل انه لا يوافق بشدة على مثل هذا الاجراء .

وقال فاروق ان البعض كان يطالب بتوجيه تهمة الخيانة العظمى للنحاس . ولكنه لم يوافق على ذلك . ولكن الحكومة الحالية لاحمد ماهر باشا كشفت مخالفات خطيرة قد تؤدى الى توجيه بعض الاتهامات للنحاس باشا . ولم يحاول تشرشل ان يدخل في تفاصيل هذا الموضوع . ولكنه ترك انطباعا قويا في رأس فاروق ان اية محاكمات للنحاس باشا سوف ينظر اليها نظرة سيئة في بريطانيا .

وبعد ذلك دار الحديث حول الاجتماع القادم للحلفاء في سان فرانسيسكو في ابريل لوضع أسس انشاء منظمة عالمية جديدة تحافظ على السلام بدلا من عصبة الامم . وقال تشرشل ان الاشتراك في هذا المؤتمر « مؤتمر سان فرانسيسكو » يتطلب أن تعلن الدولة العضو الحرب على المحور واليابان قبل اول مارس * وقال تشرشل ان بريطانيا وافقت على قرار مصر ان تظل بعيدة عن الحرب ولو انها ظلت تقدم مساعدات سخية للحلفاء طوال الحرب . ولهذا فانه يرى أن تعطى مصر الفرصة كي تصبح احدى الدول التي اشتركت في تأسيس هيئة الامم (التي اصبحت فيما بعد الامم المتحدة) *.

وسأل فاروق :

هل تريدون حقا أن نشترك في المنظمة العالمية ؟* واجاب تشرشل أن المسألة ليست ما نريد نحن ولكن مصر هي التي يجب أن تقرر ذلك . وقال فاروق ان اعلان الحرب في هذا الوقت المتأخر سوف

يثير سخرية الاخرين وخاصة ان الحرب توشك أن تنتهي • وسأل فاروق ماذا تفعل تركيا • واجاب تشرشل ان تركيا سوف تعلن الحرب •

وقال فاروق :

في هذه الحالة فان مصر سوف تحذو حذو تركيا • وتذكرت وأنا أسمع هذا الكلام ما قاله ابن سعود منذ بضع ساعات لتشرشل في الفيوم أن المملكة السعودية سوف تفعل ما تفعله مصر • فاذا أعلنت مصر الحرب فسوف تعلن السعودية الحرب • واقترح فاروق أن يثير المطوني ايدن الموضوع مع أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء عندما يقابله • ووافق ايدن على ذلك •

وانتقل الحديث بعد ذلك الى النواحي الاجتماعية • وحاول تشرشل أن ينصح فاروق بتغيير الاحوال الاجتماعية في مصر • وقال لفاروق أنه لا يوجد مكان في العالم يحس المرء فيه بالثراء الفاحش والفقر المدقع في نفس الوقت كما في مصر • وقال تشرشل ان هذه فرصة لتحسين صورته كملك شاب ان يتزعم حركة اصلاح تهتم بأحوال شعبه ومطالبهم •

وتساءل تشرشل :

لماذا لا تأخذ من الباشوات الاثرياء بعضا من ثرواتهم الكبيرة وتنقلها على تحسين أحوال الفلاحين •

وأجاب فاروق ان هذا ما يتمناه فعلا وانه يحس بالحاجة الملحة لضرورة عمل شيء ولكن ذلك من اختصاص حكومته •

<u>هديتي اليه سيارة رولزرويس :</u>

وانتقل الحديث بعد ذلك الى مصرع لورد موين ورأى تشرشل ان حكم الاعدام يجب تنفيذه في الشابين اليهوديين اللذين قتلا اللورد • وقال فاروق انه يوافق تماما وانه من ناحيته لديه النية على شنقهما كما يقضى بذلك حكم المحكمة • وتحدث فاروق بعد ذلك عن الحالة في سوريا والصدام بين السوريين والفرنسيين • وقال ايدن ان بريطانيا تحاول تهدئة الجانبين ، وفي ذلك الوقت تذكرت أن الرئيس شكري القوتلي ينتظر في الخارج • وأن موعد مقابلته لتشرشل قد حان •

ولم يظهر الملك فاروق اى استعداد للانصراف • وغاظنى انه قال انه مستعد للبقاء مدة أطول للحديث مع تشرشل • وخرج ايدن من الغرفة حتى يطمئن الرئيس السورى قبل أن ينصرف غاضبا • واضطررت الى التدخل عدة مرات لتذكير الملك فاروق أن الرئيس شكرى القوتلى ينتظر بالخـــارج • وفى النهـــاية نهض فاروق وانصرف وهو يقول لتشرشل :

ـ لقد استمتعت بصحبتنا معا الى حد كبير •

بعد العشاء جلسنا فى الحـــديقة • واخرج كل منا الهدايا الثمينة التى انهالت علينا من الملك ابن ســـعود • وكانت هدايا تشرشل وايدن عبارة عن خواتم ثمينـــة بها فصوص من الماس الرائع • وسيف وخنجر مرصعين بالمـــاس والجواهر • وروائح شرقية جميلة • وكمية من العنـــبر • وزجاجات غريبـــة الشكل واللون قيل انها تحتوى على بعض التوابل النادرة • وصندوق كبير من عصير ماء الورد • وحقيبة كبرى ملأى بالاثواب العربية الخلابة • وارتدى ونستون تشرشل أحـــد هذه الاثواب • وكان منظره يبدو مؤثرا •

وليس تشرشل احد الخواتم التى اهداها له الملك سعود وسألنى عن ثمنه وعن ثمن الماسة التى فى الخاتم • ومن حسن الحظ اننى كنت فى جنوب افريقيا أخيرا ولدى فكرة عن أسعار الماس • وقلت لتشرشل اننى أعتقد أن الماسة بالخاتم تزن ١٠ قراريط وأن قيمتها تساوى بالتقريب حوالى ٧٥٠ جنيهـــا استرلينيا • وبينما كان تشرشل يقلب فى صندوق الخاتم عثر على ورقة مكتوبة باللغـــة العربية • وبعثنا بها الى مترجم فوجدنا أنها تقول ان هذه الماسة وزنها ١٠٫٢ قيراط وثمنها ٨٥٠ جنيها استرلينيا •

وتذكرنا ان هناك قاعدة فى بريطانيـــا الا يقبل رئيس الوزراء اية هدايا • وتساءلنا ماذا نفعل بهذه الهدايا ؟ وسألنى تشرشـــل عن القيمة الاجمالية لكل الهدايا التى قدمهـــا اليه ابن سعود •• وقلت اننى أعتقد انها تساوى ٢٥٠٠ جنيه استرلينى • وقال ان ذلك يضعه فى موقف حرج للغـــاية • وانه لابد أن يفكر فى حل عندما يعود الى بريطانيا • وقال تشرشل انه وعد ابن سعود ان يرسل له سيارة رولزرويس عندما يعود الى بريطانيا ، وان الهدية التى قدمها له فى الفيوم كانت عبارة عن عطر لا تزيد قيمته عن ١٠٠ جنيه ، وأنه يشعر بالخجل لهذه الهدية المتواضعة ء

ولا يخفى السفير فى مذكراته بعد ذلك اعجابه البالغ بتشرشل والكلام الذى يقوله • ويصفه قائلا انه ديناموا بشرى وانه اعجب شخصية قابلها • وانه لا يتردد ونصـــدر منه التعليقات الذكية والعبارات البراقة حول كل موضوع • وعنـــدما يدعو السفير تشرشل للغداء فى منزله يقـــدم اليه صندوقا من سـيجار فاخر يسميه السفير « سيجار الباشا » وكان عبود باشا قد قدمه هدية الى كيلرن • وعندما يتوجه السفير لوداع تشرشل فى المطار تبهره الطائرة التى أهـــداها الرئيس الامريكى روزفلت لرئيس الوزراء البريطانى • ويصف السفير تشرشل فى مذكراته بانه «جون بول» الحقيقى • ففى خلال ثلاثة أيام قضـــاها فى مصر اســـتطاع ان يجرى محادثات مفيدة لبريطانيا مع ملكين (فاروق وابن سعود) وامبراطور (هيلاسيلاسى) والرئيس السورى القوتلى •

مات احمد ماهر !

بعد اسبوع واحد من زيارة تشرشل وفى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ دق جرس التليفون فى مكتبى • وكان الجنرال ســـمارت على الطرف الاخر من الخط •• وقال لى انه سمع الان أن أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء قد أصيب بجراح بالغة عقب محاولة لاغتياله فى ردهة مجلس النواب • وقال ان الجانى اطلق على احمـــد ماهر باشا الرصاص من مسدس • وانه أصـــيب بثلاث رصاصات • وطلب منا المصريون ارسال طبيب عسكرى بسرعة •

وعلى الفور اتصلت بالجنرال باجيت لارسال طبيب من الجيش البريطانى الى السفارة ليصحبنى الى مكان الحـــادث حيث كنت انوى الذهاب الى هناك • ولكن بعد ١٠ دقائق اتصل بى سمارت مرة أخرى ليبلغنى أن أحمد ماهر باشا قد توفى متأثرا بجراحه • ورأيت اننى يجب أن اصحب الطبيب معى رغم ذلك للتأكد من صحة تقرير الوفاة • واقترح الجنرال باجيت أن نخطر جميـــع القادة العسكريين للقوات البريطانية فى مصر ان يقفوا فى حالة استعداد لمواجهة أية طوارىء • ووافقته على هذا الرأى •

وركبنا السيارة الى مبنى البرلـــمان •• وكان البوليس يحاصر المكان تماما وبعد ان اخترقنا حصار البوليس وجدنا باب البرلمان مغلقا • ولكن جابلز بك الذى كان يعمل مع البوليس المصرى فتح لنا الباب •• كان كل شىء بالداخـــل عبارة عن فوضى • واقترح

احد ضباط البوليس أن اذهب لرؤية الجاني الذي احتجزوه في غرفة مجاورة ٠ وقلت له ان هــذا لا يهمني بالمرة ٠ وانني أريد رؤية رئيس مجلس النواب فورا ٠ وعثرنا عليه في احدى الغرف مع عدد من كبــار المسئولين واكدوا لي جميعــا حادث اطلاق الرصاص ٠ وان أحمد ماهر باشا مات ٠ وان جثته قد نقلت الي منزله ٠

وبصعوبة بالغة خرجنــا من المكان الذي كان حافلا برجال البوليس ٠ وكانوا يفتشون كل من يقابلونه في المبنى ٠ وتوجهنا الي وزارة الداخلية حيث قيل لنا أن النقراشي باشا وزير الخارجية في حكومة احمد ماهر كان يوجد هناك ٠ واكتشفت ان النقراشي باشا قد انصرف ٠ وعلى سلالم الوزارة قابلت مكرم عبيد باشـا الذي أكد لنا الانباء ٠ وقررت أن أتوجه الى قصر عابدين فورا ٠ ولم أجد حسنين باشا هناك ٠ فطلبت من كبير الامناء أن يبلغ الملك فاروق تعزيتي الخاصة ٠ ثم توجهنا الي منزل احمد ماهر باشـا بالقرب من القبة ٠

ودخلت المنزل لاجد صدمة كبرى في انتظاري ٠ فقد اكتشفت ان الذي يستقبل العزاء هو ذلك الشرير علي ماهــر باشا ٠ وبدا الامر محرجا ٠ ولكنني القيت بالعــزازات جانبا وتوجهت اليه واعربت له عن عزائي ٠ وكان يحيط به عدد كبير من الاقارب وهم في اشد حالات الحزن ٠ وكانت اصوات النســاء تتردد بشكل مخيف في غرفة مجاورة ٠ وفي طريقنا الى الخارج شاهدت عددا من اقارب القتيل المسنين وهم يبكون بانفعــال ويصرخون في كل مكان ٠

ويقول السفير في مذكراته :

ان وفاة احمد ماهر باشا خسارة كبيرة لنا فقد كان صديقا شخصيا لي طوال السنوات الماضية ٠ كما كان مخلصا لنا ويساعدنا في معظم الاحيان ٠ ومن الصعب التنبؤ بآثار هذه الخسارة علينا ٠ ومن الواضح أن الذي قتل احمد ماهر من الوطنيين المتطرفين ٠ وانه أطلق علي أحمد ماهرالرصاص لاقتراحه دخول مصر الحرب٠ وقالوا لي ان هذا الرجل بعث بخطاب الى احمد ماهر يهدده فيه بالقتل اذا مضى في خطته لاعلان الحرب ضد المانيا ٠ وان الخطاب

وصل الى رئيس الوزراء فى نفس اليوم ، وسلمه الى رجال البوليس ، ولكن يبدو انهم لم يتخذوا اجراءات كافية لحمايته ٠



مؤتمر فلسطين :

فى أوائل ابريل قررنا عقد مؤتمر فى كوم أوشيم لبحث مشكلة فلسطين ، ودعونا الى المؤتمر عددا من الشخصيات السياسية والدبلوماسية فى الشرق الاوسط ، ورؤساء أركان حرب الثلاثة للقوات البريطانية ، وقبل المؤتمر قرأت مذكرة عن المشكلة كانت موجهة الى وزارة الحرب البريطانيــة ، وكانت المذكرة مكتوبة بأسلوب رائع وقد نجحت فى اقناعى بعدم جــدوى فكرة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، ولكن التوصيات التى قدمتها المذكرة كانت تبــدو خيالية ، فقد اقترحت تسليم فلسطين وهى تحت الانتداب الى هيئــة دولية تضم ممثلــين من فرنسا والاتحـــاد السوفيتى ، وتتولى هذه الهيئة ادارة فلسطين ٠

ودار البحث فى المؤتمــر حول هـــذه المذكرة أولا ، وقلت ان المذكرة نجحت فعلا فى قتل فكرة التقسيم ، ولكن الاقتراح الخاص بتدويل فلسطين لا يبدو عمليا ، وقلت اننى اكره كلمة التدويل ، وقلت اننا بعد أن أصبحنا على وشك الانتصار فى الحرب العالمية يجب ان نعالج مشكلة فلسطين من وجهة نظر بريطانية محضة٠٠ اى من وجهة نظر المصالح البريطانيـــة ، وقلت أنه لو كان الامر بيدى لتجاهلت كل عوامل الضــغط الخارجى بما فى ذلك الضغط الامريكى وأعلنت بشجاعة أننا سوف نبقى فى فلسطين الى أجــل غير مسمى ٠

وقلت ايضا فى المؤتمر أن تصرفاتنا فى المستقبل يجب أن تحكمها استراتيجيتنا العالمية ٠٠ وان الحرب العالمية الثانيــة أظهرت لنا الاهمية الحيوية لبعض العناصر وعلى رأسها المواصلات والبترول ، ولما كانت فلسطين مهمة جدا فى تغطية هذين العنصرين فاننا يجب أن نبقى هناك ، وقلت اننا يجب أن نقول للدنيا كلها انه فى ضوء هذين العاملين المهمين للغاية من الناحية العسكرية فاننا مصممون على البقاء فى فلسطين برغم صيحات العـــرب واليهود ، وقلت ايضا للقادة العسكريين فى المؤتمر :

ـ اننا نكسب الحـــرب الان ٠ الم يحـن الوقت ان نستجمع شجاعتنا وان نقف موقفـا قويا من مشـكلة هجرة اليهـود الى فلسطين ، وان نفعل ما هو فى مصلحة بريطانيا فقط !

واقترحت على المؤتمر ان نصدر بيانا بوصفنا المســئولين عن حماية مصالح بريطانيا فى الشرق الاوسط نعلن فيه لرؤسائنا فى لندن اننا نعتقد ان محاولة ركن الكتـاب الابيض البريطانى على الرف خطأ ٠ وقلت اننا بهذه الطريقـــة نعفى انفسنا من أى لوم قد يوجه لنا فى المستقبل اذا تطورت الامور واصبح أمن بريطانيا وسلامها فى الشرق الاوسط مهددا ٠ ووافق المؤتمر على ارسال تحذير الى لندن بهذا المعنى حتى لا تمضى فى مشروع التقسيم ٠

وبعد انتهاء المؤتمر عدت الى القاهرة لاجد فى انتظارى مشكلة اخرى ٠ فقد كان المصريون يطالبون بتعديل معاهدة ١٩٣٦ ٠ ومن وجهة نظرى فقد حصلنـا اثناء الحـــرب على كل ما نريده من المعاهدة ٠ وهكذا تكون المعاهدة قد استنفدت اغراضـــها ٠ ومن ناحية اخرى فان الحرب الاخيرة قد طورت وسائل القتال وخصوصاً بالطائرات الى حد ان واضعى الاستراتيجية العالمية يفكرون الان فى ادخال تعديلات مناسبة عليهـــا ٠ وعلينا أن نحـــاول اقناع المصريين باهمية هـــذه التطورات لنا ولهم ٠ واذا اقتنعـــوا أن سلامتهم فى التعاون معنا نستطيع ان نحصــــل منهم على صفقة طيبة ٠

وفى نفس الوقت تلقيت انباء غير مشـــجعة من اصدقائى فى بريطانيا انه اذا اجريت الانتخابات العامة فان حزب العمال سوف يفوز وسوف يخرج تشرشــــل وايدن من الحــكم وأكد لى القادة العسكريون هنا أن الغالبية العظمى من جنودهم ينوون التصويت لحزب العمال وضد تشرشل بعد الحرب ٠



القنابل تتساقط على دمشق !

وفى احد ايام ابريل حصلت على ترخيص خاص لزيارة المتحف المصرى وكانت الاثار الهامة والنادرة ومن بينها مومياءات الفراعنة قد عادت الى مكانها فى الطابق الثانى من المبنى ٠ وعندما كانت الحرب تقترب من مصر تم نقل هذه القطع الغالية الى مكان امين

في حالة اذا ما تعرض المتحف لغارة أو في حالة دخول الالمان القاهرة ولكن بعد ابتعاد خطر الحرب عن مصر عادت القطع الى المتحف ٠

ولهذا كنت سعيدا بالترخيص الخــــاص الذى حصلت عليه لرؤيتها - وكانت جميعها تبدو في حالة طيبة ٠ واذكر ذات مرة أن ضجة قامت ضد حكومة الوفد في بدء عهدها للاهمال في نقل هذه التحف وصيانتها ٠ ومن ضمن الاتهامات التي وجهت للذين اشرفوا على عملية نقل التحف والاثار انهم كانوا يعاملونها وكأنها مخلفات أو قطع خردة قديمة ٠ وقد تحدثت الى زعماء الوفد في هذا الشأن ٠

وبعد هذه الزيارة استمر الموقف في الشرق الاوسط هادئا طوال شهر تقريبا ٠ ثم انفجرت مشكلة سوريا ولبنان - وكانت الامور هناك تسير على غير ما يرام ٠ فقد وعدنا هذه الدول بالاستقلال بعد الحرب في مقابل وقوفهم معنـــا ٠ ثم وجدنا ان ديجول يريد العودة الى احتلالها واعادتها الى السيطرة الفرنسـية كما كانت قبل الحرب ٠ وفعلا اختار ديجول أسوأ لحظة لتنفيذ خطته ٠ وقرر في شهر مايو١٩٤٥ ارسال تعزيزات من قواته الى بيروت ودمشق ٠ ونتيجة لذلك حدثت ثورة في البلاد - ومن المعلومات التي وصلتني يبدو أن الامر سيىء للغاية ٠

وبالنسبة لنا فان وضعنا سيكون محرجا ايضا ٠ فقد اثبتنا حتى الان سياسة ذات وجهين : احدهما أن يؤيد استقلال سوريا ولبنان والاخر الاحتفاظ بمركز فرنسا القوى هناك ٠ ويبدو أن السياستين سوف تصطدمان قريبا ٠ وكان هذا رايي منــذ البداية ٠ وسوف يخلق لنا هذا الموقف رد فعل خطيرا في مختلف أنحـــاء الشرق الاوسط واخشى أن نتأثر جميعا بما قد يقع في المنطقة من احداث ٠

وكم كنت أود لو اننا كانت لدينــا الجرأة لكي نقول لديجول صراحة اننا لن نسمح بعودة القوات الفرنسية الى سوريا ولبنان ٠ ولكن يبدو أن لندن مهتمة ايضا بمشكلة عدم تدهور العلاقات مع الفرنسيين ٠ ومن المعروف ان العلاقات بيننا وبين ديجول لم تكن طيبة في معظم الاوقات ٠

وفي أواخر مايو تدهور الموقف تماما ٠ وحدثت خسائر كبيرة في الارواح في القتال الدائر في سوريا ولبنان - وبدا الفرنسيون يضربون المدن السورية وخاصة دمشق بالقنــــابل - وقد سمعت أن عملية ضرب المدن كانت تتم بطريقة عشوائية وبدون اى تمييز

للأهداف • وقد دمرت الطائرات الفرنسية مبنى البرلمان السوري في دمشق • وفي رأيي أن ما يفعله الفرنسيون في سوريا لا يقل سوءا عن العمليات الارهابية للنازي وهتلر • وفي اليوم التالي اجتمعت لجنة الدفاع لشئون الشرق الأوسط • وتلقيت نسخة من تلغراف سري للغاية من تشرشل الى الجنرال باجيت قائد قواتنا في الشرق الاوسط يطلب فيه أن تتدخل القوات البريطانية في سوريا لمنع سفك المزيد من الدماء هناك •

وقال تشرشل انه بعث الى الرئيس الامريكي ترومان يطلب منه أن يؤيده وأن ينصح ديجول بالتراجع عن هذه السياسة • وفعلا تراجع الفرنسيون • فلم تكد تمضي ٤٨ ساعة حتى أصدر ديجول أوامره لقواته في سوريا ولبنان أن تطيع الاوامر الصادرة اليها من الجنرال باجيت القائد العام البريطاني • وهكذا استطاع تشرشل أن ينقذ سمعتنا التي كانت في الطين طوال ازمة ضرب دمشق بالقنابل •



ماذا يفعل فاروق في الظلام ؟

سمعت قصة غريبة لاول مرة عن مغامرات الملك فاروق الغرامية• كنت مدعوا لحفل عشاء عند آل لطف الله وهم من أصل سوري • ولكنهم كانوا من المشهورين في مجتمع القاهرة في ذلك الوقت • والتقيت في الحفل ببطريرك الاقباط في روسيا • وجلست أثناء العشاء الى جوار زوجة ولي عهد اليونان الامير بيتر • وحكت لي الاميرة عما يفعله فاروق من وراء ظهر الملكة فريدة ليلا •

وكنت أعرف أن الاميرة وزوجها كانا من شلة الملك فاروق • ولكنها صارحته ذات مرة انه لا يجب ان يشاهده الناس كل ليلة في الاوبرج مع سائقه السابق بوللي وطبيبه الخاص • ولم يغفر لها فاروق هذه الطريقة فكان يدعو زوجها الى الحفلات التي يحضرها ولا يوجه اليها الدعوة • وقالت لي الاميرة اليونانية أن فاروق يسهر هذه الايام كثيرا عند أسرة مصرية من أصل يهودي وهي أسرة موصيري • وأن هيلين موصيري الزوجة تحتفظ بتليفون خاص في غرفة نومها • وهذا التليفون لا يعرف رقمه السري ولا يستخدمه سوى شخص واحد فقط هو الملك فاروق •

وعندما يحلو لفاروق أن يلعب القمار في الواحدة صباحا مثلا فانه يدق التليفون لهيلين موصيري ويطلب منها أن تجهز له « البرتيتة » وإذا كان فاروق يريد حفل عيد ميلاد لاحد أصدقائه

او حفلة تنكرية او مفاجأة لاحدى صديقاته فانه كان يتصل بهيلين موصيرى ويطلب منها اعداد كل شيء ٠

وحكت لي الاميرة اليونانية ايضا أن فاروق اقتحم منزلهما ذات ليلة من الباب الخلفي بعد ان تسلق سور الحديقة وصعد الى الطابق الثاني ٠ وكان الخدم يعرفونه ٠ ولهذا اغلقوا عليه غرفة نوم الاميرة حتى يستدعوها من حفل راقص كانت تقيمه فى الطابق الارضي رفضلت جهـــود الامير بيتر وزوجتــه فى اقنـاع الملك بالنزول الى الحفل ٠ واستعانت الاميرة اليونانية بأميرتين من اسرة طوسون وبصديقة الملك فاروق اليهودية هيلين موصيرى ٠ ونجح الاربعة فى اقناع فاروق بالعودة من حيث اتى حتى لا يراه أحـــد على هذه الصورة التى لا تليق بملك يتسلل من ابواب الخدم ٠



راح ايدن وجاء بيفن :

انتهت الحرب العالمية الثانية باستسلام المانيا وبعدها اليابان فى اغسطس ١٩٤٥ ٠ وكان الشرط الوحيد لليابان بعد ضربهـا بالقنبلة الذرية أن يظل الامبراطور فى الحكم ٠ وقبل الحلفاء هذا الشرط ٠ واجريت الانتخابات العامة فى بريطانيا وفاز حزب العمال وخرج تشرشل وايدن ٠ وكانت اخر تصية من ايدن الى سفيره فى القاهرة لورد كيلرن أن حصل على موافقة وزارة الخزانة لمــد خدمة السفير بعد ان تجاوز الخامسة والستين من عمره ٠ وفى سبتمبر ١٩٤٥ دعا ارنست بيفن وزير الخـــارجية الجديد كيـلرن لحضور مؤتمر خاص للشرق الاوسط يعقد فى لندن ٠

وكتب السفير يقول :

كان بيفن يجلس فى مقعد الرئاسة فى المؤتمر ٠ وكان موفقـا للغاية ٠ وهو نشيط للغاية وقوى الشخصية ٠ ولديه افكار تقدمية عن الاحوال بوجه عام والشرق الاوسط بوجه خاص ٠ قد أحببته ٠ وقد بحث المؤتمر مشكلة فلسطين ٠ واشترك فى المناقشة عـــدد كبير من الاخصائيين الذين غرقوا فى التفصيلات التافهة ٠ وانتهى المؤتمر الى عدة توصيات أهمها استمرار السياسة التى تضمنت فى الكتاب الابيض الخاصة بهجرة اليهود الى فلسطين ٠

واتفقنا ايضا على استمرار الوضع كما هـو الان حتى يمكن عرض الامر على لجنة الامم المتحدة الخاصة بالانتداب ٠ وفى نفس الوقت تقوم بريطانيا بالضغط على الدول العربية للموافقة على قبول ١٥٠٠ مهاجر يهودى اضافى شهريا الى فلسطين حتى

تتخذ الامم المتحدة قرارها • وفى رأيى أن العرب اذا لم يكونوا اغبياء فانهم يجب أن يرحبوا بهذا العرض •

وفى نفس الوقت علمنا من المؤتمر ان الرئيس الامريكى هارى ترومان يضغط على حكومة العمال لقبول ١٠٠ الف مهاجر يهودى فى فلسطين • وانه يحاول تذكير حزب العمال بوعوده الانتخابية ليهود بريطانيا • واعتقد ان اليهود فى كل مكان وفى امريكا بالذات سوف يثيرون ضجة كبرى لقرارات مؤتمر لندن •

نسيت ان اسجل أن أسوأ ما حدث اثناء المؤتمر ان وزارة الخارجية لم تخصص سيارة لكل سفير اشترك فى المؤتمر حتى يستخدمها فى تنقلاته • وعندما يفكر الانسان فيما يفعله مندوبنا نائب الملك فى الهند والطائرة الخاصة التى يستخدمها فى تنقلاته هناك فان المرء لا يسعه الا ان يتحسر على ما يحدث له هنا •

فاروق وفريدة :

وبعد المؤتمر ذهبت الى مجلس اللوردات وقمت باجراء مراسم تنصيبى عضوا بالمجلس بعد حصولى على لقب لورد • ثم دعانى الملك جورج الى قصر باكنجهام لزيارة قصيرة • ودار الحديث طبعا عن مصر والملك فاروق والعلاقات المتوترة بينه وبين الملكة فريدة • وكان حسنين باشا قد ذكرنى قبل سفرى من القاهرة بوعد الاسرة المالكة البريطانية بدعوة فاروق لزيارة لندن • وقال حسنين باشا ان الملك فاروق يريد أن يقوم بهذه الزيارة قريبا •

وسالنى الملك جورج رأيى فقلت له اننى ابلغت حسنين باشا باشا صراحة ان تقاليد الاسرة المالكة فى بريطانيا لن تسمح لها بتوجيه الدعوة اليه لزيارة بريطانيا والجميع يعرفون أن العلاقات بينه وبين الملكة فريدة اصبحت شيئا يثير الاسف • وقد وافقنى الملك جورج على رأيى تماما • وتقرر ارجاء النظر فى هذه الدعوة الى وقت اخر مناسب •

عدت الى القاهرة فى ديسمبر وزرت الملك فاروق فى قصر القبة لبحث عدة موضوعات تراكمت اثناء غيابى فى لندن • وبدأ الملك الحديث بالاعراب عن مخاوفه العميقة من الخطر الروسى الذى يهدد ايران الان والذى قد يمتد الى الشرق الاوسط كله بعد ذلك • وسالنى الملك :

ماذا تفعل بريطانيا وامريكا حتى لا تتكرر ماساة ميونيخ مرة اخرى ؟

ثم قال ان الشعب المصرى لم يكن يبدى اهتماما بالحرب العالمية الثانية لانها لم تكن حربه • ولهذا لم يتحمس لمساعدة الحلفاء •

أما اذا نشبت حرب أخرى مع روسيا فان الشعب المصرى كله ـ كما قال فاروق ـ سوف يقف صفا واحدا ضد الروس .

وبحثنا بعد ذلك مشكلة اعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ . واتفقنا على ضرورة بحث التعديل من وجهة نظر التغييرات التى طرأت على الاستراتيجية العالمية ومصالح الطرفين . ثم شكوت له من قانون الشركات المصرية الذى صدر أخيرا والذى قد يلحق الضرر بمصالح الشركات الانجليزية . وقال فاروق انه يجب الانتظار حتى يطبق القانون ونعرف مساوئه ومزاياه . وعندما فتحت موضوع ديون الحرب التى لمصر عند بريطانيا وأن تشرتشل قال ان مصر يجب أن تضع فى اعتبارها أن قوات الحلفاء كانت تدافع أيضا عن مصر .. وقال فاروق انه سوف يطلب من حكومته تخفيض المبلغ كنوع من المساهمة من جانب مصر فى كسب الحرب .

١٩٤٦

هدوء .. قبل العاصفة :

لم يبق على رحيل كيلرن من مصر سوى ٦٨ يوما . وكان قد أمضى بالقاهرة حتى الآن ١٢ عاما كسفير لبريطانيا . ثم رأت حكومة العمال تعيينه مندوبا خاصا فى جنوب شرق آسيا . برغم أن كيلرن قضى شهرين فقط من عام ١٩٤٦ فى القاهرة فانهما كانا مليئين بالاحداث . فقد شاءت الاقدار أن يلقى أمين عثمان باشا مصرعه قبل رحيل كيلرن . وتعترف المذكرات أن أمين عثمان هو الذى لعب دورا هاما من أجل الوصول الى معاهدة ١٩٣٦ وكذلك لتنفيذها أثناء سنوات الحرب الحرجة لمصلحة بريطانيا .

وشهد شهر فبراير أيضا الخطوات الأولى لاعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ . والاضطرابات التى سادت البلاد تطالب بالغائها والتى أدت الى سقوط حكومة النقراشى باشا وتكليف القصر صدقى باشا أن يشكل الوزارة الجديدة ومن المصادفات الغريبة أن صدقى باشا كان رئيسا للوزارة المصرية قبل وصول السفير اليها بقليل سنة ١٩٣٤ . وهكذا عاش كيلرن دورة كاملة فى مصر .

ويكتب السفير فى مذكراته فى مطلع العام الجديد يوم أول يناير ١٩٤٦ فيقول :

سنة جديدة . ترى ماذا تحمل معها لنا ؟

على أية حال لقد انتهت الحرب ، وبقى أن نرتب ما تناثر بسببها من قطع صغيرة ، وهى مشكلة ليست سهلة . ولقد انتهى مؤتمر

موسكو اخيرا . ولا يعرف احد النتائج التي حققها . فمثلا لم يعرف العالم كيف حلت مشكلة التمثل السوفيتي في ايران ؟ والمعلومات التي وصلتني تقول انه لم يتم الوصول لاى حل ؟ والاخطر من ذلك نوايا السوفييت بالنسبة لتركيا .
وبالنسبة للموقف هنا فكل شيء يبدو هادئا - ولكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة . والسبب تعديل معاهدة ١٩٣٦ . وقد بعث المصريون مذكرة الى لندن . وهم يلقون اللوم علينا الان . واعتقد شخصيا انه لا باس من قبول اقتراحهم بايفاد وفد مصرى الى لندن لبحث تعديل المعاهدة . فهذا افضل لنا ولهم بعيدا عن الصحافة المصرية . كما انه من الافضل للسفارة هنا ايضا ان نتعامل لندن مع المصريين مباشرة بدلا من أن ترسل الينا تعليمات معينة لا يمكن تنفيذها . وعندما تفشل المفاوضات يلقون اللوم علينا . واعتقد اننا نشهد الان التاريخ يعيد نفسه . وبغض النظر عن القدرات العسكرية في المعاهدة فهناك مشكلة السودان التي يجب حلها أولا .
ومن أكبر المشاكل التي تواجهنا في الوقت الحاضر الاحتفاظ بمركزنا القوى والسيطرة في الشرق الاوسط . صحيح أن لدينا الان منظمة الامم المتحدة . وصحيح ايضا أن هناك حكومة جديدة من العمال في بريطانيا . كما انى لا أكن سوى كل الاعجاب لوزير خارجيتنا العظيم ارنست بيفن . ولكني لا استطيع ان اكتم غضبي عندما اسمع كلام ناس متحمسين للسلام العالمي مثل نويل بيكر - وانا اعتقد دائما أن الشعب البريطاني في النهاية لن يهضم اى شيء يساوى تسليم حقوقنا في منطقة حساسة للغاية بالنسبة لمواصلاتنا مع دول الكومنولث الاخرى وهي منطقة الشرق الاوسط .
وعلى أية حال ها نحن الان قد دخلنا سنة ١٩٤٦ .. وعلينا ان نستعد لمواجهة مشاكل من نوع آخر .



المدموازيل اكس :

وتمضي مذكرات كيلرن مرة أخرى عن فاروق فتقول :
يبدو أن الملك فاروق يريد أن يبدأ العام الجديد بفضيحة أخرى . فقد سمعت من مسز جوان كين بويد زوجة كين بويد رجل الاعمال البريطاني والمدير العام السابق لجهاز الامن العام في مصر أن فاروق أبدى رغبته في تناول طعام العشاء عند صديقه الجنرال الفراى القائد البريطاني لقواتنا في الشرق الاوسط . ولدهشة الجميع احضر فاروق معه عشيقته « مدموازيل اكس » كما

يسمونها هنا . وقد اسفت جدا لان الجنرال الفراى لم يرفض هذا الوضع المهين ورحب بفاروق وعشيقته . وبعد ذلك قال لى مرى باشا انه شكا للملك فاروق من تصرفاته وظهوره علانية مع « ميموازيل اكس » . ولكن فاروق قال انها فتاة لطيفة جدا . وقال مرى باشا للملك ان الانجليز مستاءون جدا من تصرفه . فرد فاروق أن امير ويلز فعل نفس الشىء « دوق اندبره » فرد عليه مرى باشا قائلا :

ـ وماذا حدث له نتيجة لذلك .. لقد اجبروه على التنازل عن العرش .

مصرع امين عثمان :

وفى يوم السبت ٥ يناير جاءت انباء عن اطلاق الرصاص على امين عثمان باشا . وقد اصيب برصاصتين احداهما فى الصدر والاولى ليست خطيرة . واتصلت بى كيتى زوجة امين عثمان الانجليزية وهى تقول ان زوجها فى حاجة الى نقل دم والى جراح من عندنا . وعلمت ان امين عثمان اصيب وهو فى طريقه الى مدخل نادى فكتوريا . واعتقد ان حادث امين عثمان مقدمة لحوادث اغتيال اخرى مماثلة استطيع ان اشمها فى الهواء .

وتوجهت فورا الى المستشفى حيث كان يعالج امين عثمان . وعلمت أن حالته خطيرة للغاية . ووجدت كيتى زوجة امين عثمان تجلس فى غرفة مزدحمة بالسيدات . واقنعتها انا وفرغلى باشا مليونير القطن المعروف بالاسكندرية أن تترك الغرفة وتجلس معنا فى غرفة اخرى . وقالت لى انها كانت فى طريقها الى السينما عندما سمعت بالحادث . وعندما وصلت الى مكان الحادث كان زوجها قد نقل الى مستشفى مورو . وكان مازال فى وعيه . ولكن كان من الواضح أن اصابته خطيرة وانه فى حاجة الى عملية جراحية اخرى بعد ان تم اجراء نقل دم له مرتين .

وكانت العملية الجراحية تجرى الان . واستمر الوقت طويلا . وبعثت كلمة الى طبيبين انجليزيين بالداخل كانا يساعدان الدكتور مورو اسالهما عن الاخبار . وجاء الرد أن العملية انتهت الان . وقابلت الدكتور مورو الذى اصر امين عثمان ان يتولى اجراء العملية له . وكان هناك طبيب رابع المانى اشترك فى العملية ايضا . وكان يبدو أن الحالة سيئة . وفى هذه اللحظة وصل النحاس وسراج الدين باشا . واعتقد انهما كانا داخل غرفة العمليات اثناء الجراحة لامين عثمان .

وقال الطبيب الانجليزى أن هناك فرصة لنجاة امين عثمان .

ولكن كان واضحاً من كلام دكتور مورو أن الامل ضعيف جدا . ولدهشتي وفزعي دخلت كبتي زوجة امين الغرفة وسمعت بنفسها الاطباء يقولون أنه لا جــدوى وبعد ذلك انصرفت وعـــدت الى السفارة . وعندما سمعت زوجتي الانباء استاءت جدا لانها كانت معجبة للغاية بامين عثمان وعملت معه كثيرا في حفــلات الترفيه عن القوات البريطانية .

وبعد دخولي الفراش بساعة تلقيت مكالمـــة تليفونية أن امين عثمان قد توفي . وان جثمانه نقل الى منزله . وشعرت أن هذه مأساة كبرى لنا وللذين يعرفون أمين جيـداً . وأنا أرتعــد الان عندما افكر في مشاكل تعديل معاهدة ١٩٣٦ وكيف يحـــدث ذلك مع غياب أمين عثمان الذي كان بمثابة فرملة ووسيط بيننا وبين الوفد . لقد كان أمين صديقا مخلصا لنا .

وفي الجنازة حدثت اشياء كثيرة . فقد كانت الشوارع مزدحمة للغاية . ولم نتمكن من السير الا بصعوبة بالغة . وسألت جابلين له لماذا لم يتخذ البوليس احتياطات كافية لتنظيم الجنازة . فقال لي ان هذا الامر خطير للغاية لان هناك مظاهرة معادية للحكومة تضم على الاقل ١٠٠ ألف شخص يهتفون ضدنا . وان اي تدخل من جانب البوليس سيثير صداما دمويا . وقررت أن أعود للسفارة فورا بعد ان كان في نيتي ان اسير في الجنـــازة حتى الجامع . ولكنني تطعت المسافة من مكان الجنـــازة الى باب السفارة وهي حوالي ٢٠٠ متر في حوالي ساعة . وكان ذلك شيئا يثير السخط .

وداخل السفارة وجدت هيكل باشا وحسين صري باشا اللذين هربا ايضا من الجماهير . وكنت في منتهى الغضب لدرجة انني ثرت في وجه هيكل باشا . وانضم الى صري باشا الذي قال لي ان الضحية القادمة لرصاص المتطرفين قد يكون هيكل باشا نفسه . وقال أيضا ان وزارة الداخلية لديها ملفات كاملة باسماء هؤلاء الشبان المتطرفين والمتعصبين الذين يشتركون في هذه العمليات الارهابية . ولماذا لم يفكر احد في وضعهم في السجن احتياطيا . وشاركت صري باشا في هذا السؤال وقلت له :

ـ لماذا حقا لا تفعلون شيئا ؟

وتركت هيكل باشا وهو يرتعد خوفا من حديثنا اليه ومن غضبي الذي انصب على رأسه .



قلق في معاهدة السفير ؟

وبعد ذلك بـ ٤ ايام دعيت الى قصر عابدين لتحية الملك لين

سعود الذي كان يزور مصر . واثناء خروجي من السيارة امام قصر عابدين شعرت بشيء ما ينـــــزلق في بنطلوني . وخشيت أن يكون شيئا خطيرا . ولكن السـائق طمأنني انه شيء بسـيط . ودخلت غرفة العرش حيث وجدت الملك ابن سعود جالسا هناك والى يمينه أبناؤه الاثنا عشر . والى يســاره وزراؤه . وكانوا يرتدون جميعا الزي العربي . ولهذا كان المنظر مؤثرا . وكانوا يرتدون ايضا قلادة النيل التي أهداها لهم الملك فاروق .

وخلف الملك ابن سعود كان يقف عـــزام بك ثم النقراشي باشا رئيس الوزراء . وبعد أن صافحنا الملك عدنا الى قاعة الانتظار . وفي الطريق أحسست ان الفتق في بنطلوني قد تضاعف لان تيار الهواء كان يداعب ساقي وضممت ذيل الجاكت الطويل بقوة حتي يخفي القطع في بنطلوني . ورفضت أن أجلس مثل باقي السفراء وظللت واقفا وسط القـــاعة وانا اضع يدي خلف ظهري مثـــل نابليون بالمقلوب (كان معروفا عن نابليون انه يضــع دائما يده فوق صدره) . ولمح الوزير المفـــوض الامريكي ان شيئا ما في عيني يشير الى انني لست على مايرام .

وتوجهنا بعد ذلك لتحية الملك فاروق . ثم الى قاعة العشاء . واتبعت نفس التاكتيك لاخفاء بنطلوني الممـــزق . وكان على ان أجلس الى المائدة وبمجرد أن جلست شعرت بتيار الهواء المتسرب من الفتـــق يتحول الى عاصـــفة . ولم يكن هناك خطر مادمت جالسا . وحاولت ان أشغل نفسي بالحديث مع أحد أبناء الملك ابن سعود الذي كان يجلس الى جواري . وبعد العشاء حاول رئيس الوزراء المصري النقراشي باشا أن يدفعني ناحية الملك فاروق . ولكنى ظللت اتقهقر حتى وصلت الى أريكة بجوار الحائط استندت عليها لاخفاء مؤخرتي الممزقة .

وبعد ذلك دعيت مع الاخرين لمشاهدة مسرحية بالقصر . وكانت باللغة العربية . ويبدو انني نمت أثناء العرض . بل أعتقد انني كنت أشخر ايضا وبعد العرض حاولت أن أهرب من الزحام حول البوفيه وعدت الى السفارة لأجد ان حجر البنطـــلون به فتق طوله ٦٠ سنتيمترا على الاقل .

يا لها من ليلة !! ..

باي حق يتدخل الامريكان ؟

وبعد ذلك كتبت تقريرا الى وزارة الخارجية عن آراء ابن سعود التي سمعتها منه في حفل غداء أقمناه تكريما له . يقول الملك ان بريطانيا تعترف بأنه مد يده اليها في أيامهم السـوداء . وانه

سيمدها اليهم ايضا في ايامهم البيضاء . وان العرب يعتبرون بريطانيا صديقتهم ويتوقعون منها الحماية . وان المشاعر المعادية لبريطانيا التي تبدو من وقت لآخر في العالم العربي اشبه بالخلاف الذي ينشب بين الاباء والابناء عندما يصيح الاب متمنيا موت الابن .. ولكنه سوف يضرب أول من يقول آمين .. متمنيا فعلا موت الابن .

وقال الملك ابن سعود لي انه لا شيء يستطيع أن يمزق الصداقة العربية البريطانية الا اذا وقعت أعمال اضطهاد أو شيء يهدد الاسلام أو مستقبل العرب . وقال انه من أجل الاسلام قد يحارب بريطانيا نفسها .

ثم انتقل الحديث الى فلسطين واليهود الذين قال عنهم ابن سعود انهم خطر على الاسلام وعلى الصداقة العربية الانجليزية وقال ابن سعود ان العرب كانوا يسيطرون على فلسطين طوال ١٤٠٠ سنة . وانهم لم يستولوا عليها من اليهود . ولكنهم استولوا عليها بحد السيف من الرومان . وسألني ابن سعود .

ـ هل هناك دولة في أوربا ترضى أن تتنازل عن اراضيها التي ظلت تحكمها طوال ١٤٠٠ سنة ؟

ثم قال ابن سعود : انا لا افهم لماذا يقتل النازي اليهود ويضطهدونهم ثم تعاقبون العرب . ولا افهم لماذا يتدخل اصدقاؤنا الامريكيون في هذه المشكلة وبأي حق يتدخلون واذا كان الانجليز قد خاضوا الحرب العالمية الثانية وضحوا بكثير من الارواح من أجل العدالة والحق .. فهل يضحون بكل هذا من أجل اليهود في فلسطين .. هل اليهود أقوى من النازي واليابانيين ؟

واستطيع أن أقول ان مجمل حديث ابن سعود كان بمثابة انذار ودي لبريطانيا . وقد ذكر أن روزفلت قال له ان اليهود ليست لهم أهمية حقيقية في السياسة الامريكية لانهم يتحكمون في ٣ ملايين صوت فقط من بين ٥٠ مليون صوت انتخابي . وقال روزفلت أيضا انه لا يخشى الرأي العام اليهودي في بريطانيا وانه سيحاول الا يلحق بالعرب أي ضرر . وقال ابن سعود ردا على سؤال انه لا يوجد يهودي واحد في السعودية منذ ١٤٠٠ سنة . وانه لم ير يهوديا واحدا طوال حياته .

تعليمات جديدة من لندن :

في أواخر يناير تلقيت تلغرافين طويلين من لندن تعلن فيهما وزارة الخارجية قبول بريطانيا مبدأ اعادة النظر في معاهدة ١٩٣٦ . وان المباحثات الاولية يجب أن تجري في القاهرة قبل الموافقة على

سفر وفد مصرى الى لندن • وان الملك فاروق يجب أن يوسع قاعدة الحكم بحيث تضم الوفد ايضا حتى يمكن ان ينضم حزب الوفد الى أى بعثة مصرية تسافر الى لندن لتعديل المعاهدة •• هذا فى مقابل وعد من بريطانيا الا تتدخل فى المشاكل الشخصية بين الملك فاروق والنحاس باشا •

وقابلت الملك فاروق • وابلغته بمحتويات البرقيتين • وابدى ترحيبه بهذه التطورات ، ولهذا كانت دهشتى كبيرة للغاية عندما ابلغنى المستر بيفن ان عمرو باشا السفير المصرى فى لندن وبطل الاسكواش راكيت المعروف أعرب لوزارة الخارجية عن خوفه وقلقه لوقف بريطانيا من محاولة عودة الوفد الى الحكم • وظللت حائرا فى فهم ماذا جرى أو كيف تجرى الاحداث •

وفى ذلك الوقت كانت الصحف فى بريطانيا تزعم اننى والملك فاروق لا يكلم احدنا الاخر • ورجوت صديقا لى هو موريس هانكى كان عائدا لبريطانيا أن يلقى خطابا فى مجلس اللوردات او يكتب فى الصنداى تايمز ليشرح للشعب البريطانى الحقيقة كما راها هنا وان الملك فاروق على علاقة طيبة معى •

مقلب من فاروق :

ولم تمض سوى ايام حتى تلقيت نبأ كالقنبلة من لندن • فقد ابرق لى ارنست بيفن وزير الخارجية يقترح أن أقبل منصب المندوب الخاص لبريطانيا فى شرق اسيا وجنوبها على أن تغطى مهمتى كسفير متجول الملايو (ماليزيا الان) والهند الصينية ثم هونج كونج وجاوه • وقال بيفن فى برقيته انه يرى أن أقبل المنصب الجديد قبل بدء محادثات تعديل المعاهدة بدلا من الانتظار حتى منتصفها ثم أرحل من القاهرة •

وبعد الشعور الاول بالخجل من هذه البرقية اخذت افكر فيها كنوع من المجاملة ولكنى كلما فكرت اكثر ايقنت انها مؤامرة يبرمها لى فاروق عن طريق عمرو باشا سفيره فى لندن للتخلص منى وطردى من القاهرة قبل بدء محادثات تعديل المعاهدة • ورغم كل شىء فانا أعتقد أن هذا التطور فيه راحة كبرى لى لانى أعتقد ان فرصة نجاح محادثات تعديل المعاهدة واحد فى الالف • ولكن الشىء الذى يؤلمنى ان هذا « الشلوت الى أعلى » الموجه الى سوف يضر بسمعتنا وكرامتنا فى مصر • لان البعض هنا سوف ينظرون اليه على انه انتصار للقصر على السفارة • وسوف يؤدى ذلك الى كارثة •

وبعثت ردى الى لندن فى برقيتين أعلن فى احداهما قبول النقل

من القاهرة وارسال بعض التفصيلات • وفي الثانية ابلغهم رأيي في التطور والآثار السياسية التي سوف تترتب قطعا على هذا القرار بالنسبة للمصريين وفي هذا الوقت بالذات كانت الاضطرابات على اشدها في مصر ومظاهرات الطلبة لا تنقطع • وبمناسبة عيد ميلاد فاروق في ١١ فبراير كانت هناك انباء عن مظاهرة كبرى معادية لبريطانيا • وقد ابلغت قلقي وخوفي من نشوب اعمال عنف ضد بريطانيا للنقراشي باشا •

وبعد ذلك زارني صديق من لندن قال لي انني كنت مرشحا لمنصب نائب الملك في الهند • وأن الملك جورج نفسه كان يؤيد ترشيحي • ويبدو ان واحدا في حكومة العمال لم يوافق وخسرت هذا المنصب الكبير بفاروق ضئيل جدا في الاصوات • واقترح بعضهم ان اعمل سفيرا في واشنطون • ولكن هذا الاقتراح لم يوافق عليه ايضا •

وفي يوم عيد ميلاد الملك فاروق (١١ فبراير) تلقيت برقية عاجلة من وزير الخارجية ارنست بيفن يقول فيها ان الموقف في جنوب شرق اسيا خطير للغاية •• وانني يجب الا اؤخر رحيلي من مصر اكثر من ذلك •

القاهرة ـ ٦ مارس ١٩٤٦

اليوم الاخير :

ذهبت لتوديع اسماعيل صدقي باشا رئيس الوزراء الجديد • وشكوت له مما جرى للمؤسسات البريطانية في مصر في اليوم السابق • وقلت انني كنت أتمنى أن تكون هذه الزيارة لمجرد مصافحته قبل رحيلي وتمنياتي له بالتوفيق • ولكني مضطر أن الفت نظره للحوادث الخطيرة التي وقعت من المتظاهرين ضد المنشآت البريطانية وضد الرعايا البريطانيين في الاسكندرية يوم ٤ مارس وكيف ادت هذه الحوادث الى مصرع جنديين بريطانيين •

وبعد الظهر توجهت الى قصر عابدين لحضور حفل غداء اقامه الملك فاروق لوداعي • وكانت تبدو عليه علامات الود والصداقة نحوي ولكن هذا في الظاهر فقط • وانا واثق انه رغم كل تحياته وتمنياته كان في منتهى السعادة لرحيلي • ومما لا شك فيه ان قلبه يرقص فرحا وهو يراني اعطيه ظهري واغادر مصر كما هي محددة بعد ثلاثة ايام •

ويقول آخر سطر في مذكرات كيلرن عن فاروق :

« انه مسكين كبير » !

فهـــرس

صفحة



كتاب اليوم

القادم

لا تغسلوا الوحل!!

رواية مصرية طويلة

تأليف فتحي أبو الفضل

تحتاج أحيانا شجاعة تفوق طاقة البشر لكي نكون جبناء، فيكون جبننا هذا قمة الشجاعة.. ومهما غسلنا الوحل يظل الوحل وحلا..

أول مارس



هذه المذكرات لها قصة :

● عندما وصل المندوب السامى البريطانى الى مصر فى يناير ١٩٣٤ .. كان هتلر قد وصل الى كرسى الحكم فى المانيا . وكان كل شىء يبدو هادئا فى القاهرة .

● ولكن سحب الحرب كانت تتجمع فى المنطقة . والعواصف السياسية والعسكرية كانت على وشك أن تهب على الشرق الاوسط وافريقيا .

● وفى هذا الوقت كانت الحياة السياسية فى مصر يسيطر عليها ٣ مصادر : القصر والاحزاب والسفارة . وكان لورد كيلرن يقول ان الوضع اشبه ببسكليته بثلاث عجلات وانه هو الذى يحافظ على توازنها .

● واستمر السفير مشغولا بلعبة القط والفار بينه وبين فاروق حتى استطاع الملك أن يضربه الضربة الاخير ويقنع لندن بسحبه من مصر . ولم ينس كيلرن هذ... اخر ايامه . وظل يهاجم مصر فى الصحف... اللوردات حتى مات . وهذه المذكرات تحكى قص... مصر .

كمال ...



الثمن ١٢ قرشا